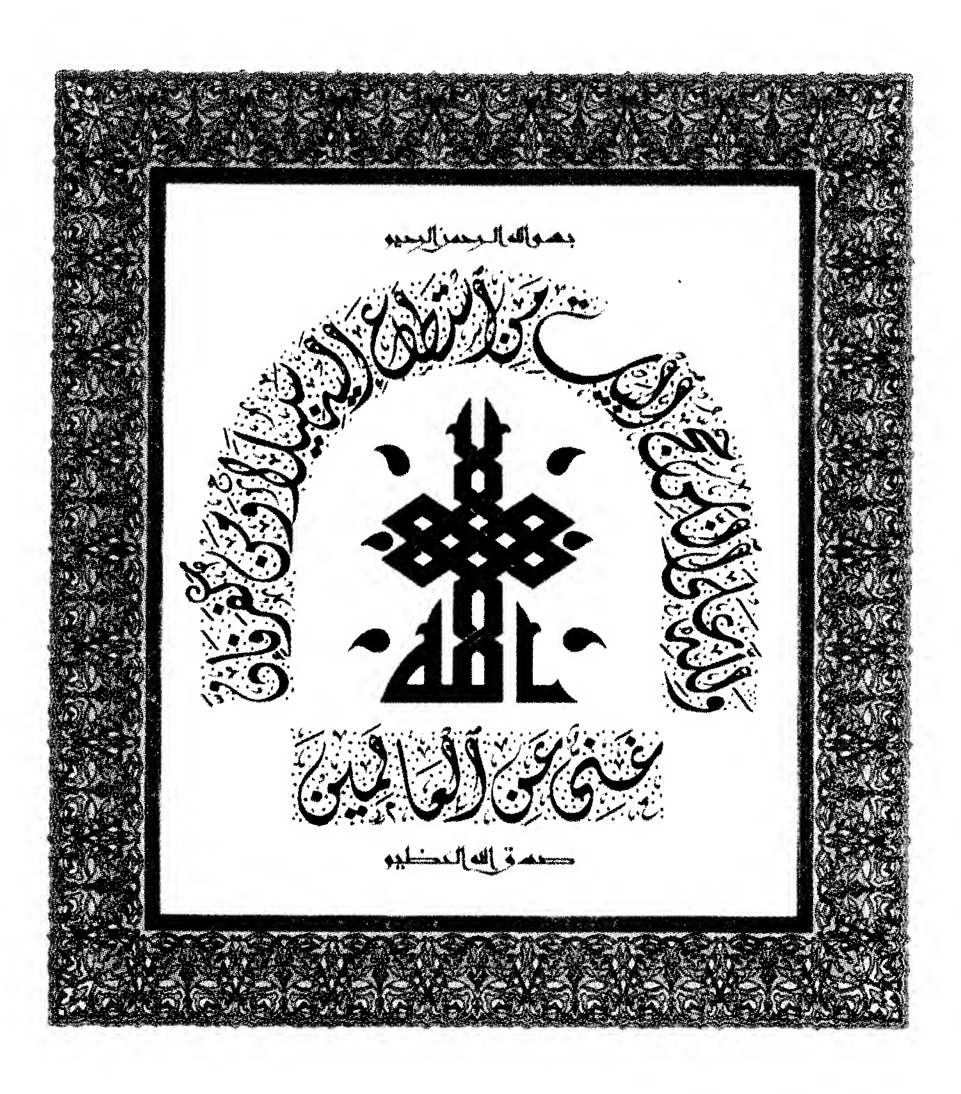
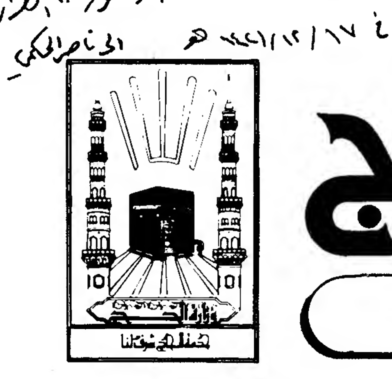

مجلة الحج
اسست عام ١٣٦٦هـ
مشروع الخيام المطورة
وأهدافه العملية
مضامين
خطبة الوداع
حقوق
الإنسان
في
الوثيقة
العمريّة
الحاسب الآلي في الحج


بسم الله الرحمن الرحيم
ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن
الله
غني عن العالمين
صدق الله العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الحج

تأسست عام ١٣٦٦هـ

مجلة إسلامية شهرية تصدرها وزارة الحج بمكة المكرمة

كلمة التحرير

يصل هذا العدد إلى يد القارىء الكريم متزامناً مع وصول طلائع الحجيج وانتشارها فوق بطاح مكة المكرمة وبين لَابَتَيْ طيبة الطيبة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لذلك يجسد ملف العدد باقة الترحيب بهذا المقدم الميمون ليفصح عن مدى ما تبذله الدولة لراحة الحجيج وتوفير سبل السلامة والأمان لهم من خلال هذه الصورة المختصرة لتلك الجهود الكبيرة التي يختزلها ويختصرها ملف الخدمات بين دفتي هذا العدد.

ويأتي هذا الملف إشارة مضيئة إلى التوجه العام الذي تتبناه دولتنا السنية في سبيل أداء ضيوف الرحمن نُسكهم في يُسْر وسهولة وتفصح عنه كل المعطيات المتجسِّدة علىً أرض الواقع والتي يلمسها الحاج بعينيه.

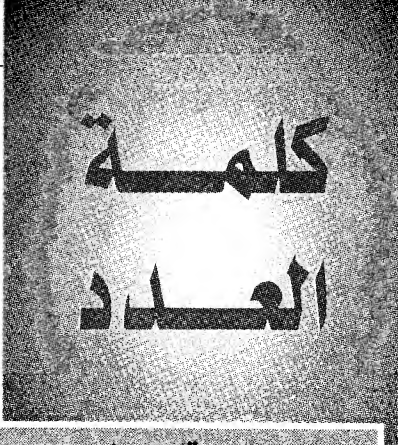
ويترجم توجه الدولة الطموح المتنامي في تطوير وسائل وآليات خدمة الحاج من خلال الاهتمام بمدن المشاعر والذي تكلل بالأمر السامي الكريم بانشاء الهيئة العليا لتطوير مكة المكرمة ليجد فيها الحاج والقاطن أسباب الراحة والرفاهية.

ونحن في هذا الركب نجد أنفسنا مُجنَّدين لخدمة تحقيق هذه الأهداف فنشرع ذراعينا للترحيب بالقادم الكريم فهذه الحروف زهور ترحاب وشموع طمأنينة وهداية لمسالك الأمان التي ذللتها الدولة له.

التحرير

المملكة العربية السعودية ـ مكة المكرمة ـ وزارة الحج ـ الششه
ص.ب: ٢٤٧٥ ـ هاتف الإدارة: ٥٥٧٣٨٢٠ ـ فاكس: ٥٥٧٣٨٢٠ ـ ٠٢
رقم إيداع: ١٤/١١٩٥ تاريخ ١٤١٤/٨/١١هـ ردمد ISSN:2396

السنة السادسة والخمسون. الجزء الرابع والخامس والسادس. شوال وذي القعدة وذي الحجة ١٤٢١هـ. يناير وفبراير ومارس ٢٠٠١م





بقلم د. عاصم حمدان

الإعتماد على الذات وليس على يمين أو يسار!

تتجِـهُ النُّخب العربية المثـقفَّة ـ دوماً ـ إزاء مـا تُسْفرُ عنه الإنتـخابات في بَعْض البلدان والـدول الغـربيـة مـا بين جـمـهـوري مـحـافظ، وديمقراطي إجتماعي، أوْ ما بين يمين ويسار، وهذا التَّقليد فيه مِنْ النَّواحي السلبية الشيء الكثير، فالمؤسـسات الغربية السِّياسي منها والفكري يَنْظُر إلى مصالحـه ـ دَوْماً ـ وهذه المصالح تتركَّز بصـورة رئيسـة على بقـاء اسـرائيل ذلـك الكيـان العُنْصـري والديكتـاتوري ـ هو الأقوى لذا فـإنَّ الحكومـات المتعـاقبـة في الغـرب ـ عامَّـةً ـ وفي الولايات المتـحدة الأمـريكيـة ـ خاصَّـةً ـ حرصت على تزويد اسرائيل بكُلِّ الأسلحـة التقنيّة المتطوِّرة بما فيها المُحرَّم دولياً، مثل السِّلاح النَّووي الفَتَّاك.

ثم بَرَزَ مطلع الثمـانينيات الميـلادية مُصْطَلَحٌ جديد وهُو الإرث اليـهودي ـ المسيحي، واستمدَّ هذا المصطلح ذيوعه وانتشاره مِنْ بُعْدٍ ديني

أفلح اليهـود في تسويقه ـ أسطورياً ـ بين النُّخب الغربيـة بكافة أشكالهـا وعلى مـخـتلف توجـهـاتهـا، وأضـحت أسطورة أرض الميعـاد ـ ليس عقـيدة دينية يهـودية ـ تخصُّ اليهـود وحْدهم ـ وإنما شاركهم الإيمان بها والترويج لها عددٌ من الرموز السياسية والفكرية والغربية.

لقد كان العرب في الحقبة الماضية يراهنون على ما يُسمَّى باليسار الغربي، ولكن هذا اليَسَار أصبح لا يقلُّ ولاءاً دينياً وعَقَدياً عن اليمين الذي تطرَّقتْ بعض أجنحتـه في الولاء لليهودية كـدين والصهيـونية كإيدلوجية.

وقـام هذا الجناح المـتـشـدِّد مِنْ الإتجـاه المُحـافظ فـي الغـرب بحـوادث استفزازية للمسلمين في مديـنة القُدس العربية والمُسْلمة، وكان التلفزيون البريطاني ينقل صوراً مؤسـفة مِنْ ذلك الإستفزاز الذي تقـوم به جمـاعات مـسـيحـية مـتـشدِدة نيـابةً عن مـعلِّميـهم وحاخاماتهم مِنْ اليهود، وكنت عندئذ ـ أدرس في الغرب فحاورت أحد أسـاتذة الجامعة الملتـزمين مسيحـياً عَمَّا يَجْـري في مدينة القدس فكانت إجـابته إنَّه يَشْعُرُ بالخزْي والعـار لما تقوم به هذه الفئة المسيحية المتشدِّدة والتي سبقت أريل شارون في استفزازه وتحدِّيه لمشـاعر المسلمين بزيارته المشؤومـة لباحة المسـجد الأقصى.

إنَّ الدَّرس الذي يجب أن يعـيه العرب والمسلمـون كافـةً ـ وهو درس أثبتت الحوادث صِـحَّتهُ ـ وهـو أنَّ الغْربُ بيمـينه ويساره، بمحـافظيه ومجدِّديه غير مَعْني بقضايا المسلمين والعرب إنْ لم يكن يَرى أنَّ حـمـاس المسلمين لقـضـاياهم أقل مما تسـتـوجبـه ضـرورات مصلحتهم ووجودهم كأمَّة وحضارة..

الأمير عبدالمجيد ابن عبدالعزيز يفتتح الندوة الثانية لتطوير خدمات الحج لعام ١٤٢١هـ

سموه الكريم:

خدمة الحاج يجب أن تكون غير روتينية

وزير الحج: التفاوض مع (٥٠) بعثة حج للتخطيط لخدمة حجاجهم

تغطية/ بدر رشاد الدويي
تصوير/ صالح علي الزهراني

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير عبدلمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة رئيس لجنة الحج المركزية صباح يوم الثلاثاء ٢١ شوال ١٤٢١هـ الموافق ١٦ يناير ٢٠٠١م وبحضور معالي وزير الحج السيد إياد بن أمين مدني فعاليات الندوة الثانية لتطوير خدمات الحج وذلك بقاعة التضامن الإسلامي بفندق مكة انتركونتننتال.

وفور وصول سموه قام بقص الشريط للمعرض المصاحب للندوة وتجول في أرجائه واطلع على ما يحتوي من صور ومخطوطات ومقتنيات قديمة وحديثة عن الحج كما شاهد سموه بعض الأجهزة السلكية واللاسلكية المستخدمة في أعمال الحج ووجه سموه عبر رسالة للعاملين في الحج عبر الجهاز اللاسلكي حيث حثهم على مضاعفة الجهد لخدمة الحجاج وتمنى لهم التوفيق في أعمالهم.

كما شاهد سموه بعض العملات التي كانت تستخدم قديماً ومجسمات



عن مكة المكرمة تبين الساحات المحيطة بالحرم المكي الشريف والخطوط الدائرية بمكة المكرمة ومجسم لبئر زمزم.

وقد أعرب سمو أمير منطقة مكة المكرمة عقب الجولة عن شكره لمعالي وزير الحج واعجابه بما شاهده من معروضات ومحتويات كما شكر سموه الجهات المشاركة في هذا المعرض ممثلة في معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج ووزارة الأشغال العامة والاسكان وأمانة العاصمة المقدسة ومؤسسات أرباب الطوائف وغيرها من الجهات المشاركة.

* بعد ذلك بدأ الحفل الذي أقيم بهذه المناسبة بتلاوة آي من الذكر الحكيم ثم ألقى نائب رئيس هيئة الإشراف على مركز تدريب العاملين في الحج والعمرة السيدفؤاد عبدالحميد عنقاوي كلمة شكر فيها سمو أمير منطقة مكة المكرمة لرعايته هذه الندوة وكافة الدورات المنفذة والتي تدل على اهتمام سموه بتطوير خدمات الحج لتقديم أفضل وأرقى الخدمات لحجاج بيت الله الحرام وأشار إلى الدورات التي قام بها مركز تدريب العاملين بتنفيذها والتي شملت تدريب أكثر



من ٧٠٠ متدرب قام بتدريبهم نخبة من أساتذة الجامعات وعدد من المختصين.

بعد ذلك ألقى معالي وزير الحج الأستاذ إياد بن أمين مدني كلمة رحب فيها بصاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة رئيس لجنة الحج المركزية وشكره على رعايته للندوة.

وأشار معاليه إلى أنه في إطار الاستعدادات لموسم الحج تم هذا العام التفاوض مع أكثر من خمسين بعثة حج للتخطيط لخدمة حجاجهم كما تمت مناقشة تقارير الأعوام السابقة لتلافي السلبيات وتقديم المزيد من الخدمات للحجاج ليؤدوا مناسكهم بكل يسر وسهولة.

وأبان معاليه أنه بدأ العمل في توسيع وتحسين صالات الاستقبال للحجاج بمطار الأمير محمد بن عبدالعزيز هذا العام وذلك للاستفادة منها إن شاء الله في حج هذا العام مؤكداً أهمية الدورات والندوات التثقيفية والتدريبية وذلك لتقديم أرقى الخدمات من كافة العاملين بالوزارة من أدلاء ومكتب وزمازمة ومطوفين.

بعد ذلك ألقى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير

منطقــة مكة المكرمة رئيس لجنة الحج المركـزية كلمة قــال فيــها «إن خـــدمة حجــاج بيت الله الحــرام شرف تقــوم به هذه البلاد وتســخر كــافة إمكاناتــها بقيادة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني حفظهم الله».

وأشار سموه إلى أنه مهما صرف من أمــوال ومن جهد غير عادي وهو الجهد الذي نريده دائماً لخدمة ضيوف الرحمن فإن هذا يعتبر قليل جداً.

وأوضح سمــو أمير منطـقة مكة المكرمة رئيس لجنــة الحج المركزية أنه يجب أن تكون خدمة الحاج خــدمة غير روتينية وأن يضاعف الجهـد لخدمته وبذل الكثير لراحته ليؤدي نسكه بسكينة واطمئنان.

وشكر سموه في ختام كلمته كافة العاملين في وزارة الحج وتمنى للجميع التوفـيق في تقديم الخــدمات الجليلة لضيــوف الرحمن من حــجاج بيت الله الحرام ومضاعفة الجهود المبذولة لهم.





الندوة الثانية لتطوير خدمات الحج في المدينة المنورة

خلال الفترة من ٣ - ٧ ذي القعدة ١٤٢١هـ

الموافق ٢٨ يناير - ١ فبراير ٢٠٠١م

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبد العزيز

أمير منطقة المدينة المنورة رئيس لجنة الحج بالمدينة المنورة

المكان : قاعة المحمدية بالمدينة المنورة

حفل الافتتاح: الأحد ٣/١١/١٤٢١هـ الساعة العاشرة صباحا

برنامج الاحتفال: تلاوة آيات من القرآن الكريم

يتلوها الشيخ الدكتور محمد أيوب

كلمة هيئة الإشراف على مركز تدريب العاملين في الحج والعمرة

لسعادة الدكتور/ يوسف بن أحمد حوالة عضو هيئة الاشراف

كلمة توجيهية لمعالي وزير الحج الأستاذ إياد بن أمين مدني

كلمة توجيهية لصاحب السمو الملكي الأمير/ مقرن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة

بدىء الحفل كما هو محدد بالبرنامج بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم كلمة هيئة الإشراف لسعادة الدكتور يوسف بن أحمد حوالة أوضح فيها مسيرة مركز التدريب والدورات التدريبية التخصصية التي انعقدت للمديرين التنفيذيين ومديري الفروع في شركات خدمات العمرة ودورات تدريبية موجهة لمنسوبي مؤسسات أرباب الطوائف منطلقة من مساقات متنوعة: دورات تدريبية طوراً، وتثقيفية طوراً ثانياً، ثم ملتقيات تحضيرية طوراً ثالثاً، وندوات تطويرية طوراً رابعاً، أفاد منها ما ناهز الخمسة آلاف متدرب لحمتها كلها السعي إلى تنمية قدرات الموارد البشرية العاملة في مؤسسات أرباب الطوائف إعداداً وتأهيلاً وصقلاً، يتناغم ذلك مع إيقاع العصر الذي نعيشه والتطور الذي تشهده بلادنا. كما أشار سعادته إلى الدورة التدريبية في الإسعافات الأولية التي عقدتها المؤسسة باشراف مركز التدريب والتنسيق مع الجمعية السعودية لطب التخدير بجامعة الملك سعود بالرياض، وقد عقدت هذه الدورة في مستشفى الأنصار بالمدينة المنورة. وأضاف سعادة الدكتور يوسف حوالة أن هناك دورة قائمة في الحاسب الآلي أعدت وفق برنامج وزارة الحج ومؤسسات أرباب الطوائف مع المؤسسة الوطنية التي تم التعاقد معها لتشغيل الحاسب الآلي بكوادر وطنية.



وأشار سعادته إلى أن الندوة الثانية التي تنعقد.. هي في نسق الدورة التخصصية المركزة في الخطة التشغيلية للمؤسسة الأهلية للأدلاء لموسم حج عام ١٤٢١هـ وتتمحور في ورش عمل مختلفة على امتداد ثلاثة أيام تدريبية من الساعة ٨ صباحاً وحتى الساعة ٦ مساء متصلة وينخرط فيها يومياً عدد ١٧٥ متدرباً من منسوبي المؤسسة.. وتهدف هذه الندوة إلى اكساب مؤدي الخدمات مهارات التعامل الفعال وصقل خبراتهم المهنية والادارية والعمل بروح الفريق الواحد مما ينعكس أثره على الخدمة المقدمة لضيوف الرحمن.. ثم

شكر سعـادته صاحب السمو الملكي الأمـير مقرن بن عـبدالعزيز أميـر منطقة المدينة المنورة لتشريفـه حفل الافتتـاح ورعايته لهذه الندوة.. ثم شكر سـعادته مجلس ادارة المؤسسة رئيـساً ونواباً وأعضاء وموظفين الذين تشكلت منهم اللجـان المنظمة وقدم شكره أيضـاً لفرع وزارة الحج بالمدينـة المنورة ومديرها الأسـتاذ/ حـسن بن حامـد البكري ثم قدم درع تذكـاري لصاحب السمو الملكي الأميـر مقرن بن عبـدالعزيز ثم قام سموه بتوزيع شـهادات على المتدربين الذين حضروا الملتقى التـحضيري الأول الذي انعقد في مكة المكرمـة برعاية كريمة من صاحب السـمو الملكي الأمير عبـدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة رئيس لجنة الحج المركزية.

ثم ألقى معالي وزير الحـج الأستاذ إياد بن أمين مدني كلمة استعرض فيها جهود وزارة الحج وسعـيهـا المتواصل لتطوير أسـاليب الخدمـة والاستـفادة القـصوى من وسائل التقنية الحديثة وفي مقدمتها شبكة الحاسب الآلي العملاقة التي تربط الجهات العاملة في الحج وفي المدن الثلاث مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة، ونوه معاليه أيضاً بالتنسيق الذي يتم بين وزارة الحج وفروعهـا وبين الجهات ذات العلاقة بشؤون الحج وترتيب شؤون الحجاج منذ وصولهم وحتى مغادرتهم إلى أوطانهم.

ثم ألقى صاحب السـمو الملكي الأمير مقـرن بن عبدالعزيز أميـر منطقة المدينة المنورة رئيس لجنة الحج كلمـة توجيهيـة إلى أبنائه المتدربين أكد فـيها على أهمـية التـدريب في هذا العصـر وأن على الجمـيع أن ينتـهز الفـرصة للإنخـراط في الدورات بالجدية المطلوبة وأنه لا مجال للمتقاعسين أو العازفين عن المعرفة خاصة ونحن في عصر تقنيـة المعلومات. وأن الدولة أعزها الله بقيادة خادم الحـرمين الشريفين حفظه الله وسمو ولي عهده الأمين أيده الله.. لم تبـخل على أبنائها لنيل درجات عليا من العلم والمعرفة.. واهتـمام القيادة الرشـيدة بالحج والحجاج والزوار يحتـم على الجميع أن يكونوا في سباق مع الزمن وعدم التخلف عن ركب التطور السريع الذي نشهده.. ثم أكد سموه الكريم بأنه لن يسـمح لمقصر أن يشوه الصورة الطيبة التي يحـملها المسلمون في أرجـاء المعمـورة عن هذا البلد وأهله ..ودعـا سـموه الكريم أن يعـين الجمـيع على تحمل المسؤولية الملقاة على عواتقهم.

وفي نهاية حفل الافتتاح قدم درع تذكاري بهذه المناسبة لصاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة ورئيس لجنة الحج.

ثم كان برنامج الندوات خـلال الفترة من ٤ إلى ٦ ذي القـعدة ١٤٢١هـ في ورش

عمل علمية لشرح الخطط التشغيلية للقطاعات وكان البرنامج اليومي محدداً كالتالي:

تسجيل المشاركين ــ التأكد من الخبرات السابقة.

البرنامج والأهداف: نظرة عامة على الخطة التشغيلية.

الجزء الأول: واجبات ومهام التنفيذيين في مكاتب الخدمة الميدانية

واجبات ومهام التنفيذيين (ورشة العمل الأول).

الجزء الثاني: الجديد في خدمة هذا العام.

الجزء الثالث: خطط واجـراءات قطاع الاستقبال والحـاسب الآلي (ورشة العمل الثانية).

ثم صلاة الظهر واستراحة الغداء.

الجزء الرابع: خطط واجراءات القطاعات الأخرى (ورشة العمل الثانية)

ثم صلاة العصر.

ومن ثم التأكد من المعرفة والتحصيل.

وفي يوم الخميس الموافق ٧ ذي القعدة ١٤٢١هـ كـان الحفل الختامي في (قاعة المحمدية) برعـاية صاحب المعالي وزير الحج حضره نيابة عنه سـعادة وكيل وزارة



الحج الأستاذ/ حاتم بن حسن قاضي.. حيث بدىء الحفل بآيات بينات من القرآن الكريم ثم كلمة لسعادة رئيس مجلس ادارة المؤسسة الشيخ عبدالوهاب بن إبراهيم فقيه أوضح فيها سعادته أن مجلس الإدارة معني بمن يؤدون الخدمات المتنوعة وأشار سعادته في كلمته إلى الإنجازات التي تحققت مثل تطوير شبكة الحاسب الآلي الرئيسية بطريق الهجرة وإمكانية الاستعلام وتنفيذ المغادرة الآلية وأرشفة الجوازات والاستفادة من عامل الوقت ثم تحديث بعض مكاتب الخدمات الميدانية لتكون واجهة مشرقة تعكس مدى ما توليه القيادة الرشيدة لهذا الوطن من اهتمام بضيوف الرحمن والسهر على راحتهم. ثم أشار سعادته إلى أن مجلس الإدارة يطمح إلى استقرار العمل الإداري والميداني في كافة مواقع الخدمات واستخدام المعايير الإدارية والفنية عند تسكين الوظائف القيادية.. ثم انتقل سعادته إلى أن المؤسسة قامت بميكنة الأعمال المالية وشؤون المساهمين والأعمال الإدارية متمثلة في الاتصالات الإدارية والتوظيف الموسمي والدائم بعد الاتفاق مع شركة وطنية متخصصة في وضع البرامج ومكوناتها.. ثم شكر سعادته كافة الجهات ذات العلاقة



بالحج في المدينة المنورة وفرع وزارة الحج بالمدينة المنورة.. وقدم الشكر لصاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة لرعايته وتشريفه حفل الافتتاح.

ثم ألقيت كلمة المتدربين ألقاها نيابة عنهم المتدرب فهد أحمد النعمان أبان فيها مدى الاستفادة التي حصلوا عليها من في هذه الندوة وأهمية الدورات لمؤدي الخدمات وشكر المؤسسة ومركز التدريب على اهتمامهم بهم وقدم شكره أيضاً لسعادة وكيل وزارة الحج وللمحاضرين الذين لم يبخلوا عليهم بعلمهم وخبراتهم ودعا الله أن يوفقه وزملاؤه لأداء واجباتهم تجاه ضيوف الرحمن وأن يحفظ لهذه البلاد قيادتها الرشيدة.

بعد ذلك ألقى سعادة وكيل وزارة الحج الأستاذ حاتم بن حسن قاضي كلمة نيابة عن معالي وزير الحج أوضح فيها جهود وزارة الحج وتفعيل البرامج التدريبية من خلال مركز التدريب وأشار سعادته إلى الدورات التثقيفية والتخصصية التي تأتي مسايرة لحركة التغيير المستمرة والمتوافقة مع المتطلبات اللازمة لمؤدي الخدمات وأشار سعادته إلى تنفيذ عدد من البرامج خارج الوطن ومن بينها المؤتمر التوعوي الأول الذي انعقد في كوالالمبور بدولة ماليزيا والوفود المشتركة بين وزارة الحج ومؤسسات أرباب الطوائف لباكستان والهند وبنجلاديش ودول أوروبا هدفها جميعاً ضيوف الرحمن وزوار مسجد الرسول المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم.

كما أشار سعادته إلى خطة الوزارة الرامية إلى تنفيذ المسار الواحد وازدواجية المغادرة من جدة والمدينة المنورة وهي خطوات مباركة ستؤدي إلى تحقيق قدر أكبر من الراحة والإطمئنان لضيوف الرحمن. وشكر سعادته صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز على تفضله برعايته وتشريفه الندوة الثانية لتطوير خدمات الحج ودعا الله سبحانه وتعالى أن يوفق الجميع في أداء أعمالهم تجاه حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد الرسول المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم.

ثم ألقيت محاضرتان نالتا استحسان الحاضرين ثم قدم درع تذكاري لمعالي وزير الحج تسلمها نيابة عنه سعادة وكيل وزارة الحج الأستاذ حاتم بن حسن قاضي بعدها انصرف الجميع لتناول طعام الغداء الذي أقامته المؤسسة الأهلية للأدلاء بالمدينة المنورة إيذاناً بانتهاء فعاليات الندوة الثانية لتطوير خدمات الحج بالمدينة المنورة. والله ولي التوفيق.



المرأة وبناء المجتمع في خطبة الوداع



معالي أ.د. محمد عبده يماني *

ما أروع أن نقف لحظات نتدبر تلك المعاني والتوجيهات العظيمة في حجة الوداع، يوم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد الله، ثم يشهد تلك الجموع الغفيرة التي وقفت على صعيد عرفات، بأنه قد بلّغ، ويكررها، مع أنه يعلم أن الله سبحانه وتعالى يعلم سره وعلانيته، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، حتى أنه يعلم دبيب النملة

السوداء في الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ومع ذلك وقف عليه الصلاة والسلام يكررها: «ألا هل بلغت.. اللهم فأشهد» ووقفت الجموع تنصت إليه وتشهد أنه قد بلَّغ، وتقول: نعم.. نعم.

ومن هنا فإن بعض العقلاء ينظر إلى هذه الخطبة في هذا اليوم على أنها دعائم لبناء الأمة ودستور لحياتها، ولهذا يعكفون على تحليل هذه الخطبة ويقفون فيها ويتعمقون في فهم معانيها ويدرسون أبعادها، فقد كانت خطبة عظيمة جامعة، حدد فيها عليه الصلاة والسلام أموراً جوهرية، وجعل هنالك فصلاً بين حياة الجاهلية ونعمة الإسلام، وحط تلك الأمور التي حكمت علاقات الناس في جاهلية عمياء، كانت تتحكم فيها، واضعاً إياها تحت قدميه رافضاً إياها ومبطلاً لها بأمر الله إلى يوم القيامة، وبدأ بأمر هو أخطر ما يتهدد حياة الإنسان ماضياً وحاضراً وإلى يوم القيامة وهو الربا فأبطله كله، وبدأ بربا عمه العباس فقال: إن كل ربا موضوع وإن ربا العباس بن عبدالمطلب موضوع كله، ثم انتقل إلى قضايا جوهرية أخرى، وجعلها بين الأمة محرمة، وجاءت لفتة عظيمة إلى قضية وساوس الشيطان، وإنه بشدة خبثه وعناده وإصراره على إغواء الناس، حتى أقسم بعزة الله ليغوينهم جميعاً، إلا أنه يئس أن يعبد من قبل هذه الأمة بعد أن هداها الله، وأنار لها الطريق، وأرسل إليها خاتم الأنبياء والمرسلين، ليخرجها من الظلمات إلى النور بأمر الله ومنهجه وشريعته، لكن هذا الشيطان رغم يأسه من أن يعبد، فقد أعلن أنه سيكتفي باقتناص الفرص للتحريش بين المسلمين وايقاع العداوة بينهم، وإيقاعهم في الآثام، وإبعادهم عن صراط الله، وقد أعلن صلى الله عليه وسلم تحذيره للأمة من كيد الشيطان ومكره وإغوائه، وجاءت خطبة الوداع لتنبه الناس إلى قضية مهمة وهي أن الحلال بيّن والحرام بيّن، وأن من واجب المسلم أن يحرص على ألا يأكل إلا من حلال، وأن يتجنب الحرام، ثم جاءت وصيته الرائعة للنساء خيراً، والتنبيه إلى ذلك العقد والعهد العظيم الذي استحلوا به فروج النساء بكلمة الله.

ومن هنا فإن على الرجال مسئولية عظيمة أن يتقوا الله في النساء، وأن يكرموهن وألا يظلموهن أو يعتدوا عليهن، وألا يأكلوا أموالهن بالباطل، وجاء التشريع يوضح عقوبة نشوز النساء واستغلالهن على الرجال، وعد ذلك فاحشة من الفواحش التي ينبغي على نساء المسلمين أن يجتنبنها طاعة لله ورسوله، وإبقاء على المودة والرحمة بين الأزواج التي تملأ الحياة سعادة واطمئناناً، وأن عقوبة الناشز أن تضرب ضرباً غير مبرح، مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه أنه ضرب امرأة أو طفلاً أو أهان أي إنسان مهما كانت طبيعته أو جنسه، وقد كان عليه الصلاة والسلام رؤوفاً رحيماً، وكان الرحمة المهداة، ووصفه رب العالمين بأنه الرحمة للعالمين جميعاً: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، ودعونا الآن نستعرض تلك الخطبة العظيمة خطبة الوداع:

خطبة الوداع

أيها الناس: اسمعوا قولي فإني لا أدري، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً.

أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ـ وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت ـ فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ـ وإن كل ربا موضوع ـ ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون، قضى الله أن لا ربا، وإن ربا عباس بن عبدالمطلب موضوع كله.

وإن كل دم في الجاهلية موضوع، وإن أول دماءكم أضع دمه ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ـ وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل ـ وهو أول من أبدأ به من دماء الجاهلية.

أما بعد أيها الناس: أن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به، مما تحقرون من

أعمالكم فاحذروه أيها الناس: إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متوالية ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان أما بعد أيها الناس: فإن لكم على نسائكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن، فإن الله أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مباح، فإذا انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لايملكن لأنفسهن شيئاً وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله.

فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت.

وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمراً بيننا كتاب الله وسنة نبيه.

أيها الناس: اسمعوا قولي واعقلوه.

تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم بلغت؟.

وفي رواية وأنتم تسألون عني فماذا أنتم قائلون؟.

قالوا: نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت.

فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها لهم اللهم أشهد، اللهم أشهد، اللهم أشهد. ثلاث مرات.

ومنذ الوهلة الأولى والقراءة الأولى لهذه الخطبة، سنجدها تناولت ركائز المجتمع السليم، وأركان الحياة السعيدة.

فهي تقرر الضرورات التي لابد منها لاستمرار الحياة، من حفظ للدين والنفس والعقل والمال والعرض والأسرة والمساواة والعدل، وتقرر حرمة ما حرم أو قدس من الزمان والمكان، وما وثق من العقود والعهود والحقوق والأمانات بتوثيق هذه الثوابت التي دعت إليها ونلقي بالضوء عليها.

تبدأ الخطبة بهذا النداء العام: «أيها الناس» ثم يسترعى انتباه السامعين إلى أهمية ما سيلقي عليهم ملمحاً إلى أنه خطاب توديع وتسليم الأمانة والمسؤولية للأمة، بعد أن يغيب عنها معلمها وقائدها وهاديها صلى الله عليه وآله وسلم.

أيها الناس:

اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا، ثم يستهل صلى الله عليه وآله وسلم عرضه لثوابت القيم، وأسس امتداد الحياة السعيدة، ببيان المحرمات التي يجب ألا تنتهك في النفس والأموال والزمان والمكان، كما ينبه إلى أن ترك المفاسد يسبق فعل المصالح، كما هو معلوم فللأبدان حرمة، وللأموال حرمة مؤبدة إلى يوم القيامة، وكذلك للزمان حرمة في أيام وأشهر وليال لا تبدل ولا تنسأ بالهوى، ولا يعتدي على هذه الحرمة بالانتهاك أو النسيء، والنصوص في ذلك كثيرة: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾.

: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير﴾.

: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾.

: ﴿الحج أشهر معلومات﴾.

: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾.

: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾.

: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر﴾.

: ﴿والفجر وليال عشر والشفع والوتر، والليل إذا يسر﴾.

﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾.

وفي حرمة الأمكنة نقرأ:
- ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء﴾.
- ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾.
- ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾.
- ﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾.
- ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً﴾.
- ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾.
- ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾.
- ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾.
- ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾.
- ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً وإذا حللتم فاصطادوا﴾.
- (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً﴾.
- ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مسكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه﴾.
- ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله﴾.
- ﴿ لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد﴾.
- ﴿والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين﴾.
- ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾.
- ﴿والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور﴾.
: ﴿إنك بالواد المقدس طوى﴾.
- ﴿فلما أتاها نودى من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة﴾.
- ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة﴾.

وتحريم المدينة نصوصه كثيرة في السنة.

وتحريم أُحد وارد فيه كثير من مثل «أحد جبل يحبنا ونحبه».

والحديث في فضل المساجد الثلاثة مشهور - وتخصيص مسجد قباء بثواب عمرة في صلاة الركعتين للوافد عليه معلوم.

وليس المقام مقام إحصاء وإلا لطال بنا المقام - وهدفنا هنا أن نبين بعض ما حدده الله ورسوله من أماكن وأزمان كرمها الله أو جعلها حرماً أو قدساً وبارك فيها، وأخبرنا بها فيما أسلفنا من نصوص - مثل الحرمين والمسجد الأقصى، والوادي المقدس طوى، والقرى التي بارك فيها وغيرها. ونجد ذلك في مستهل الخطبة في قوله: «أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا -وفي رواية وكحرمة بلدكم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم وقد بلغت.

فإذا حقنت الدماء وصينت - وزكيت الأموال وأخذت من حلال ووضعت في حلال، وسلمت الأعراض وقدست الحرمات حتى في المكان والزمان - قام المجتمع الآمن - واتجهت الأمة إلى مسئولياتها وأهدافها مطمئنة إلى هذا الأمن الشامل القائم على مراقبة الله والتزامها بما أمر، وحتى يتم هذا الأمر نجده صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد على أداء الأمانات، ويحدد سبل المعاملات محذرا من الربا، مهدرا ما كان قائماً منه قبل تحريمه، بادئاً في ذلك بأقرب الناس إليه فيبطل ما كان

للعباس من ربا، وأن عليهم أن يكتفوا بأصل المال ـ وأن ذلك هو العدل للطرفين فيقول: «فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من أئتمنه عليها. وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم ولا تظلمون ولا تظلمون.. قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا العباس بن عبدالمطلب موضوع كله.

وهنا نراه صلى الله عليه وآله وسلم يطوي بذلك صفحات من الماضي في العلاقات المالية، ائتماناً وتعاملاً وقرضاً، وما أكثر ما تثور البغضاء بسبب الخيانة أو الجور فيها.

ويتبع ذلك بأمر الدماء فيطوي ماضي الثأر، فيهدر دماء الجاهلية كلها وليمضوا في حياتهم الجديدة دون أحقاد، تمزق الوحدة وتزلزل المجتمع بالتربص وسفك الدماء وطلب الثأر، الذي كم أشعل الحروب بين القبائل أزماناً متطاولة.

فالأمة المؤمنة تعرف معنى التسامح والعفو، وترجع في أخذ حقوقها وعقاب المعتدي فيها إلى ما شرع الله، لا إلى السيف إلا في جهاد مشروع.

«وإن كل دم في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل ـ وهو أول من أبدأ به من دماء الجاهلية».

وتأتي هنا قضية مهمة وتأكيد صريح على أن قوام الحياة اليومية للأمة هو صيانة المال وانضباط المعاملات وحفظ الأنفس، وأداء الأمانات ومحو الضغائن، وخلوص النيات، والحرص على أمر الله في كل حال فيما صغر أو كبر من الأعمال. وإن هذا هو الرقيب الذاتي والوازع النفسي الفردي الذي يغلق مداخل الشيطان ومساربه، وجموح الهوى، ويحفظ حدود الله في السر والعلن، ويرد الناس إلى أمر الله ومراقبته، ويطهر الضمائر والأعمال من الحيف على النفس أو على الناس، ويقيهم عذاب الله في الآخرة، وأن لا ينخدع أحد باستفاضة الإسلام وظهور الإيمان، ونبه إلى أن محقرات الذنوب مع تكرار وقوعها والإصرار عليها تصبح مثل الكبائر في هدم الفرد والمجتمع، وفي الوقوع في جهنم، إلى جانب أن اعتيادها ييسر على فاعلها أمر الكبائر، ويجعله جريئاً عليها، وضرب لهذه الأعمال مثلاً بالنسيء الذي به كانوا يتلاعبون بالأشهر الحرم تقديماً وتأخيراً، فيسمون الأشهر بغير أسمائها.

أما بعد: أيها الناس: فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم.

أيها الناس:

إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله ـ وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ثلاث متوالية، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

وكانت ربيعة تجعل بدله شهراً آخراً ليستحلوا فيه القتال بعد أن غيروا اسمه، وهذا هو النسيء الذي حذرهم الله منه، وجعله زيادة في الكفر والضلال، ولهذا حدده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه رجب مضر ـ وحدده بأنه الذي بين جمادى وشعبان.

ونأتي الآن إلى قضية مهمة، وهي أن هذه الخطبة قد ركزت على الأسس العامة لصيانة الدين والنفس والعرض والمال. وأكدت على حرمات أساسية حرمة الزمان والمكان، ثم جاءت قضية الأسرة كقضية أساسية في خطبة الوداع، وركزت عليها باعتبارها من أسس كيان هذه الأمة لأن من المهم التأكيد على أهمية صلاح الأسرة، فجاء الحث على ضرورة المحافظة على صيانة الأسرة في المجتمع، حتى تعيش في أجواء مستقرة آمنة، وجاءت خطبة الوداع لتؤكد تأكيداً صريحاً على الحقوق والواجبات بين الزوجين، وأن هذا الأمر لابد أن يقوم على التراحم والعدل والاحترام المتبادل، وأن

تكون البيئة الأسرية بيئة صالحة لتربية الأجيال في جو أسري يلتزم بأوامر الله، ويبني علاقاته على الرحمة والعدل، ويؤكد على ذلك في نظرته نحو بناء الأجيال المتعاقبة، باعتبار أن هذه النظرات التربوية للأمة فيها بيان لأهمية استمرار الأمة، وحفظ النوع، وتواصل الخلف مع السلف، وفيها تربية دينية، وعزٌّ للأمة وقوة في البأس، ودعوة إلى الانتاج والسعي في مناكب الأرض والعمل الصالح، ثم نلاحظ تلك الدعوة الصريحة لرعاية شؤون المرأة، وأن للمرأة حقوقها وعليها حقوقاً والتأكيد على إنسانيتها، وإنه يوصي بها صلى الله عليه وسلم خيراً، ويأمر بإكرامها ورعايتها ويحذر من ظلمها، ثم يوضح في أدب نبوي أسس التربية وسبل التقويم، فيأتي النص واضحاً جلياً كما يلي:ـ

أما بعد:

أيها الناس: فإن لكم على نسائكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ـ فإذا فعلن فإن الله أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإذا انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان، لايملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد بلغت. وما أجمل وأروع ما نسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هدى وبيان في شأن النساء وتأكيد لمسؤولية الرجال عن رعايتهن وكفايتهن، ورسم منهج اصلاحهن وإن أخطأن دون عنف أو عدوان، أو استدامة للعتب أو العقاب أو الهجر، وحتى الضرب شرط فيه ألا يكون مبرحاً ولا مؤذياً بكسر عضو أو بترك أثراً، وأن القصد منه التنبيه إلى الخطأ بقصد تركه، واصلاح الاعوجاج وصولاً إلى المودة والرحمة والسعادة.. وهو في ذلك مشروع حكيم لكل الأمة على اختلاف مستوياتها وطبائعها وأحوالها، ولا يلجأ إلى الضرب إلا مع من لا تصلح بالوعظ والهجر وسائر سبل الإصلاح بالتي هي أحسن..

أما هو فلم يؤثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه ضرب امرأة أو غلاماً بل يقول: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وقد دعا إلى إكرامهن في أقوال كثيرة تبين أنه لا يهينهن أو يذلهن إلا لئيم. ونراه في خطبته هذه يؤكد على وجوب الحفظ والرعاية والكفالة والتكريم لهن، ببيان أن عقد النكاح عقد من الله، وهو الذي أمر به ووضع أركانه وحدوده، ووضح علاقاته بكلماته ووحيه «استحللتم فروجهن بكلمات الله» وأنهن أمانة عند الرجال: «إنما أخذتموهن بأمانة الله» فيشعر هذا بوجوب صيانتهن وتكريمهن كصيانة أمانة العزيز الذي لا عزيز مثله، وذلك بالرفق والحفظ والحرص عليهن، وأداء حقوقهن في سماحة ووفاء بعهد الله وكلماته. ومن عجب أنه في هذه الفقرة خاصة، وبعد كل هذا التأكيد في شأنهن، يختم ذلك بعبارة لم ترد في الخطبة من قبل، فيقول: (فاعقلوا أيها الناس قولي) يوجه الأمة أن تعقله وعياً وإدراكاً وتطبيقاً، وتعقله حفظاً وعملاً واستمساكاً، وهذا هو وعي الحفظ والحرص على التطبيق والتنفيذ.

ثم يجمل المنهج إلى ذلك وبين دستور الحياة للمؤمنين والمؤمنات في حضوره وغيبته، في الميزان الذي توزن به كل جوانب الحياة وشئونها، وفي جدها ولهوها، وحربها وسلمها ـ وذلك الميزان هو الوديعة الغالية الثمينة الباقية فينا من بعد رحيله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الدنيا ـ وهي كتاب الله وسنة نبيه، الفرقان الذي يفصل في كل خلاف، ويوضح كل سبيل، ويرشد إلى كل هدى، ويحل كل معضلة، ويقود الأمة إلى الحق والنصر، والسعادة واليسر، ويزيد التأكيد في هذا التوجيه بأن يلفت الأسماع للحفظ، والعقول للفهم والوعي، كما فعل في الفقرة السابقة فيقول:

«وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا امرا بينا: كتاب الله وسنة نبيه..

أيها الناس فاسمعوا قولي واعقلوه».
ولأن الجاهلية كانت تقوم على العصبية والعنصرية والتفاضل بين الناس بالألوان والأنساب والأموال والأجناس حتى طلب زعماؤها يوماً خاصاً ومجلساً خاصاً من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ليسمعوا منه، وأن يطرد عن مجلسه الفقراء والعامة أنفة من أن يجلسوا معهم وكبراً وعتواً، عن أن يخالطوهم ولو في لحظة دعوة، وقد أثبت الله سبحانه ذلك في آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ فيرشد إلى أنهم يجب أن يدعوا ما كانوا عليه من قبل، ويتعلموا معنى السماحة، وفضيلة التواضع، وحقيقة المساواة فيقول:

«اعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين أخوة»

فوضع بذلك قاعدة المساواة المطلقة، وأوجب على الكل أن يتعلمها، والعلم لا يكون له نفع إلا إذا عمل به - كما قال أهل العلم - فيقول بصيغة التوكيد - «تعلمن» ليمحو بها ما اعتادوا من قبل من الاستعلاء على الآخرين وعيبة الجاهلية وتعظمها بالآباء ورتب على ذلك ما تقتضيه الأخوة بين المسلم والمسلم من رعاية لحقوقه وحفاظا على ماله والتعفف عنه، إلا ما أعطاه إياه عن رضى وطيب نفس، دون غضب أو إكراه ولو بالحياء «فما أخذ بسيف الحياء فهو حرام».

إن أشد ما يفسد الأخوة هو العدوان على النفس أو المال، وإهدار الحقوق فيقول:

فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس فلا تظلمن أنفسكم» ثم يعلن براءة ذمته مما كلف به من بلاغ وتعليم، ويستشهد على ذلك حتى أقروا بذلك وشهدوا له بالبلاغ - فلما فعلوا، استشهد الله على ما يقولون - باللفظ والاشارة - برفع إصبعه السبابة إلى السماء ثم ينكتها إليهم وهو يقول:

«اللهم فاشهد، اللهم فاشهد». وفي رواية: وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد إنك بلغت وأديت ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكثها إليهم: اللهم اشهد، اللهم اشهد.. ثلاث مرات».

صلى الله وسلم عليك ياسيدي يارسول الله، فقد بذلت الجهد، وأفرغت الوسع تحملاً لعبء الرسالة، وتجلداً في عرضها، وصبراً على أذى المعاندين لها، وإصراراً عليها رغم ما بذلوه لك من مغريات ليصرفوك عنها، ومثابرة في التعليم والتوجيه لمن آمن بها - وعزماً وبأساً في الجهاد حرباً وسلماً، سفراً وحضراً، وقرباً أو بعداً، عسراً أو يسراً، وعلمتنا القرآن الكريم بأمر ربك تلاوة وضبطاً، وترتيلاً وحفظاً، وبذلك الوحي الثاني لنا توضيحاً وتفصيلاً، وتأكيدا وتأسيساً، في سنة كريمة محفوظة.

كانت هذه نظرات في قضية بناء المجتمع في خطبة الوداع وهي نظرات محدودة، ومطالعات بسيطة، لأن هذه الخطبة هي خطبة عظيمة، جاءت في يوم عظيم، يوم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد تلك الجموع فوق صعيد عرفات ويبلغها لجميع الأمة إلى يوم القيامة، فجزاه الله خير الجزاء عنا وعن المسلمين وإن من الواجب أن يقف علماء الأمة ومفكروها لينظروا بصورة عميقة في هذه الخطبة، وما أوضحته وما حددته من قيم ومبادىء لبناء المجتمع وتربية الأمة، وسبحان الله الذي علَّم رسوله صلى الله عليه وسلم الحكمة وفصل الخطاب ليقول تلك الكلمة الجامعة، وينبه الأمة ويعلمها بما علمه الله بأنها خطبة الوداع، وأنه لا يلقاهم بعد خطبته تلك وعامهم ذاك، وفعلاً كانت خطبة الوداع، ولاشك أنها وضعت الأسس الثابتة، وأوضحت مفاهيم وتوجهات لبناء هذه الأمة، ومن واجبنا أن نعود إليها بين وقت وآخر. لننهل منها ومن السنة الشريفة الطاهرة التي هي معين لا ينضب، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا، وهو خير مما يجمعون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

* مفكر إسلامي .. وزير الإعلام السعودي الأسبق

من بدائع أسرار الحج



بقلم: الشيخ محمد علي الصابوني*

كثير من الناس لا يعرف دقائق أسرار الحج العظيمة، فيظن أن الحج أمر تعبدي فحسب، لايمكن أن يعرف الإنسان الحكمة من تشريعه، سوى الطاعة والإذعان والخضوع لأمر الله عز وجل!!

والقليل من المسلمين من يعرف بعض الحكم فيه، وهو أنه «مؤتمرٌ لتعارف شعوب الأمة الإسلامية» ليتدارسوا بينهم ما يرفع شأن المسلمين، ويجمع كلمتهم، ويوحد صفوفهم، ثم ليتطهروا من الذنوب والأوزار، فهو في نظرهم (مؤتمر تعارف وتطهير) وليس بعد ذلك شيء، إلا الشكر لله عز وجل الذي يسر له أسباب الحج وأوصله سالماً إلى البقاع المقدسة، ثم رده غانماً إلى أهله ووطنه!

«دقائق أسرار الحج»

إن للحج أسراراً دقيقة، ينبغي أن يتنبَّه لها قاصد الحج.. فما شُرع الحج لمجرد أنه رحلة سياحية تعبدية، فيه طواف، وسعي، ووقوف بعرفة، ونزول إلى مزدلفة، ورمي للجمار، ورؤية الأماكن المقدسة والآثار.. وإنما شرع لأسرار دقيقة وحكم سامية، لا مندوحة عن معرفتها لمن أراد أن يدرك أسرار هذه الفريضة المقدسة، التي أوجبها الله على عباده المؤمنين بقوله تقدست أسماؤه ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم...) الحج (٢٦-٢٨).

الحكمة الأولى: الحج رحلة جهادية

إن الحج رحلة جهادية ، علمية، تربوية.. الأساس فيها تهيئة النفس، لإعداد المسلم أن يكون في حياته مجاهداً مناضلاً، ينخرط في صف المجاهدين الأبطال، ليكون جندياً من جنود الإسلام، يعرف واجبه في الدفاع عن مقدساته، ويقدم نفسه وماله فداء لهذا

الدين العظيم، ولهذه العقيدة التي سرت في دمائه، وامتزجت بروحه وعاهد ربه أن يحيا من أجلها، ويموت في سبيلها، ألا وهي عقيدة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهي ما أشارت إليها الآية الكريمة، حين أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام أن يقوم بتشييد بيته العتيق عليها ﴿أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين﴾ وممَّ يطهره؟ من الوثنية وعبادة غير الله تبارك وتعالى!! إذاً أول ما ينبغي أن يضعه الحاج نصب عينيه، أنه إنما خرج مجاهداً في سبيل الله، لا لدنيا، ولا لجمع مال، ولا لمكسب من هذه المكاسب العاجلة، إنما خرج ليجاهد نفسه، وهواه، والشيطان الذي يغوي الإنسان.

ولقد سمى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحج جهاداً، لما فيه من مجاهدة النفس، وتدريبها على تحمل المشاق، ففي الحديث الشريف عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت يارسول الله «نرى الجهاد أفضل الأعمال، أفلا نجاهد؟ قال: لا، ولكن أفضل الجهاد: حج مبرور» رواه البخاري.

أرأيت أخي الحاج كيف سمى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحج جهاداً؟ بل عده أفضل الجهاد وبخاصة للنساء والضعفاء من الرجال!!

الحكمة الثانية: الحج هجرة في سبيل الله

والحج هجرة في سبيل الله، هجرة من الوطن طلباً لمرضاة الله، وهذه الهجرة سنها الخليل إبراهيم عليه السلام حين ترك قومه، وترك وطنه، وخرج مهاجراً في سبيل الله، بعد أن نجاه الله من النار ﴿وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكم﴾ العنكبوت (٢٦) والهجرة في سبيل الله أمرها عظيم، وشأنها جليل عند الله عز وجل، ولذلك أثنى الله عز وجل على أولئك المؤمنين الصادقين، الذين تركوا الديار، وهجروا الأوطان نصرة لدين الله، فقال سبحانه ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم، وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾ آل عمران (١٩٥)

***

إن الحاج عندما يخرج من بلده، عليه أن يتذكر هجرة أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم، فإنهم لم يهاجروا من أوطانهم في سبيل الرزق، ولا من أجل تجارة، ولا لعمل يحصلون من ورائه على المال الوفير، إنما هاجروا نصرة لدينهم، وإعزازاً لأنفسهم أن يظلوا مستذلين تحت أيدي المشركين، وهم لا يستطيعون أن يرفعوا شعار الإسلام، ولا أن يؤدوا شعائره، وراية الكفر فوق رءوسهم عالية خفاقة، لذلك كانت هجرتهم إرغاماً للأعداء، وإعزازاً للدين، ورفعة لشأن المسلم ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة﴾ ـ أن يجد في أرض الله الواسعة ما يرغم به أنوف أعدائه ـ ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً﴾ النساء آية (١٠٠).

وهكذا الحاج يترك أهله، وماله، وأولاده ويخرج قاصداً بيت (ملك الملوك) رب العزة والجلال، الذي من قصده بصدق ويقين، لم يخيب رجاءه، ونال ما يشتهيه من أنواع الخير والكرامة، كما قال سيد البشر - صلى الله عليه وسلم «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» رواه البخاري ومسلم.

الحكمة الثالثة: الاعتبار بمشاهدة المشاعر

ومن الحكم التي شرع من أجلها الحج، أن يشاهد الحاج الآثار الكريمة، التي هي مظهر عظمة هذا الدين المجيد، ففي مكة المكرمة المسجد الحرام، الذي من دخله كان آمناً، وفيها الكعبة المشرفة التي جعلها الله مركزاً لدولة التوحيد، ورمزاً لوحدة الأمة الإسلامية حولها تتوجه وجوه المسلمين في صلاتهم، وهي المغناطيس الذي يجذب الأفئدة إليه ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس - أي قواماً لمصالحهم الدنيوية والدينية - والشهر الحرام والهدي والقلائد، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم﴾ المائدة (٩٧).

الصفا والمروة من شعائر الله

ثم رواية الصفا والمروة اللذين جعلهما الله من شعائر دينه - أي من معالم دين الإسلام - وأوجب السعي بينهما إحياءً لذكرى مجيدة من أعظم الذكريات - لعلنا نذكر طرفاً منها بعد قليل - أما إن هذين الجبلين من شعائر دين الإسلام، قد أكدت ذلك وصرحت به الآية الكريمة في قوله سبحانه ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾ البقرة (١٥٨).

ومن الشعائر التي ينبغي للحاج تذكر أحداثها (مقام إبراهيم) وهو الحجر الذي وقف عليه الخليل إبراهيم عندما ارتفع البناء فأتى له إسماعيل بحجر كبير ليقف عليه فكان إبراهيم يبني وولده إسماعيل يأتي بالحجارة حتى تم البناء، وإلى هذا المقام تشير الآية الكريمة ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً﴾ البقرة.

كما يشاهد الحاج البقاع المقدسة التي أراد الله أن تكون ضمن هذا الشريط الذي يقيم فيه الحاج ألا وهو «منى» و«مزدلفة» و«عرفات» والمشعر الحرام ففي «منى» يبيت الإنسان أيام التشريق، وفي مزدلفة يقف الحاج عند المشعر الحرام، وفي عرفات يقف الحجاج نهاراً وجزءً من الليل، وكلها آثار للرحلة الجهادية التي أمر الله بها من أراد حج بيته العتيق ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم...﴾ البقرة.

الحكمة من السعي

والسعي بين الصفا والمروة إحياء لذكرى عظيمة جليلة تلك هي ذكرى (هاجر) عليها السلام أم سيدنا (إسماعيل) عليه السلام حيث تركهما الخليل إبراهيم عند دوحة -

شجرة ـ مكان زمزم، وترك لهما كيساً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ولما أراد الرجوع إلى أرض فلسطين، لحقته هاجر فقالت يا إبراهيم: أين تتركنا في هذا الوادي القفر، الذي ليس به ساكنٌ ولا أنيس؟ فجعل لا يلتفت إليها خشية أن تصده عن تنفيذ أمر الله؟ وجعلت تكرر له القول ثم قالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، فقالت الأم المؤمنة: إذهب يا إبراهيم فلن يضعينا الله!!

حقاً إنه درس بليغ في الإيمان، ودرس بليغ في الصبر والاستسلام، ولما نفد معها الماء، ورأت ابنها الصغير (إسماعيل) يتلوى من العطش، أخذت تصعد الجبال باحثة عن الماء، فارتقت على جبل الصفا لعلها تجد أحداً، ثم هبطت نحو الوادي وسعت سعي المجهود حتى وصلت إلى جبل المروة وهي تريد أن ترى من ينقذها وطفلها الرضيع من الهلاك، فعلت ذلك سبع مرات ثم سمعت صوتاً فقالت: أغثنا إن كان عندك غواث!!

لقد رأت رجلاً ـ ظنته ـ إنسانً ـ وكان ملكاً بعثه الله فضرب برجله الأرض، فنبعت ماء زمزم بماء غزير، وقال لها: إن ههنا لله بيتاً يبنيه هذا الغلام وأبوه، فلا تخافي الضياع فالله سيحفظك مع طفلك الرضيع..

هذه نبذة عن ماء زمزم الذي سيبقى إلى ما شاء الله يشرب منه الحجيج ويملأون منه ويتزودون وهو الماء الوحيد الذي لا ينضب ولا ينقطع لأنه كرامة من الله عز وجل لهذه الأم المسكينة على صبرها وتحملها أنواع الشدائد في سبيل الله، وسيبقى الماء المبارك رمزاً لهذه الكرامة.

ما يمكن أن نستخلصه من أسرار الحج

وبإمكاننا هنا أن نستخلص بإيجاز بعض هذه الأسرار اللطيفة للحج، وأنه تذكير بالسفر الأكبر للآخرة.

فليتذكر الحاج من أول عزمه على السفر ما يأتي:

أولاً: ليتذكر عند وداعه الأهل، وداعه الدنيا عند سكرات الموت.

ثانياً: ومن مفارقة الوطن.. مفارقة الأهل والمال والأصحاب.

ثالثاً: ومن ركوب الدابة أو المركب.. ركوب المحمل والنعش

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمول

رابعاً: ومن لبس ثياب الإحرام.. الالتفاف عند الموت بالأكفان

خامساً: ومن البعد عن الأهل والوطن.. وحشة القبر حين يدخل وحيداً فيه.

سادساً: ومن التلبية.. الاستجابة لدعوة إسرافيل عند البعث. ﴿واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب، يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾ ق (٤١ ـ ٤٢).

سابعاً: ومن الوقوف بعرفة.. اجتماع الخلائق يوم الحشر الأكبر ﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء، لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾

فإذا تذكرت هذه المعاني وأنت تقبل على الله، عرفت حينئذ الغاية والحكمة من الحج، والله يحفظك أخي الحاج ويرعاك.

---

*أستاذ بجامعة أم القرى سابقاً

بعثات الحج ودورها في خدمة الحجاج





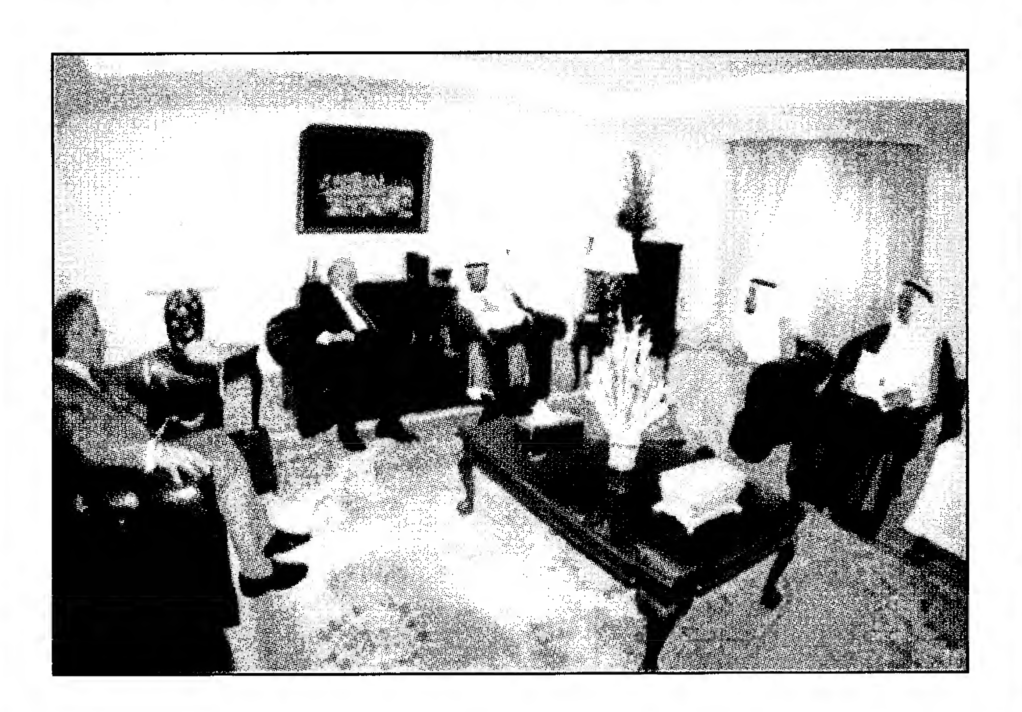
عبدالله عبدالمطلب بوقس *

تنظيم الحج في البلاد العربية والإسلامية في الأعوام السابقة لما قبل العهد السعودي لم يكن على الصورة التنظيمية التي عليها الوضع الحالي فالحاج الذي كان يأتي لأداء نسك الحج يختار مطوفه برغبته أو الذي رشحه له السمسار أو الحملداري أو صاحب الحملة التي أتفق على الحج معها ونشأ عن هذا التنظيم ما كان يعرف بالسمسرة، ويخضع اختيار اسم المطوف تبعاً لما يدفعه المطوف للسمسار من مبالغ نقدية، وكان غالبية المطوفين يتنافسون في ارضاء الحملدارية أو السمسار حتى وإن دفع له كامل عائد خدماته ولم يلق الحاج الخدمات الجيدة إلا ما ندر من أصحاب الضمائر الحية أو من سبقت شهرته البلدان الإسلامية لحسن خدماته، وقبل ذلك كان يوجه الحاج حسب التقرير الممنوح للمطوف من أمراء مكة المكرمة لبلد معين.

أما بعثات الحج أو ما كان يسمى بأمراء الحج فلم يكن لهم دور يذكر في خدمات حجاجهم إلا إذا استثنينا مجموعة ضيئلة كانت حريصة على متابعة خدمات حجاجهم مع المطوفين المسئولين عن خدماتهم وهناك ما كان يسمى (بالحملدارية) حيث يحضر كل حملداري مجموعة من الحجاج ويقوم بالتنسيق مع المطوفين والقيام بمتطلباتهم من مأكل ومشرب وأكثر من عرف بهذا التنظيم (إيران) ثم تحول الأمر إلى بعثة حج رسمية تتولى الإشراف على حملات الحملدارية، ثم بدأت بعض الشركات والمكاتب السياحية تدرك مدى ما تحققه الخدمات في الحج من أرباح مجزية، فكان التنافس بينها على أشده في كسب أكبر مجموعة لتكون ضمن منظومة مكتبهم السياحي.

وفي العهد السعودي الزاهر حيث العناية بحجاج بيت الله الحرام وتوفير مظلة الأمن وتهيئة كل ما يلزم الحاج من مأكل ومشرب منذ قدوم الحاج وحتى عودته لبلاده سالماً غانماً.

بدأت بعض البلاد العربية والإسلامية تنظم بعثات للحج إما بهدف الحصول على أكبر نسبة في الانتخابات للزعماء الذين كانوا يتنافسون على



المناصب الحزبية أو الحكومية أو بهدف تهيئة الراحة والطمأنينة لحجاجهم.. وذلك لمن كان يحرص بالفعل على راحة حجاجه لكن هذه البعثات كانت تعاني صعوبات جمة للسؤال عن مطوف بعينه يرغب حجاجها أن يقوم بخدمتهم أو البحث عن مطوف تطمئن البعثة لحسن خدماته.

وحين صدرت الإرادة الملكية السامية بتحويل الطوافة من عمل فردي لعمل قيادي جماعي.. وبدأ العمل الفعلي بنظام المؤسسات من عام ١٤٠٢هـ بإنشاء المؤسسة الأهلية لمطوفي حجاج تركيا ومسلمي أوروبا وأمريكا واستكملت باقي المؤسسات بإنشاء المؤسسة الأهلية لمطوفي حجاج الدول العربية، والمؤسسة الأهلية للأدلاء بالمدنية المنورة وذلك عام ١٤٠٥هـ وفي إطار هذا التنظيم الجيد لمؤسسات أرباب الطوائف بدأت البلاد العربية والإسلامية تدرك أهمية إيجاد تنظيم رسمي حكومي وأهلي لبعثات حج رسمية، ويتم تشكيل هذه البعثات من أعلى سلطة حكومية ومن الأقليات الإسلامية من المجالس أو الجمعيات الإسلامية، وبدأت وزارة الحج تطالب الدول العربية

والإسلامية بأهمية الاجتماع مع بعثات الحج برئاسة معالي وزير الحج لمناقشة الترتيبات الخاصة بحجاج كل بلد عربي وإسلامي ويشرح أهمية التنظيمات ذات العلاقة المباشرة بالحجاج وبعثة حجهم، وما حدث من سلبيات في مواسم سابقة للحج وطرق معالجتها، ثم إعداد محضر رسمي يتم على أساسه إيضاح أوجه التنسيق المطلوب بين بعثات الحج ومؤسسات الطوافة والأدلاء ومكتب الوكلاء الموحد والنقابة العامة للسيارات، وإبلاغ وزير الحج بما يتم التنسيق مع هذه الجهات ليكون أساساً عند حدوث أي مخالفة.

ومما لا شك فيه أن هذا الحرص في إيجاد تنظيم خاص لبعثات الحج جاء مواكباً ومتناغماً مع التنظيمات الجديدة لأرباب الطوائف في إطار مؤسسات أهلية لها مجالس إدارة ومجالس تنفيذية حسب الجنس ومجموعات خدمات ميدانية، حتى بلدان الأقليات الإسلامية بدأت توفد بعثات لحجاجها.

ويشارك كافة اجتماعات بعثات الحج سفراء الدول العربية والإسلامية بما في ذلك دول الأقليات الإسلامية،

وفي كل عام تزداد وفود بعثات الحج حتى بلغ عدد من حضر من بعثات الحج حتى الآن ما يربو على ثلاثين بعثة وتحرص الوزارة من خلال اجتماعاتها ببعثات الحج إيضاح ما تضمنته تعليمات الحج بإيجاز لما يهم الحاج وبعثته معرفته، وتؤكد في الوقت نفسه أهمية توعية الحاج في بلاده بنسك الحج وما قد يواجهه من تنظيمات وتعليمات منذ وصوله أرض المقدسات وحتى مغادرته لبلده سالماً غانماً.

وقد بلغ الاهتمام بالإعداد للحج وتنظيمه في بعض البلدان الإسلامية أرفع مستوى في التنظيم وعلى سبيل المثال نذكر:

١ ـ الجمهورية الأندونيسية:

ويشرف على تنظيم حجاجها وزارة الشئون الدينية ولها فروع في كافة

الأقاليم ومدينة للحجاج ضخمة في جاكرتا قريبة من المطار الدولي حيث يخضع الحجاج الذين أختيروا لأداء نسك الحج لإشراف صحي دقيق وتوعية دينية شاملة وتدريب عملي على كيفية لباس الإحرام والأداء العملي لنسك الحج خاصة الطواف والسعي وكل ما يتعلق بأركان الحج وواجباته وسننه.. وتوجد مدن أخرى مماثلة في بعض الأقاليم والمحافظات تؤدي نفس المهام. هذا الإشراف المنظم لا يقتصر دوره داخل أندونيسيا بل تولي بعثة حجه التنسيق المبكر مع مؤسسة الطوافة والأداء ومكتب الوكلاء الموحد فيما يخص مسئوليات هذه الجهات عن الحجاج والتعاون معها على تحقيق أفضل الخدمات لحجاجهم ورغم العدد الهائل من الحجاج الأندونيسيين الذين يؤدون نسك الحج سنوياً لا أذكر أنني تلقيت أي شكوى سواء من البعثة أو الحاج إبان عملي كوكيل لوزارة الحج والأوقاف لشئون الحج.

٢ ـ ماليزيا :

ولماليزيا دور مثالي في التنظيم حيث يتم تنظيم حجاجهم عن طريق مؤسسة الحج الماليزية المسماة (طابون حجي) والتابعة لمجلس وزراء ماليزيا وتتولى بعثة حجها الإشراف الكامل على حجاجها بدءاً من ماليزيا وحتى عودتهم لبلادهم وتحرص مؤسسة الحج الماليزي على حسن إعداد حجاجها إبان إقامتهم بمدينة الحجاج التي تم إقامتها في كوالالمبور العاصمة وفي هذه المدينة يلقى الرعاية الصحية والتوعية الدينية الشاملة، وكل ما يهم الحاج معرفته بأمور دينه ونسك حجه وتلعب المساجد دوراً بارزاً في التوعية بأمور الحج.

كما تحرص بعثة ماليزيا على التنسيق والتعاون المطلق مع مؤسسات أرباب الطوائف وقل أن تجد شكوى سواء من البعثة أو الحجاج.

٣ ـ باكستان :

وقد حرصت بعثة حجها على تنظيم مماثل على غرار التنظيم الأندونيسي



إلا أن هذا التنظيم لايشمل كافة حجاجها بل النسبة الكبرى من الحجاج وتسعى من جانبها لاحتواء كافة القادمين لأداء فريضة الحج ليكونوا تحت إشرافها.

وهناك تنظيمات أخرى جيدة مماثلة تقوم بها بعض البلدان العربية كمصر وسوريا وبروناي والأردن والمغرب وتونس والسودان واليمن وغيرهم، وبعض البلدان الإسلامية الأخرى وسنغافورة والصين وغينيا وغانا وبعض دول الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي وغيرهم من الدول الإسلامية.

إن القيادة الحكيمة لبلادنا وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين (حفظهما الله) تحرص على توفير أقصى الراحة لضيوف الرحمن حيث أصبحت رحلة الحاج سهلة ميسورة من خلال المشاريع العملاقة سواء فيما يخص توسعة الحرمين الشريفين المسجد الحرام والمسجد النبوي بحيث يجد كل حاج مكاناً لأداء صلواته الخمس، أو الطرق السريعة ما بين مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والأنفاق الضخمة التي

تصل الحاج بالمشاعر المقدسة والحرم المكي من أقرب طريق دون عناء.

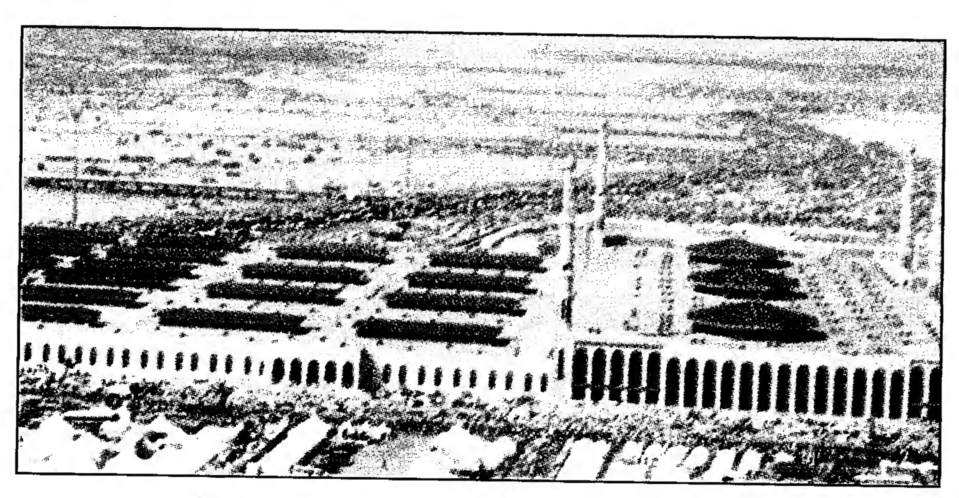
والحديث في هذا المجال شائق وممتع ويدل على مدى الحرص الكبير الذي يوليه خادم الحرمين الشريفين - أعزه الله وأطال عمره - لكل ما فيه الراحة والأمان والاطمئنان لضيوف بيته العتيق.

انني ادرك تماماً حرص غالبية بعثات الحج على راحة حجاجها، إلا أنني اتمنى من بعثات الحج أن تحرص على حضورها للمملكة من وقت مبكر للاجتماع الرسمي مع وزارة الحج، ثم الانطلاق للاجتماعات التنفيذية بمؤسسة الطوافة المختصة بمكة المكرمة ومؤسسة الأدلاء بالمدينة المنورة ومكتب الوكلاء الموحد بجدة، وأن تعمل على تهيئة راحة حجاجها في السكن الملائم الذي يتلاءم وما دفعه الحاج لبعثته من أجل راحته، وتحرص على تطبيق كافة التعليمات المنظمة لشئون الحج، والتعاون التام مع مؤسسات أرباب الطوائف، والتي تضم بين جوانبها خيرة أبناء هذا البلد المقدس الذي أفنى أجداده ومن جاء بعدهم من أجيال متعاقبة شرَّف خدمة الحجاج..

وفي موسم حج ١٤١٥هـ حرص معالي وزير الحج السابق الدكتور محمود بن محمد سفر على توسعة القاعدة لمؤسسات الطوافة عن طريق إنشاء مجالس تنفيذية ووحدات ومجموعات خدمات ميدانية داخل إطار المؤسسة الأم - تخدم جنساً معيناً ويكون العاملون بها على دراية جيدة بلغة الحاج وحسن التعامل معه من خلال خبراته السابقة، وهي فكرة رائدة تتيح لبعثات الحج مجالاً أوسع في التعاون وحسن التنظيم ورغم إدراكي بما يبذله العاملون في مؤسسات أرباب الطوائف وكافة من يتعامل مع الحجاج بالأجهزة ذات العلاقة بشئون الحج حكومية أو أهلية ومواطنين من جهود خيرة من أجل رعاية الحجاج إلا أني آمل من الجميع المزيد من العناية والاهتمام فالحاج ضيف الله جلت قدرته وواجبنا بذل أقصى الجهد لراحته وأمنه وطمأنينته تأسياً بجهود حكومتنا السنية بكافة قطاعاتها التي تجند في كل موسم لخدمة حجاج بيت الله الحرام.

---

* وكيل وزارة الحج سابقاً.



مباحث الحج في آيات من الذكر الحكيم



بقلم: السيد محمد أحمد مشهور الحداد (*)

قال الله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ (١) وقال تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ (٤) ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾ (٦) وقال تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ (٧).

وأصل الحج القصد لزيارة البيت العتيق، وهو ما خُصَّ في الشرع بقصد بيت الله إقامة للنسك والعبادة وزيارة الأماكن المقدسة، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحج عرفة» (٨) وعرفة محفل المسلمين العالمي يتجدد كل ما عادت أشهر الحج، وأشهر الحج هي

شوال وذي القعدة وعشر ذي الحجة.

دعى الله إليه كلما عادت أشهر الحج، ليجمع به شمل المسلمين القادرين للوصول إلى الحرم المقدس جمعاً تعبدياً.

والحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام. إنه الركن الاجتماعي التهذيبي، فيه يتعارف المسلمون في عرفات الله، فينتشر السلام بينهم، ويلتحم الأمن بالإيمان، ويسود التآخي بين الصغير والكبير، والغني والفقير والعالم والجاهل، وجلهم يعلم قول الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (٩) والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، لذلك كان ثواب الحج عظيماً وجزاؤه عند ربه جليلاً كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» (١٠) والرفث الجماع ودواعيه، والفسق والمعصية فعل ما لا ينبغي (١١).

والحج تلبية لدعوة الله، إذ عندما يؤذن المؤذن بالحج يُوْدِعُ سبحانه وتعالى في قلوب من شاء من عباده الاستجابة فتجد العباد الذين أكرمهم الله بضيافته يحسون بما لا يستطيعون وصفه، فهم يبكون بدموع أعينهم لأشواق في قلوبهم، تجدهم لا يقر لهم قرار ولا يهدأ لهم بال حتى تخرج من قلوبهم دعوة الاستجابة في شكل دعاء جميل يقوله كل حاج (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) أي أنهم استمعوا النداء ولبوا الدعوة وهذا ما يقرره القرآن الكريم في الآية الكريمة ﴿وأذّن في الناس بالحج﴾ (١٢) ألوف ومئات الألوف تتقاطر لا يعلم مداها إلا الله، كيف وصلها النداء، وكيف سمعت لتقف بالباب راجية مغفرة الله ورحمته ودخوله الجنة، كيف لا وقد صدرت إليهم دعوة الله بأرقى معاني التوجيه لآياته جل وعلا ممثلة في قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾.

والحج المبرور هو المقبول الذي لا يرتكب فيه صاحبه معصية بأن يحج كما شرع الله وكما حج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قاصداً بحجه وجه الله، قائماً بالواجبات والمستحبات، تاركاً للمحرمات، فمغفرة الذنوب بالحج ودخول الجنة مرتب على كون الحج مبروراً، وفي الحديث الصحيح «من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، وقد فسر الرفث بالجماع ودواعيه، والفسوق المعاصي، والجدال المنازعة في أحكام الحج بعد أن أوضحها الله أو المخاصمة بالباطل، وفي الحديث: ما صنع من يؤم هذا البيت إذا لم تكن فيه ثلاث خصال:

الأولى: ورع يحجزه عما حرم الله.

الثانية: حلمٌ يضبط به جهله،

الثالثة: حسن صحبة لمن يصحب، وإلا فلا حاجة لله بحجه:

وقد اختص الله هذا البيت الحرام، بأنه أشرف البقاع وأفضلها، وبأنه قبلة المسلمين أحياءً وأمواتاً في مشارق الأرض ومغاربها، وأن قصده مكفّرٌ للذنوب والآثام ليس لتأصيره ثواب دون الجنة، إذا إتقى وبر وصدق، وبأن الصلاة فيه أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد، وبأنه يحرم استقباله واستدباره عند قضاء الحاجة، ويؤخذ فيه على الهم بالسيئات، وبأن من دخله كان آمناً، وأنه مبارك من كل وجوه الدنيا والآخرة وذلك بجميعه موجود فيه، وما سميت (بكة) بالكعبة وما يحيط بها إلا ـ لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تقطيعها.

أما مقام إبراهيم فهو الحج كله، وهذا بيّن وواضح فإن إبراهيم عليه السلام قام بأمر الله سبحانه وتعالى، ونادى بالحج عباد الله، فجمع الله العباد على قصده، وكانت شرعة من عهده، وحجة على العرب الذين اقتدوا به من بعده وفيه من الآيات من دخله كان آمناً، فإن الله سبحانه وتعالى قد صرف القلوب عن القصد إلى معارضته، وصرف الأيدي عن إذايته وجمعها على تعظيم الله وحرمته.. وهذا خبرٌ عما كان وليس فيه إثبات حكم وإنما هو بينه على آيات وتقرير نعَمٍ متعددات مقصودها وفائدتها وتمام النعمة فيها من شرف المقدمات لحرمة من ظهر من تلك البقعة، ومن لم يدرك ذلك فهو من الأموات!!

ومن هنا جاء تعبير القرآن الكريم عن طلب هذا الركن من أركان الإسلام - إيجاباً وسلباً فقال عز من قائل حكيم ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ (١٢).

ففي الإيجاب نص بالتحتيم في دائرة الشرط، تيسيراً وتقديراً لمن يصلح للوفود وللمحفل العظيم.

وفي السلب والجحود تكفير للجاحدين استهتاراً أو استكباراً أو كسلاً وتهاوناً، وكفرٌ دون كفر وإيمان فوق إيمان. قال الله عز وجل ﴿إن الذين كفروا يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ (١٣).

وفي القرآن الكريم سورة بعنوان هذا الركن العظيم: (هي سورة الحج) وفي هذه السورة عرض لحكمة تشريع هذا الركن. من الوجهة الاجتماعية.

وعرض لحكمته التعبدية.. وجاءت الآيات في بيان الحكمتين نسقاً يراوح بينهما كأنهما مزجا من فكرة واحدة.

ففي الإيجاب نص بالتحتيم في دائرة الشرط.

وفي السلب والجحود تكفير للجاحدين، يذوقون من ورائه العذاب الأليم.

فالحكمة الاجتماعية مع الحكمة التعبدية في طريق واحد. وقد أفاض القرآن الكريم بعدد كبير من الآيات البينات في سور متعددة أوحى بها الله إلى خاتم أنبيائه موزعة في السور التالية:

سورة: البقرة، آل عمران، المائدة، الأنعام، براءة، الحج، البروج، الفتح، الإسراء، الشورى، الطور.

وقد تأتي في السورة الواحدة عدة أحكام وأكثرها عناية بدقائق الحج سورة (الحج) كما يتكرر الحكم المعني بالتضمين للنص في عدة آيات لحكمة أرادها الله، إعجازاً لهذا الكتاب المعجز القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿إنه لقول فصل وما هو بالهزل(١٤).. إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون(١٥)، إنه لقول رسول كريم(١٦)، إنه لقول رسول كريم(١٧)، إنه لقول فصل وما هو بالهزل(١٨).

«مباحث الحج في القرآن الكريم» (١)

سورة البقرة: ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٩٨، ١٥٩، ١٩٧، ١٢٩، ٢٠٠، ٢٠٣.

سورة آل عمران: ٩٦/ ٩٧.

سورة المائدة: ٣.

سورة الأنعام: ١٦٢.

سورة براءة: ١، ٢، ٣.
سورة الحج: ٢٥، ٢٨، ٩٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧.
سورة البروج: ٣.
«الفدية والهدي وأحكامهما» (٢)
سورة البقرة: ١٩٦.
سورة المائدة: ٢.
سورة الحج: ٢٨، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٧.
سورة الفتح: ٢٥.
«التمتع والإحصار في الحج» (٣)
سورة البقرة: ٢,٩٦.
سورة المائدة: ٢,١.
«ما يحرم فعله على الحاج» (٤)
سورة البقرة: ١٩٧.
«التجارة في الحج» (٥)
سورة البقرة: ١٩٨.
سورة الحج: ٢٨.
«سقاية الحاج» (٦)
سورة براءة: ١٩.
حكم الصيد في الحج وجزاء من قتل صيداً» (٧)
سورة المائدة: ١، ٢، ٩٥، ٩٦.
«إتمام الحج والعمرة والإحلال منهما» (٨)
سورة البقرة: ٩٦.
سورة المائدة: ٢.
سورة الحج: ٢٩.
سورة الفتح: ١٢٧.
سورة الأنعام: ١٣٢.
سورة الأنفال: ٣٤، ٣٥.
سورة براءة: ٧، ١٩، ٢٨.
«البيت الحرام، والكعبة، والحرم، والبلد، والقرية» (٩)
سورة البقرة: ٥٨، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠،
آل عمران: ٩٦، ٩٧.
سورة المائدة: ٢، ٩٧.
سورة إبراهيم: ٣٧.
سورة النمل: ٩١.
سورة الحج: ٢٨.
سورة العنكبوت: ٦٧.
وقد تأتي بعض الآيات مكررة في بعض أحكامها لم نتعرض لها ولم نستقصي أغراضها

وبالذات في آيات رقم (٩) لاشتراكها عرضاً ـ والله نسأل أن يلهمنا الصواب ويعفو عن التقصير وهو حسبنا ونعم الوكيل.

روى عكرمة ومجاهد: أنه لما نزل قوله تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾(١٩) قالت اليهود والنصارى وقالت أهل الملل كلها، ﴿فنحن مسلمون﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب على المسلمين حج البيت، فقالوا لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا فأنزل الله تعالى: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾(٢٠) فاغتنم أخي المسلم الفرصة التي أتاحها الله لك وجدد عهدك مع الله ما استطعت فالله عز وجل وهو رحيم بعباده يقول: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾(٢١).

وها أنت أيها الأخ المسلم قد أحاطت بفكرك هذه الآيات العظيمة، ففكر بإيمانك بكل طاقات فكرك، بكل ما يعتلج في نفسك أن الحج يكتشف للمسلم اكتشافات دينية تعبدية وأخرى تاريخية تناط بها عوامل نفسية روحية فاعلة للإنسان المسلم يستمد منها أولاً وأخيراً مغفرة الله ورضوانه، فدعونا نلتمس حقيقة معنى الاستجابة للحج نلتمس ما يفيدنا من التوجهات النبوية تلكم التي تدعونا نحن أمة القرآن لنلتمس الحق الذي بشرت من قبلنا تلكم الرسل والأنبياء عبر آلاف السنين، دعونا نلتمس الحق والحقائق في سجلات العبور الذي مرت به كوكبة من الأنبياء والرسل عبر آلاف الأحقاب، دعونا نتعرف كيف بدأت تلكم المسيرة وممن انطلقت وعلى من نزلت آيات الله للعمل بها؟ ومن يستفيد منها ومن من لا يستفيد؟!

ما أحرانا أن نعلم كيف حج خليل الله إبراهيم وهو من خاطبه الله بذلك بعد أن بوأه مكان البيت ثم أمره ببنائه، ثم فرض عليه حجه، ثم أمره أن ينادي بالحج. فقال له: أذن بالنداء وعليَّ الإجابة!!

وقد سرى هذا النداء عبر أثير الحياة من تلك اللحظة حتى يومنا هذا ما يدل على أن الحج في الإسلام، كان ولايزال ينبوع السلامة، وواحة النفس، فالروح تأنس بمواطن الإلهام والعقيدة.. والمسلم ماض وحاضر يجد في كل شعيرة من شعائر الحج حلقة من حلقات الخير فهو موعداً أوجبه الله للموفقين من عباده يلتقون فيه من كل بقاع الأرض يقفون سواسية حاسري الرؤس خاشعي النفوس خاضعين قانتين لأمر الله.. فيذكر المسلم الحاج المواقف الخالدة للمسلمين الأوائل، فيتذكر غار حراء مهبط الوحي، ودار الأرقم رمز التضحية، وغار ثور منشأ المجد، والبيت العتيق الذي تخرج من فنائه: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان ذي النورين، وعلي بن أبي طالب سيف الله المسلول، وخالد بن الوليد، وغيرهم الذين يصدق عليهم قول الشاعر: (أولئك الناس إن قلوا وإن كثروا، ومن سواهم فلغو غير معدود) وحقاً نقول إن أولئك هم المدرسة الأولى التي تخرجت من البيت العتيق فكانوا قادة الإنسانية وطلائع النور!! ودعونا نستأنس لنقرأ معاً بشارة الرسول في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما بشارة لكل حاج ماض وحاضر قال: إنه جاء رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد «منى» يسألانه ـ وهما الثقفي والأنصاري، فيقول رسول الله مجيباً الأنصاري عما أراد أن يسأل.. فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام، لا تضع ناقتك خفاً ولا ترفعه إلا كتب لك الله به حسنة ومحا عنك خطيئة، وأما ركعاتك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل، وأما طوافك بين الصفا والمروة كعتق

رقبة، وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى السماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة، ليقول عبادي جاؤني شعثاً من كل فج عميق، يرجون رحمتي فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمال لغفرت لهم، أفيضوا مغفوراً لكم، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفيرة كبيرة من الموبقات، وأما نحرك فمذخور لك عند ربك، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ويحمي عنك بها خطيئة، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك!!(٢٢).

«آيات قرآنية أنقذت البشر»

إن تلكم الآيات التي وردت بالتحديد في مجموعة من السور القرآنية هي تلك التي سطع نور قبسها على قلوب المؤمنين الذين استجابوا لما دعاهم الله إليه.

وهنا نلتمس حقيقة اليوم - يوم الحج الأكبر - في كل ما يفيدنا من التوجيهات النبوية تلكم التي تدعونا بصوت القرآن الكريم ممثلة في آياته البينات.

تدعوا أمة القرآن لتبشرنا بصوت الحق الذي جاء به نبينا وقرة أعيننا محمد صلوات الله وسلامه عليه، ما بشرت من جاء قبلنا من الأنبياء والرسل عبر آلاف السنين.

دعونا نلتمس الحق في سجلات العبور الذي مرت به كوكبة من الأنبياء والمرسلين بدءاً بأبي البشرية آدم عليه السلام وبخليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام ثم بخاتم الأنبياء والمرسلين الرحمة المهداة - صلى الله عليه وسلم.

دعونا نستكشف كيف بدأت تلك المسيرة، ولمن أرسلت للتنفيذ بتوجهاتها - ومن منا يستفيد؟ ومن منا من لا يستفيد؟

ومن هم الذين دعاهم الله ليقيموا تلكم التوجيهات ممثلة في ﴿رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة. فيها كتب قيمة﴾.

تلكم الكوكبة في مسيرة النبوة والرسالة الخالدة الذين كوّنوا بها عبر الأحقاب جموعاً تعبدية على صعيد عرفات، عرفات الحج الأكبر، وهناك تجسدت عقيدة المسلم فتجاوبت مشاعرها مع كل مسلم في هذا الكوكب الأرضي بدءاً بأبينا آدم ثم حمل جمع الرسالة خليل الله إبراهيم وأورثها الذين اختارهم الله من بعده فكان خاتم رسالات السماء!!

تلكم التي هدانا الله إليها وجعلنا بإذنه تعالى خير أمة أخرجت للناس» ومن خطواتها آيات قرآنية أنقذت البشرية في لحظة من اللحظات التي مرت بها الكوكبة الأولى من الأنبياء والمرسلين.

«محنة شديدة لإبراهيم»

لقد أمر إبراهيم - عليه السلام - في منامه أن يذبح ولده، إبتلاءً من الله لذلك الإيمان الوثيق، وأختباراً - لليقين المكين - وتعريفاً للناس كيف تفعل العقائد في أنفس المعتقدين!!

لم يتردد إبراهيم - عليه السلام - في إنفاذ أمر الله، على هول الأمر، وقسوته، وعنفه وعلى مخالفته للطبائع البشرية، وقام من نومه ممتثلاً أمر ربه، مؤثراً رضاء الله على تصدع كبده وسحق عاطفته..

ولاشك أن أروع المأثورات في قصة إبراهيم عليه السلام تلك الطاعة لله سبحانه وتعالى طاعة تستنفد الشفقة الأبوية، وتستنفذ المقاومة الطبيعية ثم تتغلب على الهواجس وعلى الضعف الإنساني.

إنها امتحان شديد لأبي الأنبياء أن يذبح ولده (أضحية) إبتلاء من الله لذلك الإيمان الوثيق الذي لا يحمله غير إبراهيم عليه السلام.

أخذ ولده وسار في عزم ومضاء.. ولم يرض أن يفاجىء ابنه بذلك الحدث بل أخبره خبره قبل أن ينفذه فكان الولد سر أبيه، وصورة من إيمانه، فلم يضجر، ولم ينفر. ولم يرتع، ولم يرهب، بل قال لأبيه كما حكى القرآن ﴿إفعل ما تؤمر﴾.

قال الله تعالى: ﴿يا أبت إفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين (أي صرعه وألقاه على عنقه وخده) وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين﴾(٢٣).

وهكذا صار بدله ذبح من الغنم وغيرها فكان عظيماً أنه كان فداء إسماعيل، ومن جهة أخرى أنه أصبح من جهة العبادات الجليلة.

ومن جهة ثالثة أنه قرباناً وسنة إلى يوم القيامة.

(#) كاتب سعودي

المصادر والمراجع:

(١) الحج، الآية ٢٦.

(٢) البقرة، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩.

(٣) آل عمران، ٩٦.

(٤) التوبة، ٤.

(٥) الحج، ٢٧.

(٦) البقرة، ١٢٥.

(٧) البقرة ١٩٧.

(٨) رواه ابن حبان في صحيحه وأخرجه مسلم ١٣٤٩.

(٩) الحجرات، ١٣.

(١٠) أخرجه مسلم ١٣،٤٩.

(١١) الحج، ٢٧.

(١٢) حديث صحيح.

(١٣) الحج، ٢٥.

(١٤) الطارق ١٢،١١.

(١٥) الواقعة، ٧٧.

(١٦) التكوير، ١٩.

(١٧) الحاقة، ٤٠.

(١٨) آل عمران ٩٦/٩٧.

(١٩) آل عمران ٨٥.

(٢٠) ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.

(٢١) آل عمران مكرر.

(٢٢) أخرجه الطبري، والبزار عن رواية ابن عمر رضي الله عنهما.








العناية بالحرمين الشريفين.. وخدمة ضيوف الرحمن نهج أساسي في سياسة المملكة العربية السعودية

بقلم: د. محمد عبدالكريم حداد (*)



تمثل العناية بالحرمين الشريفين.. وخدمة ضيوف الرحمن من الحجاج والزوار والمعتمرين، نهجاً أساسياً مميزاً في سياسة الدولة العليا بالمملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على يدي المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ـ طيب الله ثراه ـ وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله.

وقد جاء النظام الأساسي للحكم الصادر عام ١٤١٢هـ مؤكداً التزام الدولة بمسؤولية خدمة الحرمين الشريفين ورعاية الحجاج، حيث تنص المادة (٢٤) من الباب الخامس، الخاص بالحقوق والواجبات على أن (تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين وخدمتهما.. وتوفير الأمن والرعاية لقاصديهما بما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة).

وفيما يلي لمحات من جوانب العناية بالحرمين الشريفين منذ عهد المغفور له الملك عبدالعزيز، وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين يحفظهما الله تعالى.

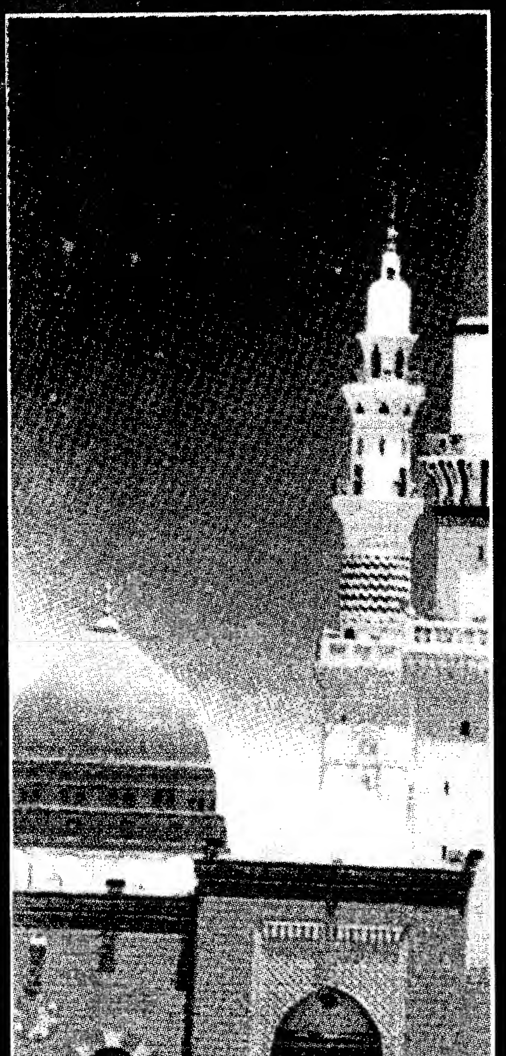
عناية الملك عبدالعزيز بالحرمين :

(وهل في البلاد أفضل من مكة ؟ ولو لم تكن كذلك لما كان بيت الله فيها، ولما نشأ الإسلام والرسول بها.. إن هذا البيت هو شرف الإسلام الخالد، وما عمل فيه من الأعمال الحميدة يضاعف الله أجره وما عمل فيه من السيئات يضاعف الله وزره.. إن لهذا البيت شرفه ومقامه منذ رفع سمكه بيد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد عظم العرب شأنه في جاهليتهم فتحالفوا وتعاقدوا ألا يقر ببطن مكة ظالم صيانة لهذا البيت أن يقع الظلم فيه).

بهذه العبارات الموجزة والبليغة، عبَّر المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز في كلمة له عام ١٣٤٣هـ عن مايجيش به وجدانه وضميره وما يعمر فؤاده من الحب الصادق والتقدير الكبير لمشاعر الإسلام ومآثره في بلد الله الحرام، الذي اصطفاه المولى ليكون أقدس البقاع في الأرض، يتنزل فيها الوحي المبين على المصطفى الأمين ويسطع في الناس فجر ضياء

ونور، يبدد غياهب الظلام ويضيء سبل الهدى والفلاح.

وعندما استتبت الأمور له في بلد الله الأمين، عاد الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه ليؤكد منطلق سياسته في هذا الخصوص فيقول: (عليكم يا أهل مكة عهد الله وميثاقه أن نبذل جدنا وجهدنا فيما يؤمن هذا الحرم الشريف وسكانه وطرقه للوافدين إليه الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا.. وهذا الكتاب شاهد لي وعليّ عند الله ثم عند جميع المسلمين، وعلى ما قلته أعلاه أيضاً عهد الله وميثاقه فهذا الذي يلزمنا).



وشرع يرحمه الله العمل بكل صدق وعزيمة لتحقيق ما قطعه على نفسه من عهد وميثاق.. ولم يكد يمض من الزمن سوى أشهر معدودة، ومع وصول طلائع حجاج بيت الله الحرام في موسم حج عام ١٣٤٤هـ إلا وكان الأمن الوارف في أرض الحرمين والأمان الغامر في نفوس القاطنين والزوار والحجاج حقيقة شامخة يدركها الجميع.

ومع استتباب الأمن في ربوع الحرمين الشريفين وسائر أطراف المملكة العربية السعودية، باتت السبل ممهدة والأبواب مشرعة أمام المسلمين لزيارة الديار المقدسة حجاجاً وزواراً ومعتمرين، وبدأت أعداد الحجاج تتزايد بشكل مضطرد.

وقد عمل الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - على الإفادة من التجمع الإسلامي الكبير في موسم الحج، من خلال تفعيل جانب مهم من رسالة الحج، من خلال لقاء موسمي موسع لكبار الحجاج من مسؤولين وعلماء ومفكرين ودعاة وغيرهم.. وذلك في الحفل السنوي الذي دأب - على إقامته - في موسم حج كل عام، والذي كان يتضمن كلمة توجيهية لجلالته تخاطب الرأي العام الإسلامي في استعراض لقضايا العالم الإسلامي وهموم المسلمين.. وتطرح كذلك موقف المملكة ووجهة نظرها حيالهما.

وفي هذا الإطار، وجه - يرحمه الله - الدعوة إلى عقد أول مؤتمر إسلامي في التاريخ الحديث.. وافتتح جلالته أعماله في مكة المكرمة في ٢٦/ ١١/ ١٣٤٤هـ وشاركت فيه وفود تمثل الشعوب والمجتمعات الإسلامية.. وتواصلت أعماله إلى ما بعد موسم الحج.. وأسفر

عن توصيات هامة، كان من أبرزها إنشاء (المؤتمر الإسلامي) الذي لازال يؤدي دوره في خدمة قضايا المسلمين.

وعلى صعيد العناية بشئون الحج والحجاج، شهد عهده - يرحمه الله - تنفيذ عدد من المشاريع والأعمال، منها:-

* إنشاء مصنع كسوة الكعبة المشرفة في مكة المكرمة عام ١٣٤٦هـ.

* تنفيذ العديد من أعمال الترميم والإصلاحات والتحسينات الانشائية والفنية والتنظيمية في المسجد الحرام والمسجد النبوي ما بين عام ١٣٤٤هـ و ١٣٧١هـ.

* صناعة أول كسوة للكعبة المشرفة في العهد السعودي بمكة المكرمة عام ١٣٤٧هـ.

* إنشاء أول مديرية عامة للحج، تعني بخدمة الحجاج، عام ١٣٦٥هـ وخصصت لها ميزانية محددة.

تركيب باب جديد للكعبة المشرفة عام ١٣٦٣هـ.

* وضع الأنظمة والتنظيمات الإدارية المتعلقة بترتيبات خدمة الحجاج، ومنها إصدار نظام وكلاء المطوفين ومشايخ الجاوا عام ١٣٦٥هـ ثم نظام المطوفين العام، وأول تعرفة للحجاج في عام ١٣٦٧هـ.

* وفي عام ١٣٦٨هـ دشن المشروع الكبير لتوسعة وإعمار الحرمين الشريفين، مبتدأ بمشروع توسعة المسجد النبوي الشريف.

* في عام ١٣٧١هـ أصدر مرسوماً تاريخياً بإلغاء رسوم الحج التي كانت تستوفى من الحجاج، والتي كان يبلغ مقدارها آنذاك (٣٠) مليون ريال.

* سك النقود المصرفية وإصدار أوراق البنكنوت لأول مرة باسم (إيصالات الحجاج) عام ١٣٧١هـ.

* إلى جانب العديد من مشاريع إنشاء الطرق وتعبيدها، وتوفير المياه والكهرباء، ووسائل الاتصال والمواصلات وإنشاء المستشفيات والمراكز الصحية، والمطارات والموانىء البرية والبحرية.

وقد ظلت العناية بشؤون الحج، عقب وفاة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وتعاقب أبنائه على الحكم من بعده، أصحاب الجلالة الملوك سعود وفيصل وخالد - يرحمهم الله جميعاً - وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، وسمو النائب الثاني صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز على رأس واجبات الدولة التي توجه جهود كافة قطاعات الدولة لأدائها - وتسخر لها موارد البلاد وطاقاتها.

الملك سعود بن عبدالعزيز - يرحمه الله :

يقول الملك سعود بن عبدالعزيز - يرحمه الله : (وأنه لتوفيق من الله سبحانه وتعالى أن شرفني بخدمة الحرمين الشريفين والقيام ببعض ما يزخر به قلبي من أمل عظيم ونية أرجو الله أن تكون خالصة لوجهه الكريم من النهوض بها واداء واجبها وجعلها قبلة المسلمين التي يتدفقون إليها من مشارق الأرض ومغاربها يؤدون فريضة الحج ويتلمسون الهدى والرشاد والتوفيق في مهابط الوحي فيها).

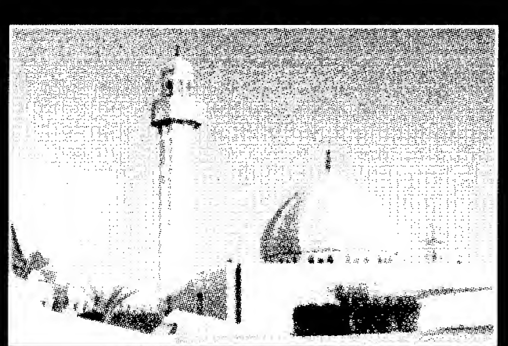
وفي عهده - يرحمه الله - نفذت مشاريع عملاقة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة، وأنجزت أعمال هامة، من أبرزها:

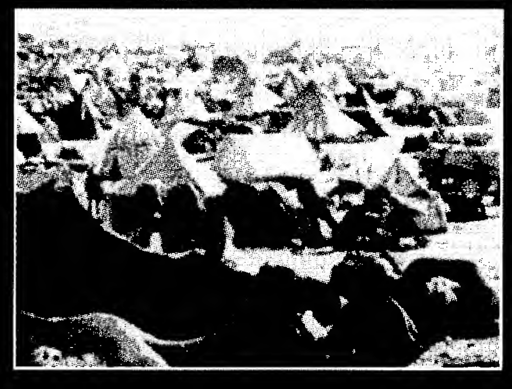
* بدأ العمل في التوسعة الثانية للمسجد النبوي الشريف والتوسعة الأولى للمسجد

الحرام في عام ١٣٧٥هـ

* توسعة المطاف وترميم سقف الكعبة المشرفة عام ١٣٧٧هـ
* إنشاء أول وزارة للحج والأوقاف في ٩/ ١٠/ ١٣٨١هـ الموافق ١٥/ ٣/ ١٩٦٢م.
* إنشاء مدينتي حجاج البحر والجو في جدة عام ١٣٧٥هـ
* افتتاح إذاعة (نداء الإسلام) من مكة المكرمة، وإنشاء (رابطة العالم الإسلامي) كمنظمة إسلامية شعبية عام ١٣٨١هـ
* إعادة تأسيس مصنع كسوة الكعبة المشرفة وتجديده عام ١٣٨٢هـ
* إلى جانب مشاريع عمرانية في مجالات الطرق والإتصالات والصحة وغيرها.

الملك فيصل بن عبدالعزيز - يرحمه الله:





ويؤكد الملك فيصل بن عبدالعزيز - يرحمه الله - استمرار هذا النهج فيقول: (إن سكان هذا البلد يزيدهم شرفاً واعتزازاً إذ أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بالقيام بخدمة هذه الأماكن المقدسة وعلى خدمتكم أيها الإخوان حينما تاتون تؤدون فريضتكم وتقضون مناسككم، وهذا نعتبره أكبر فخر وأكبر نعمة نعتز بها بعد نعمة الإسلام).

وتم في عهده - يرحمه الله :

* عقد المؤتمر الإسلامي العام الأول في موسم حج عام ١٣٨٤هـ وتبنى الدعوة إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي، وانطلاق دعوة التضامن الإسلامي.
* تنفيذ توسعات عديدة في المسجد النبوي والساحات المحيطة به.
* استكمال التوسعة الأولى للمسجد الحرام والبدء في التوسعة الثانية، وربط المبنى الجديد بالرواق العثماني القديم في ١٣٨٩هـ
* إصدار أول خطة تنمية خمسية للمملكة عام ١٣٩٠هـ تضمنت العديد من المشاريع في مجال الحج.
* إنشاء مكتبة الحرم المكي في عام ١٣٩١هـ
* تجديد مصنع كسوة الكعبة عام ١٣٩٢هـ

الملك خالد بن عبدالعزيز - يرحمه الله :-

ويجدد الملك خالد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - التأكيد على التزام حكومته بسياسة المملكة في خدمة ضيوف الرحمن فيقول: (إن المملكة العربية السعودية لفخورة جداً أن تضع كل إمكانياتها وتجند كل طاقاتها من أجل خدمة حجاج بيت الله الحرام الذين يحلون في بلادهم وبين أشقائهم وإخوانهم الذين يسعدهم أن يكونوا خداماً لكم في مناسبة إسلامية

عزيزة يحرص كل واحد منهم على أداء هذا الواجب انطلاقاً من شعوره الكامل بأن المسلم أخو المسلم وبأن هذه الخدمة إنما هي تشريف لهم وتكريم لكم).

وتم في عهده - يرحمه الله :

* اكتمال مشروع توسعة المسجد الحرام بعد عشرين عاماً من العمل المتواصل عام ١٣٩٦هـ

* افتتاح مُصنع كسوة الكعبة الجديد عام ١٣٩٧هـ

* البدء عام ١٣٩٩هـ بتنظيم مسابقة دولية في مكة المكرمة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره، تتولى وزارة الحج والأوقاف (آنذاك) تنظيمها سنوياً.

* إزاحة الستار عن باب الكعبة وباب التوبة الجديدين في عام ١٣٩٩هـ

* عقد مؤتمر القمة الإسلامية بالمملكة عام ١٤٠١هـ وترأس - يرحمه الله - الجلسة الافتتاحية للمؤتمر والتي عقدت في المسجد الحرام بمكة المكرمة.

* افتتاح مطار الملك عبدالعزيز الدولي بجدة في عام ١٤١٣هـ

* إنجاز مشاريع عديدة للبنية الأساسية في مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر، حيث شقت الأنفاق في الجبال بمكة المكرمة، وإنشئت شبكة الطرق السريعة، والمطارات العصرية، وطورت وسائل الاتصال والمواصلات المتعددة.

* أدخلت الكثير من التحسينات الفنية والتوسعات المعمارية في مرافق الحرمين الشريفين.

* أنجزت العديد من المشروعات في مشعر (منى) من بينها تهذيب الجبال، وإنشاء الكباري والجسور وطرق المشاة، وتوسعة منطقة الجمرات وجعلها من دورين وإنشاء إدارة خاصة بمشاريع منى.

عهد خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين :

يتميز عهد خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله - باهتمامه الكبير بتطوير وتحديث المدينتين المقدستين والمشاعر المقدسة وفق تخطيط عصري متكامل مستوعب للاحتياجات الحاضرة والمستقبلية لمرافق خدمة ضيوف الرحمن.. حيث يؤكد يحفظه الله - رغبته في (أن تكون مكة المكرمة والمدينة المنورة من أجمل مدن العالم بما يليق ومكانتها المقدسة في قلوبنا نحن السعوديين خصوصاً والعرب والمسلمين عموماً).

ولقد اختار - تواضعاً - مسمى (خادم الحرمين الشريفين) لقباً رسمياً له في ١٤٠٧هـ إشارة إلى عزمه على تكريس جهود الدولة لتحقيق إصلاحات واسعة في المدينتين المقدستين والمشاعر المقدسة فيهما.

ويؤازر صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني أخاه خادم الحرمين الشريفين في العمل المتواصل لتحقيق الأهداف العظيمة وإنجاز المشاريع العملاقة للارتقاء بسائر مجالات التجهيزات الأساسية والخدمات العامة.. ويتابع سموه ميدانياً ما ينفذ من مشاريع وما ينجز من أعمال ويقف بنفسه من خلال جولاته التفقدية المستمرة على أداء كافة قطاعات وأجهزة الدولة، موجهاً المسؤولين فيها ببذل أقصى الجهود لتحقيق تطلعات خادم الحرمين الشريفين في خدمة الحرمين الشريفين ورعاية ضيوف الرحمن.

وكان من ثمرة اصطفاء خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين للمدينتين المقدستين وعنايتهما الكبيرة بهما، ما شهدته كل منهما والحرمان الشريفان والمشاعر المقدسة من

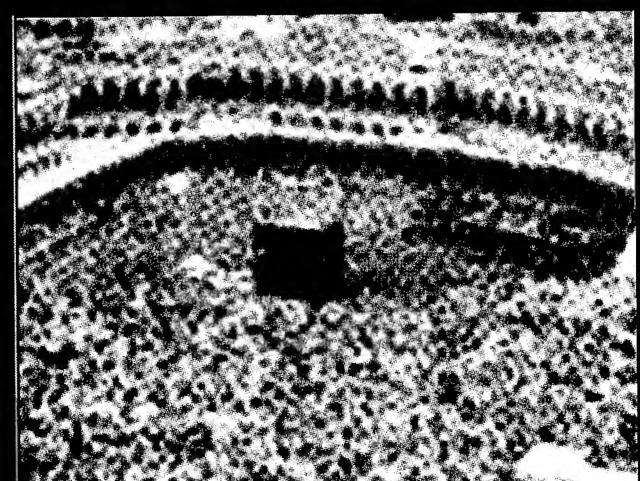
مشاريع البناء والتطوير والإصلاح والذي شمل كافة مرافق الحج واحتياجات الحجاج ومن أبرزها.

* إنشاء أضخم مجمع لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة عام ١٤٠٣هـ حيث يقوم بطباعة ملايين النسخ من المصحف الشريف بمختلف الإصدارات، إلى جانب ترجمة معانيه إلى العديد من لغات الشعوب الإسلامية مع تسجيلات صوتية لتلاوته توزع جميعها مجاناً على المسلمين في أنحاء العالم، إضافة إلى تقديم نسخة من المصحف هدية لكل حاج في منافذ القدوم إلى المملكة.

* إفتتاح طريق الهجرة (مكة المكرمة / المدينة المنورة) السريع عام ١٤٠٥هـ

* وضع حجر الأساس لأكبر توسعة للمسجد النبوي الشريف في ٩/٢/١٤٠٥هـ وكذلك توسعة مسجد قباء وغيره من المساجد الأثرية بالمدينة المنورة.

* وضع حجر الأساس لتوسعة جديدة للمسجد الحرام من الناحية الغربية ٢/٢/١٤٠٩هـ إلى جانب توسعات وإصلاحات ومشاريع فنية في ساحات وأسطح وجوانب المسجد الحرام.



* تطوير وتحديث مصنع كسوة الكعبة المشرفة في عام ١٤١٠هـ

* إصدار أول نظام أساسي للحكم في المملكة مع أنظمة مجلس الشورى ومجلس الوزراء عام ١٤١٢هـ حيث خصصت المادة (٢٤) من نظام الحكم لبيان التزام الدولة بواجب خدمة الحرمين الشريفين ورعاية الحجاج والزوار.

* تخصيص وزارة الحج لترعى شؤون الحج والحجاج في ٢٠/١/١٤١٤هـ

* تنفيذ مشروع مجمع مياه زمزم في عام ١٤١٥هـ

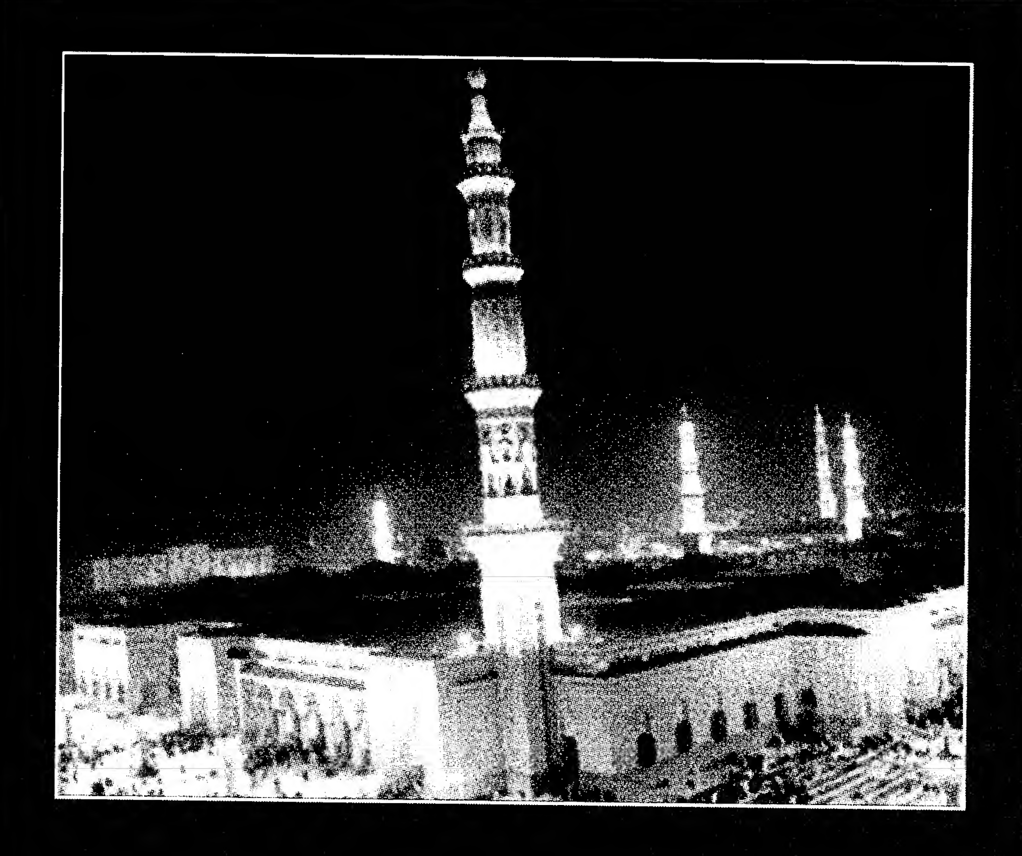
* ترميم وتجديد شامل للكعبة المشرفة في عام ١٤١٧هـ

* تجديد قبة مقام إبراهيم عليه السلام في ١٤١٨هـ

* تنفيذ مشروع إنشاء الخيام المطورة المقاومة للحريق في مشعر (منى) عام ١٤١٨هـ على مراحل ثلاث اكتملت في موسم حج ١٤٢٠هـ

* إلى جانب العديد من مشاريع الخدمات والأنفاق والطرقات والجسور ومرافق الصحة والاتصالات والمياه المبردة وغيرها من مشاريع التطوير العمراني والتجهيزات الأساسية والتجميل في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة.

* إنشاء شركة مكة للتعمير والاستثمار في مكة المكرمة وشركة طيبة للإستثمار في المدينة المنورة ليتولى القطاع الأهلي من خلالها إنشاء المشاريع السكنية الحديثة



لاستيعاب عشرات الآلاف من الحجاج مع توفير سائر مرافق الخدمات لهم.

* إنشاء الهيئة العليا لتطوير المدينة المنورة برئاسة خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله.

* إنشاء الهيئة العليا لتطوير مكة المكرمة في رمضان ١٤٢١هـ

(*) عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبدالعزيز - كلية الاقتصاد والإدارة - جدة / مستشار معالي وزير الحج

المراجع :

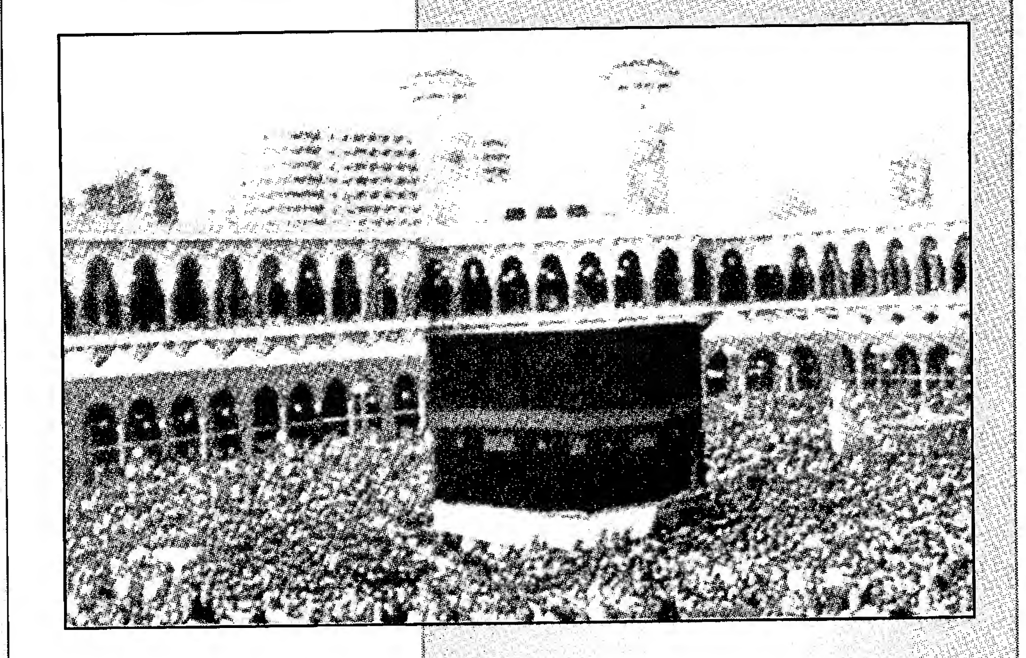
١ - مركز البحوث والتنمية بكلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبدالعزيز - الملامح الأساسية لأنظمة الحكم والشورى والمناطق في المملكة العربية السعودية عام ١٤١٣هـ

٢ - الإعلام الداخلي - وزارة الإعلام، وثائق للتاريخ، ط١، ١٤٠٥هـ

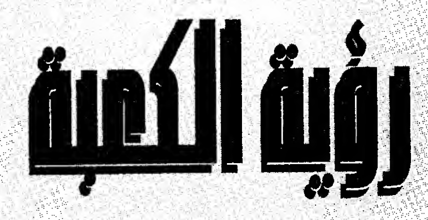
٣ - الخطيب، عبدالحميد، الإمام العادل، ط١، ١٣٧٠هـ

٤ - الحسيني، الشريف محمد بن مساعد، درر الجامع الثمين لأعمال الملوك من آل سعود الميامين في مسجد البلد الأمين، ط٢، ١٤١٩هـ

٥ - المنجد، صلاح الدين، خطب الملك فيصل بن عبدالعزيز، في وفود الحجاج المسلمين: ١٣٨٤ - ١٣٩٠هـ - بيروت: دار الكتاب الجديد، د.ت.



مشاعر الرحالة المسلمين عند رؤية الكعبة





بقلم د.
جميل محمود مغربي (*)

تغفو مكة في هدوء بين حضني أخشبيها خندمة وقعيقعان مثل الطفل الوديع ينام قرير العين بين أحضان أمه الرؤوم.

ولكنها توقظ في داخل كل من يدلف إليها أحاسيس جياشة قد تطاوع البعض براعته في تدوينها وقد يخفق البعض في تصويرها وقد لا تفي المفردات بتجسيدها، وتظل مع ذلك تمثل انعكاساً للحالة الشعورية التي تعتور المرء حينما تكتحل عيناه برؤية البيت فتنثال على قلبه الفيوضات والمشاعر الدفاقة بدفئها وحميميتها مصطبغة بأحاسيس الشكر والرضا على بلوغ تلك الغاية التي كانت تتوق إليها النفس وتتطلع لتحقيقها منذ زمن طويل لذلك يقتصر حديثنا ها هنا عن المشاعر والمشاعر فقط فهي من أصدق الأشياء في التعبير عن مكنونات النفس البشرية في لحيظات الصفاء والصدق حينما ينهل الإنسان من شلالات الإيمان وتغمر عينيه أضواء الألق الروحي الذي يبعثه البيت الحرام فيتسلل إلى داخل النفس الإنسانية ليوقظ مشاعر غافية من الإيمان والنزوع نحو الجميل والخير فابن جبير الذي عاش بين عامي ٥٣٩ - ٦١٤هـ الموافق ١١٤٤ - ١٢١٧م قام برحلات ثلاث أهمها رحلته التي استغرقت ثلاث سنوات بدأها في يوم الاثنين التاسع عشر من شهر شوال سنة ٥٧٨هـ الموافق للثالث من شهر شباط سنة ١١٨٢م وختمها في يوم الخميس الثاني والعشرين من محرم سنة ٥٨١هـ الموافق للخامس والعشرين من شهر نيسان سنة ١١٨٥م ويصف الحالة الشعورية التي انتابته عند دخوله المسجد الحرام بقوله: (ودخلنا مكة حرسها الله في الساعة الأولى من يوم الخميس الثالث عشر لربيع المذكور (الآخر) وهو الرابع من شهر أغشت على باب العمرة، وكان إسراؤنا تلك الليلة المذكورة، والبدر قد ألقى على البسيطة شعاعه، والليل قد كشف عنا قناعه والأصوات تصك الآذان بالتلبية من كل مكان، والألسنة تضج بالدعاء وتبتهل إلى الله بالثناء فتارة تشتد بالتلبية وآونة تتضرع بالأدعية.

فيالها ليلة كانت في الحسن بيضة العقر، فهي عروس ليالي العمر وبكر بُنَيَّات الدهر، إلى أن وصلنا في الساعة المذكورة من اليوم المذكور، حرم الله العظيم ومُبَوَّأ الخليل إبراهيم - عليه السلام - فألفينا الكعبة الحرام عروساً مجلوَّة مزفوفة إلى جنة الرضوان محفوفة بوفود الرحمن، فطفنا طواف القدوم، ثم صلينا بالمقام الكريم، وتعلقنا بأستار

الكعبة عند الملتزم، وهو بين الحجر الأسود والباب، وهو موضع استجابة الدعوة، ودخلنا قبة زمزم وشربنا من مائها، وهو لما شُرب له، كما قال صلى الله عليه وسلم ثم سعينا بين الصفا والمروة، ثم حلقنا وأحللنا فالحمد لله الذي كرّمنا بالوفادة عليه وجعلنا ممن انتهت الدعوة الإبراهيمية إليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل)(١).

وابن بطوطة المولود يوم الإثنين ١٧ رجب عام ٧٠٣هـ الموافق ٢٥ شباط ١٣٠٤م في مدينة طنجة بشمال المغرب بدأ رحلته وحيداً في يوم الخميس ٢ رجب عام ٧٢٥هـ فزار مكة المكرمة ووقف بعرفات أول مرة يوم الخميس عام ٧٢٦هـ ثم قيض له أن يعود إلى مكة بعد رحلة إلى العراق فأقام بها وحج في الأعوام ٧٢٧هـ و٧٢٨هـ و ٧٢٩هـ ثم تابع رحلته إلى شرق الجزيرة العربية ولكنه عاد ليحج للمرة الخامسة في عام ٧٣٢هـ ثم استأنف رحلته ولكنه عاد أيضاً إلى مكة ليحج للمرة السادسة والأخيرة عام ٧٣٩هـ وهذا ما يفسر حرارة المشاعر التي ينطوي عليها وصف ابن بطوطة لمشاهدة ومشاهد البيت الحرام حيث يقول: (فوصلنا عند الصباح إلى البلد الأمين مكة شرفها الله تعالى، فوردنا منها على حرم الله تعالى، ومبوأ خليله إبراهيم - عليه السلام - ومبعث صفيه محمد - صلى الله عليه وسلم - ودخلنا البيت الحرام الشريف، الذي من دخله كان آمناً، من باب بني شيبة، وشاهدنا الكعبة الشريفة زادها الله تعظيماً، وهي كالعروس تجلى على منصة الجلال، وترفل في برود الجمال، محفوفة بوفود الرحمن، موصلة إلى جنة الرضوان. وطفنا بها طواف القدوم، واستلمنا الحجر الكريم، وصلينا ركعتين بمقام إبراهيم وتعلقنا بأستار الكعبة عند الملتزم بين الباب والحجر الأسود حيث يستجاب الدعاء. وشربنا من ماء زمزم، وهو لما شرب له حسبما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم سعينا بين الصفا والمروة، ونزلنا هنالك بدار بمقربة من باب إبراهيم. والحمد لله الذي شرفنا بالوفادة على هذا البيت الكريم، وجعلنا ممن بلغنا دعوة الخليل عليه الصلاة والتسليم، ومتع أعيننا بمشاهدة الكعبة الشريفة والمسجد العظيم والحجر الكريم وزمزم والحطيم ومن عجائب صنع الله تعالى أنه طبع القلوب على النزوع إلى هذه المشاهد المنيفة، والشوق إلى المثول بمعاهدها الشريفة، وجعل حبها متمكناً في القلوب فلا يحلها أحد إلا أخذت بمجاميع قلبه، ولا يفارقها إلا أسفاً لفارقها،

متولهاً لبعاده عنها شديد الحنين إليها، ناوياً لتكرار الوفادة عليها. فأرضها المباركة نصب الأعين ومحبتها حشو القلوب، حكمة من الله بالغة، وتصديقاً لدعوة خليله عليه السلام. والشوق يحضرها وهي نائية، ويمثلها وهي غائبة، ويهون على قاصدها ما يلقى من المشاق ويعانيه من العناء. وكم من ضعيف يرى الموت عياناً دونها، ويشاهد التلف في طريقها، فإذا جمع الله بها شمله، تلقاها مسروراً مستبشراً، كأنه لم يذق لها مرارة، ولا كابد محنة ولا نصباً إنه لأمر إلهي وصنع رباني، ودلالة لا يشوبها لبس، ولا تغشاها شبهة ولا يطرقها تمويه، وتعز في بصيرة المستبصرين، وتبدو في فكرة المتفكرين. ومن رزقه الله تعالى الحلول بتلك الأرض والمثول بذلك الفناء، فقد أنعم الله عليه النعمة الكبرى، وخوله خير الدارين الدنيا والأخرى، فحق عليه أن يكثر الشكر على ما خوله، ويديم الحمد على ما أولاه، جعلنا الله تعالى ممن قبلت زيارته، وربحت في قصدها تجارته، وكتبت في سبيل الله آثاره، ومحيت بالقبول أوزاره، بمنه وكرمه(٢).

والرحالة القلصادي أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي المتوفى بباجة سنة ٨٩١هـ الذي يحدد بدقة وصوله إلى مكة ويلخص مشاعره التي اعترتها الدهشة ولعلها سر الإيجاز والاختصار حيث يقول:

(وبلغنا إلى مكة المشرفة في الثلث الأول من ليلة الجمعة التي صبيحتها التاسع والعشرون من رمضان ٨ ديسمبر ١٤٤٧م. فدخلنا على باب الشبيكة وحططنا الرحال في داخل المدينة وقد ذهب عنا تعب السفر بتحصيل البغية والظفر فذهبنا إلى الحرم الشريف. ودخلنا على باب إبراهيم عليه السلام وإن كان الأولى الدخول من باب السلام.

وحين أشرفنا على الكعبة الشريفة رأينا ما يدهش الناظر ويحير الفكر والخاطر بما خصها الله تعالى به من الهيبة والتعظيم فطفنا بها سبعاً وصلينا الركعتين في مستقر الأمن والأمان: مقام أبينا إبراهيم عليه السلام ثم خرجنا من باب الصفا إلى الصفا وسعينا سبعاً وقد تمت العمرة بالحلاقة.

ووقفنا في أثناء هذه العبادة للاجتماع مع بعض أصحابنا من أهل بسطة والتلاق، ولم نعرف كيف ذهبت تلك الليلة من السرور والفرح، إلى أن لاح الفجر، وقرب الصباح فاغتسلنا وصلينا الصبح بالحرم الشريف)(٣).

ونتدرج مع هؤلاء الرحالة عبر رحلة

السنين في رحلاتهم للحج وتخليد مشاعرهم التي تفجرت ينابيعها على أرض الطهر والقداسات في مكة المكرمة نصل وفق التسلسل التاريخي إلى محمد حسين هيكل في كتابه (في منزل الوحي) حيث يصور في رحلته للحج التي كانت في عام ١٩٣٦م تلك التداعيات التي انثالت على ذهنه وهو يستحضر مشاهد التاريخ ليزاوج بين الحاضر والماضي والواقع والخيال في لحيظات من التحليق أشبه إلى الحلم منها إلى الواقع وكأنها خواطر الوسنان بين اليقظة والنوم حيث يقول: (وما لبثت حين تخطيت الباب والمكان المستوف من المسجد بعده حتى تبدت لي الكعبة قائمة وسط المسجد وقد انسدل على جدرانها لباسها الأسود المطرز بوشي الذهب. تبدت لي دون أن يلفتني أحد إليها. وتبدت وكأني عرفتها وطفت بها قبل ذلك مرات.. وما لي لا أعرفها وقد رأيت كسوتها يطاف بها في القاهرة منذ طفولتي، وقد تبعت هذه الكسوة مرات عدة في سنوات متعاقبة حين كانت تنقل من القلعة إلى بيت الناظر مارة بالمشهد الحسيني وسط الجموع التي كانت تسير مثلي وراءها في هذا المشهد الديني الحافل الرهيب.

تبدت لي الكعبة قائمة وسط المسجد، فشد إليها بصري، وطفر نحوها قلبي، ولم يجد فؤادي عنها منصرفاً، ولقد شعرت لمرآها بهزة تملأ كل وجودي.. وتحركت قدماي نحوها وكلي الخشوع والرهبة، وقلت إذ وقع نظري عليها ما ألقى المطوف علينا أن نقوله: اللهم أنت السلام ومنك السلام، حيِّنا ربنا بالسلام، فزادني تحرك شفتي بهذه الألفاظ مهابة ورهبة. وأراد مطوفي ونحن نتخطى إليها أن يحدثني في تاريخ المسجد وأبوابه وما أضيف إليه من عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم أمسك حين لم يجد مني إقبالاً على سماعه وكيف لي في هذه الساعة بالاستماع إلى حديث وقد ملك البيت عليّ نفسي وجذبني لأسرع إليه فأطوف به وأذكر الله عنده.

وارتسمت صورة البيت أمام بصيرتي منذ أقام إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - قواعده مثابةً للناس وأمناً يقيمون الصلاة ويذكرون الله عنده. وبلغت باباً قائماً وسط صحن المسجد. قال مطوفي: إنه موضع بابه في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - فأجلت طرفي بين هذا الباب والبيت العتيق وذكرت ما حدث قبل مبعث محمد - صلى الله عليه وسلم - حين كانت قريش تجدد بناء الكعبة ثم اختلفت قبائلها أيها يضع الحجر الأسود مكانه، وبلغ منها الخلاف إن كادت الحرب الأهلية

تنشب بينها، ثم أشار عليهم أبو أمية بن المغيرة المخزومي أن يجعلوا الحكم في خلافهم أول من يدخل من باب الصفا، وكان محمد (صلى الله عليه وسلم) أول من دخل منه فارتضوا حكمه، فجعل الحجر على ثوب رفعه رؤساء القبائل جميعاً من أطرافه ثم أخذه فوضعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكانه.

كان البيت يومئذ كما هو اليوم، إلا أن كسوته لم تكن سوداء مطرزة بوشي الذهب، أما المسجد فكان ضيقاً لا يبلغ العُشر مما هو اليوم. وهانذا أتقدم نحو البيت الذي أقام إبراهيم وإسماعيل قواعده، والذي وضع محمد قبل مبعثه حجره الأسود في مكانه، والذي طاف به الأنبياء، وطاف به الملوك والأمراء على مرِّ الدهور وهم في مثل ما أنا فيه من خشوع ومهابة، وهم سواسية أمام الله مع من يرعونهم من عباد الله، وقلوبهم تفيض ندماً وتوبة واستغفاراً، والذي طاف به ملايين المسلمين وربما كان أشدهم فقراً من هو أكرم عند الله من هؤلاء الملوك والأمراء لأنه أنقى منهم وأعظم بالله إيماناً. هأنذاً أتقدم اليوم نحو البيت أطوف به طواف العمرة وقد اجتمع هذا الماضي كله المهابة والجلال أمام بصيرتي، فزادني شعوراً بما بيني وبين الذين أقاموا قواعد البيت والذين تطوّفوا به من صلة تمحى أمامها الزمان والمكان وتتبدى من خلالها وحدة الكون التي لا تعرف الزمان والمكان)(٤).

هذه سلسلة من الرحلات تعاقبت مع مرِّ السنين وهذه مشاعر طافت في أذهان من رأى البيت وطاف حوله ومع كل هذا الارتقاء في المشاعر والتسامي في الأحاسيس يظل لكل من يرد هذا البيت ويفد إلى رحاب الرحمن متسع للمزيد فاللهم زد بيتك تشريفاً وتعظيماً وأمنن على كل من يرعاه ويكرمه ويكرم أهله جيرتك وزواره من حجاج ومعتمرين بفيض من عطائك ورحمتك وصل اللهم على خير من طاف ببيتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

(*) أستاذ النقد الأدبي ورئيس قسم اللغة العربية ـ جامعة الملك عبدالعزيز ـ جدة

الهوامش:

(١) ص ٥٨.

(٢) ص ١٥٢ ـ ٣

(٣) ص ١٣١ ـ ٣.

(٤) ص ٧٩ ـ ٨

الحج والمدينتان المقدستان في الأدب السعودي



بقلم أ.د. محمد خضر عريف*

تقديم:

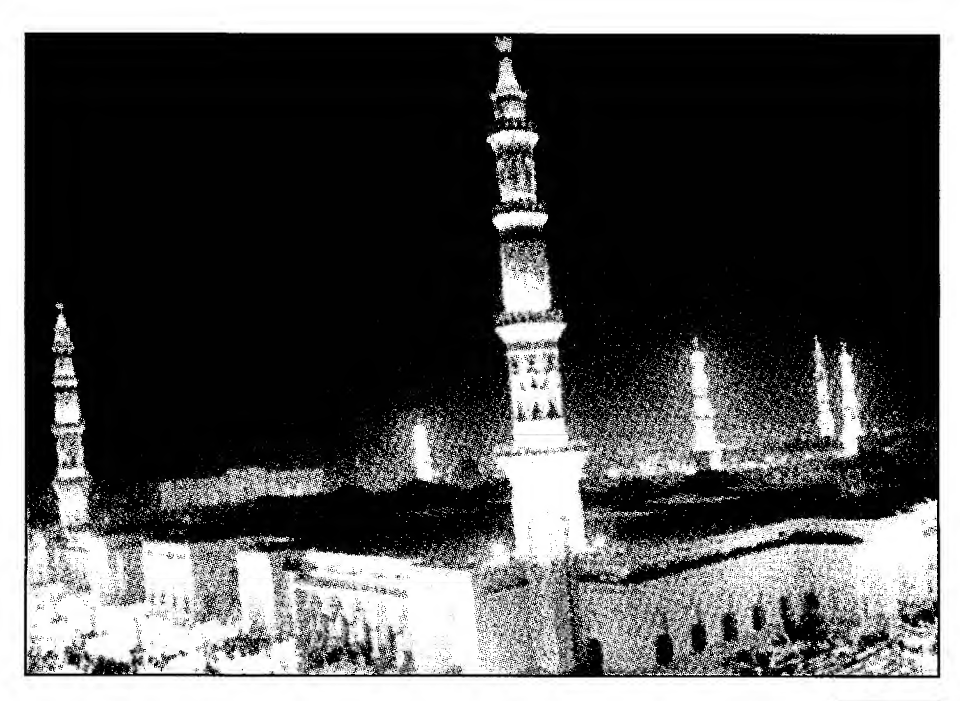
إن ارتباط الأدب السعودي بالحرمين الشريفين بكل ما فيهما من قدسية وروحانية ارتباط أزلي وثيق، وقبل ذلك هو ارتباط طبيعي تفرضه عوامل الدين والقربى والجغرافيا والتاريخ. وهو ارتباط أقوى بكثير مما يربط الشعراء العرب الآخرين بأرضهم ووطنهم، إذ لا يرتبط ذلك بالضرورة بالعقيدة الدينية بقدر ما يرتبط بالاعتبارات التاريخية والقومية. لذلك فإنه يكون متوقعاً كثيراً أن يفيض الأدب السعودي ويزخر بذكر الحرمين الشريفين والحديث عن الحج والعمرة والزيارة، في مختلف فروعه وصنوفه بين منظوم ومنثور.

وتسعى هذه المقالة إلى استعراض بعض النماذج من الأدب السعودي منذ عهد الملك عبدالعزيز وحتى اليوم، مما تعلق وارتبط بقوة بمكة المكرمة والمدينة المنورة والحج، من شعر أو نثر. وتحليل بعض تلك النماذج بهدف بيان مدى ارتباط الأدباء السعوديين بهذه الأرض الطاهرة وكيف أسهم ذلك في شحذ قريحتهم الأدبية فأفرزت روائع سينشدها الدهر دوماً إن شاء الله.

وقد كان طبيعياً أن يكون الأدباء من سكان المدينتين المقدستين أكثر أدباء المملكة اهتماماً بهما، فقد ولدوا وترعرعوا بين جنبات الحرمين وعايشوا الحجيج وخدموهم وطوّفوهم وزوّروهم مع آبائهم وأجدادهم منذ نعومة أظفارهم.

الدراسات التاريخية والجغرافية :

أخرج الأدباء السعوديون على مدى عقود عدداً من المؤلفات والمصنفات التي تهتم بتاريخ الحرمين الشريفين وتبين أهم المواقع فيهما، وتميزت هذه المؤلفات والمصنفات في مجملها بالدقة والعلمية وحازت قصب السبق في كثير من كشوفها في عهود متقدمة من زمن التأليف العلمي الحديث في العالم العربي.



ولم ترم هذه المؤلفات إطلاقاً إلى الكسب المادي رغم كل الجهود الكبيرة التي بذلت فيها بقدر ما كانت ترمي إلى خدمة المدينتين المقدستين وتوثيق تاريخهما وجغرافيتهما كسباً لثواب الله تعالى وما أنتجه الأدباء السعوديون في ذلك كثير لا يحصى، ونورد منه بعض النماذج فقط مما وقعت أيدينا عليه.

وممن خدموا المدينة المنورة ببيان الكثير من آثارها المهمة، الأديب المدني الكبير الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري صاحب (المنهل). واسمه الكامل: عبدالقدوس بن القاسم بن محمد بن محمد الأنصاري، ولد بالبلدة الطيبة عام ١٣٢٤هـ وأسس مجلته الثقافية العريقة (المنهل) عام ١٣٥٥هـ في المدينة المنورة.

وكانت أعمال الأنصاري في مجملها مرتبطة بحبه لبلاده عامة وللمدينة المنورة خاصة ومن أعماله العلمية المشهورة في هذا المجال كشفه للكثير من الآثار المهمة في المدينة المنورة، وقد رافق رحمه الله في شبابه المستشرق البريطاني «فيلبي» في جولات استكشافية أثرية. وعزّ عليه أن يستأثر المستشرقون بهذا العلم، فجدَّ في جمع أوفى المعلومات وأدقها عن آثار مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصدر ما توصل إليه في كتاب: «آثار المدينة المنورة» وكان ذلك في عام ١٣٥٣هـ وكان أول كتاب علمي موثق في الآثار يصدره أحد أبناء هذه البلاد في العصر الحديث، وقد شمل كتابه العلمي هذا عدداً من الأقسام منها: قسم الدور وقسم القصور وقسم الحصون وسواها، وقد أجاد فيها جميعاً، وأمضى في جمع مواد هذا الكتاب المميز مايزيد عن ثماني سنوات واجه فيها الكثير من الصعاب. وقد أثنى على هذا الكتاب الدكتور محمد حسين هيكل وعلماء ومؤرخون آخرون وبعض المستشرقين.

وقد واصل عبدالقدوس الأنصاري - رحمه الله - جهوده المكثفة في الوقوف على آثار بلاده وتسجيل كل معلومة فريدة عنها بدقة متناهية وعلمية متأنية، فأصدر سنة ١٣٧٩هـ كتاب «تحقيق أمكنة في الحجاز وتهامة». وفي سنة ١٣٨٣هـ أصدر كتاب: «تاريخ مدينة جدة». وفي سنة ١٣٨٩هـ كتاب «تاريخ العين العزيزية بجدة ولمحات من مصادر المياه في المملكة العربية السعودية». وفي سنة ١٣٩١هـ كتاب: «بين التاريخ والآثار». وفي سنة ١٣٨٩هـ كتاب: «طريق الهجرة». وكان هذا الكم الهائل من الدراسات في التاريخ والآثار دليلاً على تمكن هذا العالم الجليل من تاريخ هذه البلاد وخصوصاً المدينة المنورة ومعرفته بأهم آثارها.

ومن المؤرخين السعوديين البارزين الذين اهتموا بتاريخ المدينة المنورة أيضاً الأديب والشاعر المدني الكبير عبيد مدني الذي ولد بالمدينة المنورة في شهر ربيع الأول من عام ١٣٢٤هـ ويعتبر من المؤسسين ومن جيل الرواد في الأدب السعودي. كما كان - رحمه الله - من المؤلفين المكثرين ويعتبر من المؤرخين المعدودين في جيله الذين اهتموا بتاريخ المدينة المنورة خاصة، وكأنه فتح الباب على مصراعيه بعد ذلك لأدباء المدينة المنورة للنسج على منواله والكتابة في تاريخ طيبة الطيبة.

ومن مؤلفات عبيد مدني المطبوعة والمخطوطة: «تأريخ المدينة المنورة» في خمسة مجلدات و«تأريخ أطام المدينة المنورة» و«تواريخ المدينة المنورة ومؤرخوها» وكأنه رحمه الله كان يتتبع تأريخ كل شبر من البلدة الطيبة ليكتب كل ما يعرفه عن تأريخه ويستقصي كل شاردة وواردة عنه، في أسلوب علمي دقيق يندر مثاله في زمانه. وقد استند العديدون من مؤرخي المدينة المنورة في عصرنا الحاضر إلى مؤلفات عبيد مدني العديدة

في تاريخها.
وكما اهتم أدباء الرعيل الأول بتأريخ المدينة المنورة وجغرافيتها، فقد اهتم فريق منهم بأم القرى، فأفرد لتأريخها وآثارها المجلدات الطوال. ويتبدى جلياً أن المدنيين كانوا مهتمين بالتأليف عن المدينة، وأن المكيين كانوا مهتمين بالتأليف عن مكة، مع اهتمام مشترك لهم جميعاً بالمدينتين المقدستين. ولكن اهتمام كل فريق بمسقط رأسه ومكان سكناه كان يرجع إلى معرفته أكثر من غيره عنه، كما يقول المثل السائر: «أهل مكة أدرى بشعابها».
والذين كتبوا عن مكة كثير نذكر منهم الأديب المكي الكبير أحمد السباعي واسمه الكامل أحمد بن محمد بن أحمد السباعي. ولد في مكة المكرمة سنة ١٣٢٣هـ وانتقل إلى رحمته تعالى يوم الثلاثاء السادس عشر من ذي الحجة من عام ١٤٠٤هـ.
ومن أهم انتاج السباعي كتابه «تأريخ مكة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران» وهذا الكتاب كما يتجلى من عنوانه، يصور تأريخ مكة السياسي الحضاري منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث. واستدرك السباعي بذلك ما فات المؤرخين السابقين، إذ أرخ لحقب لم يتعرض لها سواه كالعصر الأموي والعباسي الأول والثاني، كما ألقى الضوء على حوادث لها أهميتها في عهد الفاطميين والعباسيين والمماليك.
كما تميز تأريخه لمكة بالشمول، فلم يقتصر على التأريخ السياسي، بل شمل التأريخ الحضاري والعلمي، ويعتبر السباعي بذلك مجدداً، إذ كان المؤرخون قبله لا يتجاوزون التأريخ الديني لمكة غالباً.
ويقع كتاب السباعي «تأريخ مكة» في مجلدين، وقد اعتمد فيه على التركيز والإيجاز الشامل وتجنب الاستطراد وكثرة النقول والنصوص.
وقد كتب عن تأريخ وآثار مكة المكرمة والمدينة المنورة أدباء آخرون، لا يتسع المقام لذكرهم، اتسمت كتاباتهم جميعاً بالعلمية والجدية.
تغني الأدباء السعوديين بحب مكة والمدينة:
أ ـ مكة المكرمة:
تجلى حب أدباء المملكة الشديد لمكة المكرمة مهبط الوحي ومهد الرسالة المحمدية في الكثير من نتاجهم الإبداعي شعرهم ونثرهم. وكما ذكرنا آنفاً فإن سكان المدينتين المقدستين كان لهم باع طويل في ذلك أكثر من سكان المناطق الأخرى للأسباب التي ذكرناها.
ولعل سبب هيام الأدباء عامة والشعراء خاصة بأم القرى توضحه أبيات تمتلىء عذوبة ورقة للشاعر المكي الكبير طاهر زمخشري الذي ولد عام ١٣٣٢هـ وقد أحب (باب طاهر) مكة المكرمة وهام في حبها فقال فيها:

منبع الإشراق، صداح المنى	يملأ الدنيا ضياءً ها هنا
والقداسات السخيات الهبات	منهل يجري بفيض البركات
يعبر الأجيال من ماض لآت	بالهدى فاض نميراً من هنا
يغمر الدنيا جلالاً وسنى	وهو ينساب دفوقاً محسنا

وكأن الشاعر يؤكد أن مكة المكرمة هي مركز النور والضياء، فهي أرض القداسات التي ظهرت فيها دعوة ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ لتخرج الناس من الظلمات إلى النور.
أما الشاعر المكي الكبير محمد حسن فقي فقد كانت له عدة قصائد في مكة المكرمة ضمن إنتاجه الشعري الضخم الذي قد يكون أضخم نتاج شعري لشاعر عربي على الإطلاق في

القديم والحديث. إذ يصل شعره المطبوع إلى خمسين ألف بيت، وهو كمٌّ لم يبلغه أحد من الشعراء القدامى أو المحدثين على أصح تقدير، وهذا الإنتاج الغزير يسير في ركاب الشعر السعودي الملتزم الذي يجمع بين العروبة والإسلام في منظومة شعرية بديعة.

وقد تغنى الشاعر الفقي بمكة مراراً، ومن ذلك قوله:

مكتي أنت. ولا جلالٌ على الأرض — يداني جلالها أو يفوقُ
ما تبالين بالرشاقة والسحر — فمعناك ساحرٌ ورشيقُ
سجدت عنده المعاني — فما ثمَّ جليل سواه أو مرموق
ومشى الخلد في ركابك مختالاً — يمد الجديد منه العتيق
كل حسن يبلى وحسنك ـ يا مكة ـ — رغم البلى الفتي العريق
درج المصطفى عليك فأغلاك — وأغلاك بعده الصديق

ويبين الفقي في هذه القصيدة جلال مكة الذي لا يعد له جلال في بقاع الأرض وهذا الجلال مصدره بعث النبي المصطفى فيها صلى الله عليه وسلم.

وكما كانت لأغزر شعراء العربية محمد حسن فقي قصائد كثيرة في مكة، فقد كان لشاعر مكة الأستاذ علي أبو العلا قصائد عديدة فيها. والأستاذ علي أبو العلا من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ وله اليوم منتدى مشهور في مكة هو «منتدى أبو العلا الأدبي».

وفي شعر أبي العلا عامة ارتباط وثيق بأرض القداسات التي ولد فيها ونشأ وترعرع، فلما يزل يتحدث عن مكة المكرمة ويتغنى بها في شعره، ومن ذلك قصيدته «مكة رحاب الوحي» التي نشرت في عدد من الصحف المحلية التي يقول فيها:

كم ليال جلَّل الوحي رباها — قف سل لتأريخ ينبيء عن علاها
مجدها قد فاق أمجاد الورى — وسنا الكون وميضٌ من سناها
علمتني أنشد المجد ونفسي — في حمى الكعبة يزداد تقاها

إلى أن يقول:

مكة يا قبلة الأرض وحسبي — أن نبي الله كياني من ثراها
مكة يا منزل آساد الشرى — أخضعوا الآفاق وانقادت ذراها
تربها كالمسك عطراً وعبيراً — وأمان الله قد عمَّ حماها
كعبة القصاد من حج منيباً — أبلغ النفس من الأجر مناها
ودعا الله في موقعه — عرفات الله يحظى من أتاها

ومن الشعراء المكيين الذين تحدثوا عن كل جزء من مكة المكرمة في قصيدة واحدة إمعاناً في حبها وارتباطاً بكل حبة رمل فيها، الشاعر الدكتور إبراهيم بن عباس نتو المولود في مكة المكرمة عام ١٣٦٤هـ الذي يقول في قصيدة «مكة الثريا»:

أمكة يا عماد الدين والرحمن حاميها — ثريا في مدائننا وحاضرها وماضيها
وفيها كعبة التوحيد، إسماعيل بانيها — وإبراهيم، أرساها على الإيمان باديها
وهاجر لم تزل تسعى بمرواها وصافيها — ومن جوع فأطعمها ومن خوف يحاميها
وثم لآلىء القرآن، لا شيء يدانيها — تنزل في رباها الخير فاخضرت روابيها
وعمّ النور أرجاها، أعاليها وواديها — حجون الفتح والمعلاة آثارٌ لماضيها
وغار الثور ثم حراءُ كان الله منشيها — ومثوى درة الخلان في عدن بعاليها
إلى عرفات، مزدلف، منى خيف ويكفيها — يجيء الزائر التواقُ للقربى يناجيها
ومن إثمٍ يطهرها، وبالتقوى يزكيّها — ومن بئر على ظمأ بقدر الكفّ يرويها

سقاك الله يا بلدي، وربُّ البيت راعيا وبارك في مدى الأيام مافيها ومن فيها

ومن استعرض هذه الأبيات يلاحظ أن الشاعر قد تحدث عن معظم المواقع المهمة في مكة المكرمة من عرفات إلى مزدلفة إلى منى إلى حراء وسواها في منظومة واحدة ذات جرس سريع خفيف: فَعلن ـ فعلن ـ فعلُن ـ فَعلُنْ.

ومن الشعراءَ الشبانَ الذينَ تغنواَ بأمجاد مكة المكرمة كذلك الدكتور عبدالله بن محمد باشراحيل المولود عام ١٣٧٠ هـ بمكة المكرمة. يقول في قصيدة له بعنوان «موطن الهدى».

موطن الهدى يا ملاذ الرشاد ومنار الشموخ والإعتداد
مهبط الوحي والنبوة و الحق ومهد الدعاة والرواد
والكتاب الكريم أنزله الله ضياء، ومنهجاً للعباد
ولد النور، يوم ولد خير الخلق وانداح في الربى من الحساد
ويطوف الأمصار في الناس يدعو دعوة الدين في جميع البلاد

إلى أن يقول:

مكة النور. حينما انتشر النور وعاد البشير بالأمجاد
واستقام الأمان وارتفع الصوت قوياً، وهادراً في البوادي
فإذا نحن باليقين وجدنا عزة الحق في بلوغ المراد
وحكمنا الأمصار في سالف العهد ببأس الآباء، والأجداد
متى يا ترى نفيق ونصحو نتنادى بنخوة الأجداد
ونعيد الحياة نصراً وفخراً ونلاقي الأجناد بالأجناد

ب ـ المدينة المنورة:

وكما تغنى المكيون بمكة المكرمة فقد تغنى المدنيون وسواهم بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأذكى التسليم. ففاضت أشعار الكثير من الشعراء في هذه البلاد الطاهرة بكل مظاهر التعلق بطيبة الطيبة وحب سيد الخلق فيها عليه الصلاة والسلام، ومن هؤلاء الشعراء الكبار الشاعر المدني المبدع: ضياء الدين رجب المولود في المدينة المنورة عام ١٣٣٠ هـ.

ومن شعر ضياء الدين رجب في المدينة المنورة قصيدة تتبدى فيها ديباجته الأنيقة التي يفوق بها كثيراً من شعراء العربية، هي قصيدة «المدينة المنورة» التي أنشأها بمناسبة الهجرة النبوية الشريفة ونشرتها جريدة البلاد عام ١٣٨٨ هـ يقول فيها:

جاءك الغيث أماناً وسلاماً ورضى سمحاً وعيناً وابتساماً
يا بلاداً حلم الغيث بها يتحرّاها سحاباً وغماما
فإذا ما نجبست أنواؤه ذاب حباً في مغانيها وهاما
دونها الخلد بما ألبسها صانع الخلد جمالاً ومقاما
الشذى يألق من لألائها والسنا ينضح عطراً وخزامى
والدنى تسبح في أفلاكها تعبر النور الذي ينسي الظلاما

ولضياء الدين رجب كذلك شعر كثير في المدينة المنورة وتاريخها الإسلامي العريق، ومن ذلك ما جاء في قصيدة «في ربوع المدينة» التي يقول فيها:

والشذى في أحد من عبير الشهداء
عظة للأبد في مجالات الفداء
فلنعظم قدرها ولنمجد ذكرها

وصلت مجـد حــراءٍ في ربى البيت العتيق
وجلت نـور السمـاء في محيـاه الطليق
أحمـدُ خير البريـةْ بالمعـاني العبقريةْ

وكان أبناء المدينة المنورة من الشعراء يتوقون إليها إذا ما ابتعدوا عنها ولو لفترة وجيزة. ومن هؤلاء عبدالسلام هاشم حافظ الذي ولد في المدينة المنورة عام ١٣٤٧هـ وقد كانت طيبة الطيبة معشوقة هذا الشاعر المدني المبدع فنظم فيها وفي حبها شعراً كثيراً في شبابه وشيخوخته. ومن أجمل شعره في المدينة المنورة قصيدة نظمها حين كان مسافراً في القاهرة للعلاج. عنوانها «الشوق يا وطني» يقول فيها:

وفي المدينة أحلامي وعاطفتي وذكريات الصبا والمأمل الداني
بمشهد المصطفى.. خير الجوار به يا عزّة من جوار فيه تلقاني
بين المدينة والآثار زاهرة بها الحياة.. وفيه الخير كفلان
سر الجلال بها والله كرمها بالدين والنور من وحي وقرآن
أوّاه من شوقي المحموم يشغلني عن كل أمر سوى داري وأوطاني
رباه حقق لنا عوداً نقرّ به لا شيء عن وطني يدعو لسلواني
من لا يروم ظلال الخلد تشمله عند الحبيب بألطاف وإحسان

وكما ذكرنا فإن هيام المدنيين بالمدينة المنورة قد لا يقل إن لم يتساو مع هيام المكيين، وقد تجلى ذلك في الكثير من شعر المكيين الذي ينضح بإعظام مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتصوير الشوق إليها في كثير من الأحيان، ومن هؤلاء الشاعر المكي الكبير حسين عرب المولود في مكة المكرمة سنة ١٣٣٨هـ الذي يقول في قصيدة «موكب النور».

كبري ياجبال طيبة بالعيد وهزي الجبال بالترديد
واذكري مطلع النبي ينـاديك ـ طريداً ـ أعظم به من طريد
طلع البدر من خلال الثنيات فكانت مطالعاً للسعود
بوّأته منازل الأوس والخزرج منها، مباءة التمجيد
وفدته الأنصار بالمال والروح وجادت بطارف وتليد
استنار الضحى وقد جاء نصر الله والفتح للطريد الشريد
فقضى الشرك نحبه يوم بدرٍ فاسألوا بدر عن مصير الجحود
ياربوع الهدى وأرض النبوات سلاماً من الفؤاد العميد
ها جنا العيد فادكرنا البطولات بواديك في قديم العهود
وأطافت بنا الهواجس شتى يتوالى إلى قديمها، بالجديد

ولم يكن الشعراء الوحيدين ممن تغنوا بأمجاد المدينة المنورة أو فتنوا بقداساتها وروحانياتها، فقد تبدى ذلك في نتاج الناثرين أيضاً.

والنثر كما هو معروف قسيم الشعر في فنون القول، ويعرف أهل الأدب أن كتابة النثر الفني أصبحت من كتابة الشعر لأن الشعر له ضوابطه المستقرة من وزن وقافية وتخييل، أما النثر فليست له ضوابط واضحة. وما قيل عن معايير النثر الفني المرسل والمزدوج وسواه لا تنطبق بالضرورة على كل ضروب النثر الذي يجود فيه كل أديب بطريقته ويبدع فيه كل كاتب بأسلوبه.

وإذا أردنا أن نتحدث عن الناثرين السعوديين البارزين في الوقت الحاضر من روحانية وقدسية، فلابد من أن نذكر الكاتب السعودي المدني الكبير الدكتور عاصم حمدان علي

حمدان المولود في المدينة المنورة عام ١٣٧٣هـ.

فقد شممنا من مؤلفاته العديدة عبق القداسات في مدينة الرسول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وتجولنا معه في أزقة «حارة الأغوات» ومازلنا، وكأنها ماتزال قائمة حتى الآن، ومشينا في دروب «المناخة»، ووقفنا معه أمام «باب المجيدي» لننظر إلى تلك المعالم المدنية المباركة، واستمعنا معه إلى تلك الأصوات الشجية لمؤذني الحرم النبوي الشريف، وجلسنا معه في حلقات العلم والدروس في ساحات مسجد المصطفى عليه الصلاة والسلام كما سمعنا منه «هتافاً» روحانياً من باب السلام. ذلك بعض ما تبدى في مؤلفات الدكتور عاصم حمدان العديدة عن المدينة المنورة وروحانياتها.

والحديث يطول عما كتب من شعر ونثر عن طيبة الطيبة، وما أوردناه في هذه المقالة ليس إلا النذر اليسير.

الحج في نتاج الأدباء السعوديين:

تكثر النصوص الأدبية التي تتحدث عن الحج في نتاج الأدباء السعوديين بحكم عيشهم في المدينتين المقدستين وعمل الكثير منهم في خدمة الحجيج ويندر أن يكون من بين ساكني مكة أو المدينة من ليس له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بخدمة الحجيج، وقد انعكس ذلك على شعر الشعراء وأدب الأدباء بجلاء، فتحدثوا عن الحج بكثير من الصدق والحميمية.

ونحن في هذه المقالة المقتضبة نتخير نصوصاً قليلة تمثل نماذج من هذا النتاج الكبير وتدلل بعامة على توجه الأدباء في هذه البلاد إلى الاهتمام بهذه المناسبة الكبيرة.

ونقدم نصين شعريين ونصاً نثرياً حول الحج. والنص الشعري الأول هو للشاعر المكي حسين عرب الذي سبق ذكره، والذي كان وزيراً للحج والأوقاف سنة ١٣٨١هـ وكان أول من يشغل هذا المنصب يقول حسين عرب في قصيدة بمناسبة عيد الأضحى:

أوبي يا جبال مكة للذكرى جلالاً، وكبري للعيد
وأذكري كيف أشرق النور من غار بعيد في الأفق غير البعيد
وأطلي على حمى الكعبة الغراء، إطلالة الرفيق الودود.
وانظري للوفود من كل فج قد تلاقت كريمة بالوفود
نهلت من روافد الحرم الآمن، من منهل الندى والجود
وأفاضت به إلى الشرق والغرب غيداً معطراً بالورود

أما النص الشعري الثاني فهو لشاعر مدني يعتبر من رواد الصحافة في بلادنا، وهو السيد علي حافظ المولود في البلدة الطيبة عام ١٣٢٦هـ يقول في قصيدة أنشأها في يوم عرفات:

بالحج ندرك آمالنا ونعبد رباً إليه ننيب
نطوف ونسعى ونرمي الجمار رضاء الإله الكريم المجيب
وفي عرفات لنا موقف يكفر عنا عظيم الذنوب
ننادي وندعو، نخاف، نتوب وتخشع لله منا القلوب
يجيب الدعاء لمن قد دعاه يجود ويعطي بغير حسيب
عبيدك يا رب قد أذنبوا وعفوك يارب منهم قريب

والنص النثري الذي نسوقه في هذه المقالة هو لرائد آخر من رواد الصحافة في بلادنا، وهو الأستاذ عبدالمجيد شبكشي المولود في جدة عام ١٣٣٩هـ وقد تحدث - يرحمه الله - عن مناسبة

الحج بلسان الأديب القدير فقال: «ليس بين المواقف كلها منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها وإلى يوم البعث موقف يسمو بروحانيته ويتسامى في روعته ويشمخ بعظمته كموقف عرفات، حين يمنّ الله تعالى - برحمته - على عباده الذين اتجهوا إليه بكل إيمانهم به وإخباتهم له ليستمدوا ما تزكو به أرواحهم وتتفتح قلوبهم وتصفو نفوسهم فيعودوا وقد ملأ هذا النور حياتهم ليستضيئوا به في جهاد نفوسهم من غلبة الهوى وانجراف الأهواء حتى يستقيم لهم الرشد ويؤدي بهم إلى أنبل غاية وأكرم قصد.

إلى أن يقول: «والحج إن كان في حقيقته ومظهره أداءً لطاعة فرضها الله على عباده، فهو يعد أكبر مؤتمر ينتظم مئات الألوف من خلال اللقاءات التي يعقدونها ويتبادلون الزيارات فيها، سواء على صعيد عرفات أو في رحبات منى أو تحت ظلال الكعبة، حيث تتلاقى المشاعر لتلتقي بالآراء وتتلاحم العواطف لتنصهر في بوتقة واحدة، فيسعون إلى وحدة الكلمة ليجتمع بها الشمل وتتساوى الأجناس وتذوب الخلافات فترجع أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - صفاً واحداً تواجه به عدو الله وعدوها».

خاتمة :

تبين كافة النصوص والاستشهادات التي سقناها في هذه المقالة ارتباط الأدب السعودي بالحرمين الشريفين ومناسبة الحج ارتباطاً عضوياً بحكم القربى، وتحتاج هذه النصوص وسواها إلى دراسات مستفيضة نقدية وسواها لتبين أهم السمات في هذه الذخيرة الفكرية الكبيرة - وكيفية تميزها عن النتاج الأدبي في دول أخرى سواء ارتبط بالموضوعات نفسها أو سواها. ويبقى الأدب السعودي بعامة بحاجة إلى الكثير من الدراسات الجادة، إذ لم يخدم حقيقة كما خدمت آداب الدول العربية الأخرى.

---

* أستاذ علم اللغة ورئيس وحدة البحوث بكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز

المصادر العامة :

- الموجز في تأريخ الأدب السعودي للأستاذ الدكتور عمر الطيب الساسي.
- الموسوعة الأدبية لعبد السلام طاهر الساسي.
- تأريخ مكة لأحمد السباعي.
- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية للأستاذ الدكتور بكري شيخ أمين.
- أدباء سعوديون للدكتور مصطفى إبراهيم حسين.
- مجلة المنهل (عدة أعداد).
- آثار المدينة المنورة لعبد القدوس الأنصاري.
- تأريخ المدينة المنورة لعبيد مدني.
- ديوان «نفحات من طيبة» لعلي حافظ.
- ديوان ضياء الدين رجب.
- ديوان «القناديل» لأحمد قنديل.
- ديوان «الخضراء» لطاهر زمخشري.
- هديل الحمام في تأريخ البلد الحرام لعاتق البلادي. جـ٢.
- المجموعة الشعرية الكاملة لمحمد حسن فقي.
- ديوان «وحي وقلب وألحان» لعبدالسلام حافظ.
- كتاب: «رجال من مكة» لزهير كتبي.
- مقتطفات مختارة من دواوين عبدالله باشراحيل الشعرية منها: ديوان «النبع الظامي».
- كتاب «حارة الأغوات» للدكتور عاصم حمدان. وكتب أخرى.

فريضة الحج آيات وذكريات



أ.د. محمود محمد عمارة *

تمهيد :

لما أراد عمر رضي الله عنه بناء الكوفة قال لعامله:
تخيّر أرضاً نائية..
وكلف أمهر رام للسهام..
وليقف على ربوة عالية..
ثم يرمي في الجهات الأربع ..
وعند الموقع الذي تسقط السهام فيه.. يبدأ البناء..
على أن يكون ما بين الرامي والسهام.. ميداناً فسيحاً.
ثم يبنى المسجد على الربوة العالية..
على أن تكون نافذته باتساع ستة أذرع.. وعرض كل طريق اثنى عشر ذراعاً.
وهكذا بيوت الله :
مرفوعة مكانة.. بالصلاة والذكر.. ثم هي مرفوعة مكاناً.. كما أشار عمر رضي الله عنه.
والذي كان من تقديره لبيوت الله تعالى أنه لما وجد الناس يتكلمون في المسجد بنى لهم برحة.. ثم قال:
من أراد الصلاة والذكر.. ففي المسجد ومن أراد كلام الدنيا.. فههنا!!

البيت الحرام

وما فعله عمر رضي الله عنه هو تحقيق لما أراده الله تعالى من أن ترفع بيوت الله تعالى..
﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر بها اسمه﴾ (النور-٣٦).
فالمساجد هي القلوب الخافقة بذكر الله.. والتي تحتل مركز الدائرة على الأرض.. وتملأ بؤرة الشعور فلا تغيب..
ثم تبدو مع هذا تحفة معمارية.. في بيئة نقية الهواء.. واسعة الأرجاء.. تتيح للمسلم فرصة العبادة في جو يعين عليها. حتى تحقق الحكمة منها.
فإذا كان البيت.. هو بيت الله الحرام.. فإن موقعه في سرة الأرض يجعله قلبها النابض..
وهذا ما أشار إليه المودودي.. الذي تصور الكعبة ذلك القلب الذي يسحب الدم من كل فج عميق.

ثم يعيد ضخه من جديد!
وهو نفس المعنى الذي استقبله المرحوم الشيخ علي الطنطاوي فصوره بحس الأديب وريشة الفنان فقال:
(ألا ترون العروق الشعرية .. كيف تحمل الدم من أطراف الجسم – ثم تصبه في الأوردة الكبار.. حتى يدور دورته في القلب مجتمعاً.. وفي الرئة منتشراً.. فيصفو بعد العكر وينقى من الوضر.. ويعود في الشرايين دماً أحمراً جديداً.. بعد أن كان في الأوردة دماً أسود أفاسدا؟؟
كذلك الحج:
يأتي المسلمون من آفاق الأرض الأربعة: يأتون أفراداً.. ثم ينتظمون جماعات..
ثم يدورون حول الكعبة: قلب الأرض المسلمة.
ثم ينتشرون في عرفات: رئة الجسم الإسلامي.. فتصفّى نفوسهم من أكدار الشهوات.
وتنقى من أوضار الذنوب ويعودون إلى بلادهم أطهارا قد استبدلوا بتلك النفوس نفوساً جديدة.. كأنها ما عرفت الإثم. ولا قاربت المعاصي)(١).
من آداب الزيارة:
وإذا كان الحنين إلى وطن الجسم.. مايزال يؤرقنا شوقاً إلى العودة إليه..
فكم يكون شوقنا إلى وطن القلوب: الكعبة المشرفة؟!!
إنه.. ليس الحنين فقط.. وإنما هو:
الهُويّ.. الاندفاع إلى حيث الاستمتاع بجنة الحرم..
ولكن... كيف نستأذن في الدخول إلى حمى الملك؟
إن لنا في دنيانا آداباً.. نلتزم بها:
لما أراد مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ الدخول على هارون الرشيد.. قال للفضل بن الربيع: علمني كيف أدخل على أمير المؤمنين.. وكيف أسلم عليه.. وأين أقف من مجلسه؟
وفي الحج
تستأذن في الدخول:
بخلع ملابسك.. لتدخل في أفق الآخرة بهذا الزي الموحد..
وإذا بدت خريطة العالم ملونة.. بأشكال الطيف.. فكانت الحدود الفاصلة.. فإنه.. وفي ساحة الرضوان.. يتراءى اللون الأبيض.. والخيام البيض.. في وحدة جامعة.. وحدة تستدبر الدنيا.. ثم تستقبل الآخرة.
لبيك اللهم لبيك
ثم يهتف الحاج من أعماقه: لبيك اللهم لبيك
إن لنا أهلاً.. ولنا ذرية.. ولنا كذلك.. أوطان وأموال.. نحن مشدودون إليها... بل إنها تعيش فينا..
ولكنك لما دعوتنا يارب للرحلة.. لبَّينا الدعوة طائعين.. مستجيبين لدعوة تحيينا.. بعد أن تبلد الإحساس بمتاع دنيانا.
ولاحظ عمق الضراعة وصدق الخضوع في قول الحجيج:
لبيك اللهم..
لم يقولوا: لبيك يا الله..
لكنهم حذفوا حرف النداء.. ثم جاءوا «بالميم» عوضا عنها..
ولما كانت الميم من الحروف التي تُضم بها الشفاه.. والضم يعني الجمع.. فكأنهم يلبون..



داعين بجميع صفات جماله وكماله سبحانه وتعالى.

طواف القلوب

وتكاد القلوب أن تطير.. لتسبق الأجسام إلى هناك.. إلى الكعبة التي صورها الأدباء فقالوا:

بيت.. عتيق:

«بلا زخارف.. ولا نقوش..

قد بُني بحجارة سوداء.. بسيطة بلا تزويق..

ذلك بأن الفنان المزخرف.. هناك من هو أعظم منه..

أما الفطرة التي شيدت الكعبة فستظل نسيج وحدها في العظمة.. وفي الخلود.. وهناك..

تطوف .. فتضع أقدامك حيث وضع الرسول صلى الله عليه وسلم قدميه.. وهناك أيضاً:

تلثم الحجر.. لتضع فمك حيث وضع الرسول صلى الله عليه وسلم فمه».

الموكب الخالد:

وهذا الشوق العارم .. باق ما بقى الحرم .. ما بقيت الحياة.

ومن ثم .. سيظل موكب الحجاج والعمار باقياً.. زاحفاً صوب البيت.. يطفىء حرقة الأشواق..

لقد أذَّن إبراهيم عليه السلام في الناس بالحج. كما أمره ربه تعالى..

ثم هاهم أولاء يزحفون.. وعلى مدى الزمان كله.. ﴿يأتون من كل فج عميق﴾ (يأتون) بما يش

به الفعل المضارع من تجدد.. يعكس صورة الموكب الماضي إلى بيت الله وإلى يوم الدين.

وقفة عرفات

أذّن إبراهيم عليه السلام بالحج..

فكان – صوته – بإذن الله – مسموعاً.

وكان أمره متبوعاً.

وها هم أولاء ضيوف الرحمن يتجهون إلى عرفات..

يدعون ربهم تضرعاً وخفية..
أرأيت إلى ذلك الشيخ الذي بلغ من الكبر عتيا فضاعف من عبادته.. فلما سئل في ذلك قال: لقد أبصرت الغاية.. ودنوت من الجزاء عند ربي.. فكيف لا أسهر ليلي.. ولا أظمأ نهاري
وأبرح ما يكون الشوق فينا
إذا دنت الديار من الديار!

العيد الاكبر

ونذكر هنا ما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:
أن رجلا من اليهود قال له:
يا أمير المؤمنين: آية في كتابكم تقرأونها.. لو علينا معشر اليهود نزلت.. لأخذنا ذلك اليوم عيدا.
قال: أي آية؟ قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي...﴾ الآية قال عمر رضي الله عنه: قد عرفنا ذلك اليوم.. والمكان الذي أنزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم. وهو قائم بعرفة يوم الجمعة بعد العصر.
أشار رضي الله عنه إلى أن اليوم عيد لنا. وكذلك المكان»(٢).

من دروس عرفات

ذكر القرآن الكريم.. عرفات.. بالتاء المفتوحة إشارة إلى انفتاح الساحة الطهور.. والتي تستقبل كل الناس من قارات الدنيا الخمس.. والذين تجمعهم الوحدة على كلمة سواء..

يضاعف من سرور الحجيج تلك البركات من السماء: مغفرة أغاظ الله بها الشيطان الرجيم والذي ما رئى أحقر ولا أصغر ولا أدحر منه في ذلك اليوم.. لما يراه من غفران الله تعالى ذنوب عباده.
ثم بركات من الأرض متمثلة في هذا الود الجميم الجامع للمسلمين الذين تذوب الفوارق بينهم اليوم.. فإذا هم يعيشون بقلب واحد..
ثم بركات من النفس بهذه السعادة الغامرة: لقد كانوا قبل عرفات يدافعون أوهام الموت قبل أن يصلوا إلى عرفات.. وإذن.. فما أشد خيبة الأمل عندئذ.. أما وقد وصلوا.. والحج عرفة.. فقد تمت نعمة ربك.. وأدوا الفريضة بهذه الوقفة المباركة.

إن مشهد الحجاج.. الذين يلتقون جميعاً في هذا المكان وهذا الزمان.. بعد ما كانوا من قبل جماعات.. من شأنه أن ينشىء في قلب المسلم إحساسا بأنه أكبر من حجمه.. وأنه لا يعيش وحده.. وإنما هو ضمن هذا الحشد الهائل عضو في كيان عظيم.

وإذا كان غيرنا من أهل الأديان يحسدوننا على يوم الجمعة الذي تبدو فيه الجماعة المسلمة في أفضل حالاتها.. فكم تكون نسبة هذا الحسد.. يوم عرفات.. إزاء هذا التجمع الذي لا نظير له.. والذي وحدت فيه العقيدة بين كل هذه الأجناس والألوان؟ والتي تتجه إلى الله تعالى بمثل هذا الدعاء الذي تبدو فيه وحدة الصف ووحدة الهدف.
روى البيهقي عن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أكثر دعاء مَنْ قبلي من الأنبياء ودعائي يوم عرفة أن أقول: لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله

الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم اجعل في بصري نورا وفي سمعي نورا وفي قلبي نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري اللهم أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وشر فتنة القبر وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر.»

محاولة فاشلة لضرب الوحدة

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ (٣)

كانت قريش وحلفاؤها يقفون بالمزدلفة ولا يتجاوزونها إلى عرفات.

ومرّ بهم أبو بكر رضي الله عنه وكان أميراً على الحج.. فتركهم قاصدا عرفات فقالوا له: إلى أين.. وهذا مقام آبائك وأجدادك؟ فلا تذهب..

ولكن الصديق رضي الله عنه مضى.. ولم يلتفت إليهم.

شبهات المترددين

وقد تعللت قريش بما يلي:

١ ـ إن الحرم أشرف من غيره. فالوقوف به أولى.

٢ ـ وكون الموقف عرفات يعني نقصاً في الحرم.. وهو ما لا يوافقون عليه.

والبقاء للأصلح

ولقد باءت محاولاتهم بالفشل.. ونزلت الآية الكريمة تربط على قلوبهم: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾.

ويعني تمام النعمة بإكمال الدين:

أنه لا حاجة بكم أيها المسلمون إلى مداهنة الكفار بعد اليوم.

لانكم صرتم بحيث لا يطمع أعداؤكم في توهين أمركم.. فسيروا على بركة الله.. وهو معكم أينما كنتم.

إبراهيم عليه السلام الأسوة الحسنة

﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه..﴾ (الممتحنة-٤)

تمهيد:

الحياة بلا ذكريات.. صورة مكررة.. مملة لكننا نجددها بذكرى عظمائنا.. الذين نضفي عليهم من خيالنا.. وبدافع من تقديرنا وحبنا.. نبرزهم كما يشاء هوانا.. لا كما هم في الواقع.

ولكن ذكرى الأنبياء شيء مختلف: فنحن الذين نعطر بهم حياتنا.. ونسعد أنفسنا بصحبتهم.. والحديث عنهم.. وفي طليعتهم الخليل إبراهيم عليه السلام والذي نجدد بذكراه شبابنا.

فماذا نحن قائلون اليوم..

وفي موسم الحج.. الذي أذّن فيه الخليل به في الناس.. فكان ما أراده الله تعالى تتنازع الإنسان أهواء شتى:

فبينما صوت الغريزة يصرخ فيه.. ليشبعها.. فإن نداء الواجب يهتف به: أن تجاوزها! وعلى طريق الحياة تسقط جماهير غفيرة صرعى أطماعهم وأهوائهم.. التي تستبد بهم فلايستطيعون ردها..

لكن إبراهيم عليه السلام.. لم يتردد لحظة واحدة وفي أصعب امتحان يتعرض له إنسان ـ لم

يتردد في صد هجمة الغريزة الغلابة:
غريزة الأبوة
وغريزة بقاء النوع..
مستجيبا لأمر الله تعالى بذبح ولده..
وظيفة المسلم
المبادرة إلى الخير
يقول تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ بادروا إلى لصالحات قبل أن تشغلكم الدنيا..
إنه السباق إذن..
السباق إلى المغفرة والجنة.. ولن يصل المتسابقون إلى غايتهم إلا بزاد من القيم.. من الأخلاق..
إن الذكاء وحده لايكفي للوصول إلى المأمول.. وهو في حاجة إلى بنية تحتية تحميه حتى لا يصير غرورا.
إنه في حاجة إلى خلق كريم يعصمه من الزلل.. ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾(٤) فهي القوة المحروسة بالأمانة المانعة من الطغيان.
ثم نقرأ قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾(٥).
فهو عليم بتدبير شئون الأمن الغذائي، لكنه يحمل ضميراً حساساً يحميه من الشطط.
إن العلم وحده.. بلا ضابط من الأخلاق: شيطان مارد.. فارد شراعه لايدع شيئاً أتى عليه إلا جعله كالرميم..
وفي مجال التربية نقول للآباء المتهافتين على كليات القمة (وفي ضوء الذكرى): ليس بالذكاء وحده يحصل التلميذ على الدرجة الأعلى..
فقد يكون هناك مجموعة من الطلاب: درجة ذكائهم.. وتحصيلهم واحدة.. ومع ذلك يتفاوتون في الدرجات.. بل قد يسبقهم متوسطو الذكاء أحياناً.. ويعني ذلك: أن هناك عوامل أخرى للتفوق.. من وراء العوامل العقلية وهي: مستوى الطموح ـ الثقة بالله ـ ثم بالنفس إلى غير ذلك .. مما يشكل البناء النفسي الداخلي.. الذي لا يغني عنه الذكاء بحال..
إننا نقرأ قوله تعالى: ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾(٦).
فالآيات البينات: جمع.. والمقام واحد.. فأين هي بقية الآيات؟
إن وراء هذا المقام كوكبة مباركة من القيم الأخلاقية التي بها تم ذلك العمل العظيم بتوفيق الله تعالى:
إن أثر قدم الخليل عليه السلام دليل قصة كفاح لايخوضها إلا أولو العزم من الرجال فمن ورائهما:
التوكل على الله..
ثم إفراغ كل الجهد.. مع الصبر الجميل. ثم الدعاء بقبول العمل.. بينما الحركة على أوفى معانيها.. أي أن القلب متصل بالله تعالى.. والجوارح تجتهد عاملة في نفس اللحظة.. ثم ينطلق الدعاء من أسرة مسبوكة بالإيمان.. والطاعة:
الوالد:
والولد:
كلاهما يشكل منظومة من الأخلاق يتم بها العمل.. يتحقق الأمل.

العمل الصالح

إن أساس الحضارة إذن هو: العمل..

والعمل بوصف الصلاح المحقق أهدافه على شرط الإسلام..

العمل المنطلق من قاعدة الأخلاق.. مشمولاً برعاية الخلاق:

واقرأ معي قوله تعالى: ﴿أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير﴾ (٧) فالله تعالى يأمر داود عليه السلام: أن يستعد..

واستعداده: أن يصنع دروعاً سابغات وأن يجعل الحلقات متساوية. ضيقة. حتى لا تنفذ منها السهام..

ولكن.. مع الأمر بالاستعداد.. فلا نجاة.. لا نصر إلا بالقيم.. بالعمل الصالح ﴿واعملوا صالحاً﴾.

فإنما الأمم الأخلاق .. ما بقيت هذه الأخلاق.. والتقدم المادي.. والابتكار.. لايغني عن الصلاح الذي يقي الأمة من الضياع.. بل إن الآية الكريمة تحذر من تقدم علمي منفلت من قاعدته الأخلاقية.. وذلك في ختام هذه الآية الكريمة: ﴿إني بما تعملون عليم﴾.

أعلى مستويات البر

وإذاً فأمة الإسلام مأمورة بالعمل الصالح.. على أن يكون هذا العمل شكرا للذي وفق إليه وأعان عليه.. سبحانه وتعالى: ﴿أعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾ (سبأ-١٣)

يقول علماؤنا: والقرآن الكريم يركز على هذا المعنى.. قضاء على وهم أن الكونيات تترتب عليها نتائج بلا تخلف.. مؤكداً أن العمل الصالح – قبل ذلك – تترتب عليه أيضاً نتائجه.. بلا تخلف.. وإن كنا لا نراها.. أو تأخر حدوثها..

ألا أن غبار العمل.. خير من زعفران الكسل..

وأرجح المكاسب: الاتكال على الله تعالى..

ثم السعي في طلب المعالي..

وإلا.. فإذا قصَّر العبد في العمل.. ابتلاه الله تعالى بالهموم..

أو كما قال علماؤنا

صور من التعاون على البر

وقد كان هناك آباء صدق تعاونوا مع أبنائهم على البر والتقوى.. ومنهم ذلك الوالد الذي وصى ولده قائلاً:

يا بني :

إذا كنت بين صلاتين.. فاحفظ قلبك.. لتدخل في الصلاة بوعيك

وإذا كنت بين اثنين.. فاحفظ لسانك.. تظفر بهما جميعا..

وإذا كانت لك نعمة.. فلا تضيعها بالبخل.. وابذلها..

وإذا ابتليت.. فأقبل على مولاك يستجب لك.

يا بني:

إنه من اعتمد على ماله.. قل

ومن اعتمد على عقله.. ضل

ومن اعتمد على الناس.. ذل..

ولكن المتوكل على الله.. ما يذل.. ولا يقل.. ولا يضل..

إنه العزيز.. بلا عشيرة..

والغني .. بلا مال..
والعالم.. بلا شهادة!!
والمهيب .. بلا منصب!
إن الوالد البار بولده هنا.. يوثق صلته بربه سبحانه وتعالى..
ثم بالناس من حوله.. بمعنى: أنه إذا كان يريد لنفسه ذكرا حسنا من بعد موته.. وإذا كان يريد أسرة قوية عصية على الانحراف.. فليحاول أولاً أن ينبي من سيبني هذه الأسرة وهو: الولد.. من أجل ذلك جاءت وصاية محققة هذه الغاية بإذن الله تعالى.

ثقب في البناء الأخلاقي

واليوم.. هناك آباء غافلون.. أو مغفلون: يذبحون أبناءهم.. بلاسكين.. وبلا دماء.. هؤلاء الذين لا يعيشون لهم.. ولا يقفون إلى جانبهم مرشدين موجهين..
فكان عقوق الاباء.. سبباً في عقوق الأبناء..
الأبناء الذين لا يكتفون بعقوق آبائهم وإنما يصبون نقمتهم على المجتمع بالإدمان.. هروباً من واقع أليم.. صنعه آباء سوء.. قتلوا أولادهم بالمخدرات.. ولم يقتلوهم بالسلاح!!

يوم النحر

يقول تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكنه يناله التقوى منكم﴾ (الحج-٣٧).
إذا كانت الصدقة تقع في يد الله سبحانه. قبل أن تقع في يد الفقير.. فإنه فيما يتعلق بالأضحية أو الهدي فإن الذي يتقبله الله تعالى ليس هو اللحم ولا الدم.. وإنما يتقبل الله تقوى القلوب: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ (الحج ـ ٣٢).
إن مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام.. ولما كان الفداء لله.. فإنه الطريق إلى الآخرة ولا يقطع إلا بالقلوب.
ومن أشخص بقلبه إلى الله تعالى.. انفتحت ينابيع الحكمة من قلبه.. ثم جرت على لسانه.

نعمة الله تعالى.. في الأنعام

وقد تكفل الحق تعالى بتفصيل هذه النعم في كثير من الآيات: يقول تعالى: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نُسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ (٨)
﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون. ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾ (٩).
وفي تسميتها «بالأنعام» دلالة على اشتقاقها من «النعمة» والتي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون. أمدكم بأنعام وبنين﴾ (الشعراء-١٣٢-١٣٣).
الآية الكريمة تجعل من دواعي التقوى تذكر نعمة الإمداد بالإنعام.. وبالبنين..
ولاحظ تقديم الأنعام في الذكر على الأولاد.. لأنها مال.. والمال مقدم على الأولاد: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة...﴾ (١٠).

عموم النعمة

والنعمة في الإنعام.. في كل بيت.. يحس بالدفء أو يأكل لحماً.. أو يشرب لبنا.. أو يركب مسافراً..
ومن العجيب أن الأنعام المسخرة.. الذلول.. في يد الغلام الصغير.. يقودها حيث شاء بلا مقاومة.. هي التي سخرها الحق تعالى لأكل التبن.. والحشائش اليابسة.. مما يعافه الإنسان.. وبقية الحيوانات.. بفضل ما اختصها الله تعالى به من «كرش» المحتوى على

كميات هائلة من الكائنات الدقيقة التي تهضم وتحول كل ما في هذا الكيان.. ليصير بإذن الله تعالى طاقة دافعة!!

بل إن ما تتناوله قليل.. ومع ذلك فعطاؤها جزيل.

نعمة الابل

وللإبل موقعها المتميز بين الأنعام فهي أجمع للنعمة. وأظهر للقدرة وأحرز لأسباب المنافع.

قال الماوردي: حلوبة.. ركوبة.. أكولة.. حمولة..

ونقول: رقوءة.. لأن الله يرفأ بها الدماء في الديات.

جاء في المصباح: (لا تسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم) أي حقن الدم.. لأنها تدفع في الديات.

يقول العلماء: (يعرف حليب الناقة: بدسامته وفوائده الصحية العالية حتى أن البدو درجوا على إبعاد ولد الناقة عنها بعد ولادته بأشهر أربعة للافادة من حليبها ذي الطعم المالح. حيث يغني السائر في الصحراء عن الماء.. وعن الغذاء).

ولا يقتصر الدهن على ما يفرزه اللبن.. وإنما هناك في الصوف نوع من الدهن المعروف بأثره في عمل المراهم وأدوات التجميل.. فراراً من آثار الثياب المستوردة وما يترتب عليها من أذى يؤثر في الجلد)(١١).

ويبقى أن يشكر «الفلاح» بالذات نعمة السماد الذي يخصب الأرض.. وبلا ثمن مدفوع!

إلى جانب كون الإبل بفضل الله عز وجل ركوباً ثم تحمل الأثقال عبر المسافات البعيدة إلى الحد الذي سميت به «سفينة الصحراء».

وذلك ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم﴾ (النحل٧)

ومما يؤكد هذا التميز ما تقوله اللغة:

قيل: النعم: الإبل خاصة.

وقيل: تطلق الأنعام على هذه الثلاثة (الإبل والبقر والغنم).

فإذا انفردت الإبل فهي: نعم. وإذا انفردت البقر والغنم لم تسم نَعْماً)(١٢).

الحكمة في خلق الإبل.

ثم إن تكوين الإبل آية من آيات الله تعالى.. أظهر من أياته في السموات.. ولذلك تقدمت الإبل عليها في الذكر.

وذلك قوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت﴾ (الغاشية-١٧-١٨)

ولاحظ من أبعاد الحكمة الإلهية هنا: في حياة الإبل وفي ذبحها: كيف؟

إن الله تعالى قضى أن تنحر..

تنحر.. ولا تذبح:
فلو أنها ذبحت لكان الذبح من أعلى.. وإذن فعنقها الطويل مانع من وصول الدم إلى الفتحة ليخرج منها.. ومن ثم تظل نسبة كبيرة لتكوّن في النهاية سماً في الأوردة!
أما لو نحرت.. فإن النحر من أسفل.. قريباً من القلب الذي يضخ الدم فيخرج كله من قريب.. ليبقى اللحم نقياً من الدم.. صالحاً للآكلين!
وفي النهاية.. تتبلور مقاصد الحج في هدف واحد هو:
وحدة الأمة.. والمتمثلة في مشروع الأضاحي.. والتي تدخر لحومها لتوزع على فقراء العالم كله.. وصار إلى الإنسان ما كان يأكله السبع.. وتتخطفه الطير.. كما لاحظ العلماء إنها الوحدة الجامعة والتي يحس بها الفقير أنه لا يعيش وحده.. وأن له.. حضوراً في قلب أمة لن يدخر وسعا في نصرتها.. وعمق الانتماء إليها.

أما بعد

فقد قالوا: الشعراء أربعة:
فشاعر يجري.. ولا يُجرى معه
وشاعر.. يجول في المعمعة
وشاعر .. تكره أن تسمعه
وشاعر.. لا تستحي أن تصفعه!
ومن هؤلاء الذين يستأهلون احتقارنا ذلك الذي يقول مستهينا بشعائر الله:
ولست بصائم رمضان عمري
ولست بآكل لحم الأضاحي!

أما بعد

فإذا كان الحق تعالى قد تجاوز عن الحاج فعاد كيوم ولدته أمه صحيفة بيضاء مغفوراً له.. فقد وجب على كل مسلم أن ينس ما كان له عند ذلك الحاج من سيئات.. لنبدأ معا صفحة جديدة.. لقد عفا الخالق القادر.. فأولى بالمخلوق الضعيف أن يعفو.. عفواً سوف ترتد إليه آثاره من أخيه حبا وورادا لقد كان حقك عليه مما تاب منه.. فكن عبد الغفور الرحيم.

* استاذ الدعوة بجامعة الأزهر

الهوامش:
(١) من نفحات الحرم: ٥٣.
(٢) حاشية الجمل.
(٣) البقرة – ١٩٩.
(٤) القصص ٢٦.
(٥) يوسف – ٥٥.
(٦) آل عمران – ٩٧.
(٧) سبأ – ١١.
(٨) النحل – ٦٦.
(٩) يس – ٧١ ـ ٧٣.
(١٠) التغابن – ١٥.
(١١) راجع مجلة المنهل ع، مارس ١٩٩٨ من مقال للدكتور حامد الفيشاوي.
(١٢) المصباح المنير.

الرحلة التاريخية في حياة المسلم



بقلم د. مسعد محمد الديب (*)

عندما يهل علينا موسم الحج بشذاه الروحي الفواح يغمرنا إحساس روحي خالد يجعل النفس تحلق في سماء خالقها بسعادة غامرة، وشعور فريد، وتسبقنا الأشواق إلى بطاح مكة المكرمة، وجنبات المدينة المنورة، ورحاب المشاعر المقدسة، ويرقى الشعور والوجدان إلى الملأ الأعلى في سعادة لا توصف، وشوق لا يحد، ويفقد الجسم أحاسيسه المادية، ويعيش الوجدان في هذا العالم الرباني الزاخر بالحب والصفاء.

في هذه البقعة المباركة التي تحتضنها مكة المكرمة يتربع بيت الله الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا، وإليه تهوى أفئدة المسلمين من أرجاء الأرض، فتبذل الغالي والنفيس في سبيل مشاهدته والطواف حوله، والتعلق بأستاره، والتضرع إلى ربه، والبكاء على أرضه ندماً على مافات، وعزماً على إصلاح ما هو آت.

وهناك حيث مثوى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في طيبة الطيبة تشدنا الذكريات إلى هذا المتسع الروحي الخالد، حيث نقضي أوقات مباركة في جوار سيد البشرية جمعاء محمد صلى الله عليه وسلم.

إنه الحنين الذي غرسه المولى تبارك وتعالى في نفوسنا حتى أصبحنا نسترخص كل شيء في سبيل لحظات نقضيها في هذه البقاع التي باركها الله، ونضحي بالمال والأهل والولد والجاه والسلطان من أجل بضعة أيام خالدة في حياتنا نقضيها في ربوع مكة المكرمة البلد الحرام.. فوق جبل النور وغار ثور ومنى وعرفات والبيت الحرام والحجر الأسود والتعلق بأستار الكعبة، والحنين إلى الروضة الشريفة ومنزل الوحي ومسجد قباء ومسجد القبلتين، وقلوبنا عامرة بالإيمان، وألسنتنا تلهج بالدعاء والتذلل والتضرع لخالقنا أن يطهر فلسطين من دنس اليهود كما طهر المدينة من بطشهم وغدرهم، وأن يعيد للمسلمين عزهم ومجدهم ويمكن لهم في الأرض ويبدلهم بعد خوفهم أمنا.

وفي حجة الوداع وقف صلى الله عليه وسلم على عرفة - وكانت في السنة العاشرة من الهجرة الشريفة - ملبياً داعياً مبتهلاً إلى ربه، وكانت يوم جمعة، وخطب في منى خطبته البليغة الجامعة التي ودع فيها أمته - وبين فيها الحلال والحرام، وفصل الحقوق والأحكام، وأكد عدالة الإسلام، وشرح أصوله وقواعده، وعلم الناس مناسك الحج، وأمرهم أن يأخذوها عنه: «خذوا عني مناسككم» وحثهم على الإيمان بالله والثبات عليه، والتمسك بمبادىء الدين، وتحقيق أهدافه العليا، وأمرهم بالدعوة إلى الله ونشر العلم بين الناس: «فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع» وأعلن مبدأ المساواة بين الناس، والمقياس الإلهي في التفاضل بينهم الذي يرفض التفرقة العنصرية في الأنساب والأحساب والأجناس

والألوان والأموال، ويضيق المقام عن ذكر ما ورد في هذه الخطبة من معان سامية، ولكننا نجتزىء منها بعض المعاني الجليلة، وكلها معان جليلة.

بدأ صلى الله عليه وسلم خطبته بإثارة الخواطر وكأنه يودعهم، ولذلك سميت بخطبة الوداع يقول: «أيها الناس، اسمعوا قولي هذا فإنني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف ابداً..»(١)

وهنا كانت حشود الحجيج تستمع إلى هذا القول مطأطئة الرأس، جياشة العاطفة، منصتة في امتثال عجيب، وهي تشعر أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما يخاطب الأجيال القادمة من خلالها، ويزين التاريخ بهذه اللآلىء الغالية من فنون القول وروائع الفصاحة وبلاغة الكلمة.

ثم انتقل عليه الصلاة والسلام إلى تقديم العديد من النصائح التي تسلحهم في مسيرة الإيمان الخالدة من بعده، ويستعينون بها على سلطان الغرائز، وهوى النفس، وسيطرة الأهواء، وتحكم النزعات، فيسوق إليهم بعض الوصايا التي يتحصنون بها في صراعهم مع شهوات النفس، ومطامع الدنيا، حتى يظهروا على عدوهم، وتكون كلمتهم هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

جاءت الوصية الأولى مؤكدة على حرمة الدماء والأموال والأعراض: يقول ـ صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا..».

وهو مبدأ إنساني رفيع استمده ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القرآن الكريم ولم يأت به من تلقاء نفسه:

١ ـ ففي تحريم الدماء جاء قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً أليما..﴾(٢)

كما شرع القصاص في القتل وغيره من ألوان الاعتداء على الغير حتى يقطع على المعتدين طريق البغي إذا علموا أنهم إذا اعتدوا على غيرهم فإنهم يقعون تحت طائلة العقاب، وفي ذلك من الجزاء الرادع ما هو كفيل بكف شرورهم عن المجتمع، فيعم الأمن، وينتشر السلام.

وفي ذلك جاء قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾(٣).

٢ ـ وفي تحريم الأعراض وصيانتها جاء قوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم والآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾(٤).

ذلك لأن الزنا آفة اجتماعية خطيرة تؤدي إلى اختلاط الأنساب، وتحطيم الروابط الاجتماعية، ونشر الفساد في المجتمعات، وتشجيع الانحراف والانحلال بين الشباب.

وهناك حدود أخرى شرعت لصيانة الأعراض كقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وجزاء من يفعل ذلك إقامة حد القذف عليه وعدم قبول شهادته والطرد من رحمة الله، قال تعالى: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾(٥).

﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾(٦).

٣ ـ وفي حرمة الأموال ورد قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾(٧).

والوصية الثانية في حجة الوداع تحريم أمر الجاهلية، وقد بدأ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنفسه في هذا التحريم، لأنه القدوة الحسنة التي يقتدي بها المسلمون، يقول: «ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع، وإن أول ربا ابدأ به ربا عمي العباس بن عبدالمطلب».
فكل أمور الجاهلية المستهجنة موضوعة ومحرمة كالعصبية القبلية والفوارق بين الطبقات، والتفاضل بينهم في العروق والأنساب، والاستبعاد، والظلم، والربا بكل أنواعه.. وغير ذلك من ألوان القهر والاستغلال والوأد، فهو يتنافى مع نور الإسلام وهديه، ومن ذلك قول الله تعالى مخاطباً نساء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾(٨).
وقوله تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما﴾(٩). وقال تعالى في تحريم الربا: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾(١٠)، وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين﴾(١١).
وتأتي الوصية الثالثة مؤكدة على الرفق بالنساء وبيان ما لهن من حقوق وما عليهن من واجبات، ومعاشرتهن بالمعروف، يقول ـ صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمته، إن لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حقوق: لكم عليهن ألاّ يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعظوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف».
وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾(١٢)، وقوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا﴾(١٣).
وبهذه العبارة الموجزة لخص رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة الإسلام إلى المرأة، فقد أنصفها من الظلم الذي كانت تعانيه في المجتمعات الإنسانية قبل الإسلام والتي كانت تحتقر المرأة وتنسب إليها الغواية والفساد وتزعم أنها حليفة الشيطان، وكانت تورث في الجاهلية كما يورث المتاع، وكان إذا ﴿بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾(١٤)، وكانت المجتمعات الإنسانية خارج الجزيرة العربية ـ قبل الإسلام ـ تعامل المرأة أسوأ معاملة وتعتبرها مخلوقاً لا يتمتع بحقوقه الإنسانية، ويخضع خضوعاً تاماً لسيادة الرجل.
ولكن الإسلام كرم المرأة وعاملها معاملة إنسانية أساسها الاحترام والتقدير، ورفعها إلى مكانة متساوية مع مكانة الرجل، فجعلها شريكة له في الميراث بعد أن كانت تورث كالحطام والمتاع، وإنما جعل نصيبها على النصف من الرجل لأنها لا تتحمل شرعاً أعباء الحياة، فالرجل هو الذي يقوم بدور الإنفاق على المرأة ابتداء بصداقها والإنفاق عليها وعلى أولاده منها وانتهاء بتوفير الكسوة والسكن وغيرها من الأعباء المالية، وأعفيت المرأة من الإنفاق تماماً، وقد لخص ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خطبة الوداع قال: «ولهن عليكم

رزقهن وكسوتهن بالمعروف» فإذا ظهرت في أفق الحياة الزوجية أمارات تشير إلى نشوز المرأة وخطئها فأولى الناس بردها إلى الصواب هو زوجها بحيث لا يكون جباراً في تقويمها بل يردها إلى الصواب بالرفق والمعروف، فإن تمادت في نشوزها فيكون التقويم بالهجر في الفراش والضرب غير المبرح، ولاغضاضة في ذلك بمقتضى القوامة في قوله تعالى: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾.
وتأتي الوصية الرابعة متضمنة إعلان مبدأ المساواة، يقول صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى».
وهي تؤكد أساسين ثابتين لا يقبلان التأويل ولا التخريج هما: وحدانية الله تعالى والمساواة بين الخلق، فكلهم من أب واحد وهو آدم عليه السلام الذي خلقه ربه من تراب، فالتراب هو أصل بني آدم، فلماذا الافتخار بالأحساب والأنساب وغير ذلك من مجالات الفخر على الآخرين؟ إن الأفضلية بين البشر مقياسها التقوى، فحيثما وجدت فصاحبها هو الأفضل بصرف النظر عن اللون والجنس والغنى والفقر، وبهذا الأسلوب الحكيم قضى الإسلام على العنصرية والطائفية.
١ ـ وقد حفل القرآن الكريم بكثير من الآيات التي تؤكد وحدانية الله تعالى، كقوله جل شأنه ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾(١٥) وهو ﴿رب الناس ملك الناس إله الناس﴾(١٦)، وهو ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض﴾(١٧)، ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾(١٨).. وآيات التوحيد في القرآن الكريم أكثر من أن تحصى..
٢ ـ كما تحدث التنزيل عن خلق الإنسان وبين مقياس التفاضل بين الناس، ومما ورد في هذا الشأن قوله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾(١٩) وبذلك يكون الإسلام هو الذي أرسى مبادىء حقوق الإنسان منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان، وعلى هديه ووحي منه ارتفعت صيحات المناداة بهذه الحقوق في العصر الحديث.
وجاءت الوصية الخامسة تؤكد على التمسك بالكتاب والسنة، يقول صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي إن اعتصمتم به كتاب الله وسنتي».
ذلك لأن القرآن هو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهديه الحكيم، وقد تضمن تشريعات للدين والدنيامعا، فهو صالح لكل زمان ومكان، لأنه تنزيل من رب العالمين الذي يعلم خافية الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم ما يصلح البشر وما يضرهم، فأرشدهم إلى ما فيه سعادتهم، ونهاهم عما فيه شقاؤهم باسلوب حكيم.
وجاءت سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شارحة له موضحة لأحكامه، فهي المصدر الثاني للتشريع في الإسلام، وبقدر التمسك بالكتاب والسنة يكون التوفيق والنصر والسعادة في الدنيا والآخرة.
١ ـ وفي هداية القرآن وردت آيات كثيرة نذكر منه قوله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هو أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا﴾(٢٠).
٢ ـ ووردت آيات كثيرة في شأن السنة وتوضيحها للقرآن، نذكر منها: قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾(٢١).
قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾(٢٢).

وكما اسمع المولى تبارك وتعالى الناس أذان خليله إبراهيم عليه السلام قبل ذلك عندما أذن فيهم للحج هيأ سبحانه وتعالى القلوب والأسماع لتعي هذه الخطبة العظيمة، فسمعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كل من حضر هذا اليوم العظيم، وبلغ هذه المبادىء السامية لمن جاء من بعده، ولازالت هذه الوصايا تعيش في قلب كل مسلم حتى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أستاذ اللغة العربية ـ مصر ـ

المراجع

(١) وردت خطبة الوداع في صحيح مسلم مع بعض زيادات من ابن اسحاق وطبقات ابن سعد بتخريج مسلم وأبي وابن ماجة.
(٢) النساء: ٩٣
(٣) البقرة : ١٧٩
(٤) النور: ٢
(٥) النور: ٢٣
(٦) النور: ٦
(٧) المائدة: ٣٨
(٨) الأحزاب: ٢٣
(٩) الفتح: ٢٦
(١٠) البقرة: ٢٧٦
(١١) البقرة: ٢٧٨
(١٢) البقرة: ٢٢٨
(١٣) النساء: ٣٤
(١٤) النحل: ٥٨، ٥٩
(١٥) الإخلاص: ١ – ٤
(١٦) الناس: ١ – ٣
(١٧) البقرة: ٢٥٥
(١٨) الأنعام: ٦١
(١٩) الحجرات: ١٣
(٢٠) الإسراء: ٩
(٢١) النساء: ٨٠
(٢٢) النجم: ٣ – ٥

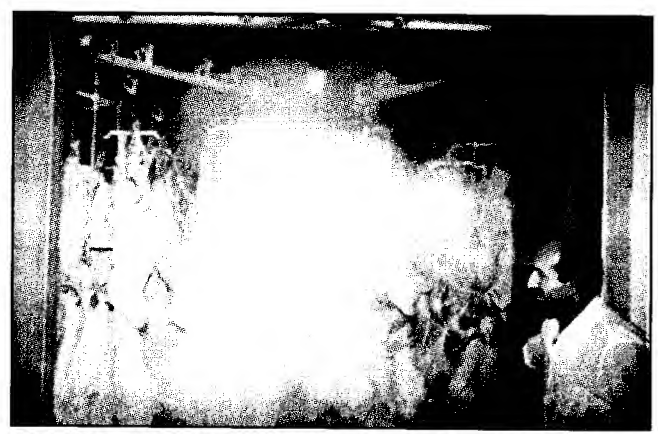
أمانة العاصمة المقدسة في خدمة ضيوف الرحمن

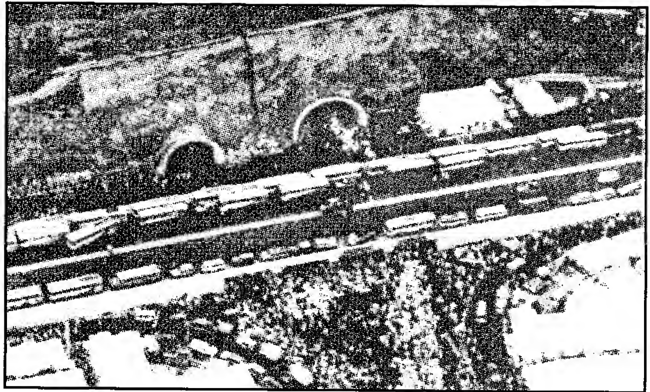


معالي د. م.
فؤاد بن محمد غزالي*

أمانة العاصمة المقدسة هي إحدى الأجهزة الرئيسية الكبيرة ذات الميزانية المستقلة التي تتبع وزارة الشؤون البلدية والقروية وهي الجهة التي تمثل الوزارة في تقديم أداء جميع أنواع الخدمات البلدية والتطويرية والمحافظة على العناصر الحضارية والمظاهر الجمالية في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة وما اتصل بهما من القرى والضواحي، ولضخامة هذه المسؤولية المناطة بعاتق الأمانة وأهميتها فقد حرصت الحكومة الرشيدة بقيادة خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله - على دعم جميع البرامج المعدة لخدمة ضيوف الرحمن بجميع الامكانات البشرية والآلية والكوادر الفنية المؤهلة وتوفير الاعتمادات المالية التي تمكن أمانة العاصمة المقدسة من أداء واجباتها والقيام بمسؤولياتها بأفضل ما يمكن من المرونة والإيجابية تحثها على ذلك التوجيهات السامية الكريمة بتكريس كافة الجهود لإنجاح هذه البرامج وتسخير جميع الإمكانات للعناية بحجاج بيت الله الحرام واتخاذ كل ما من شأنه تسهيل أدائهم مناسك الحج وبأقصى ما ينبغي من اليسر والسهولة والطمأنينة والاهتمام بشؤونهم وما يؤمن راحتهم ورفاهيتهم وتلبية إحتياجاتهم من أنواع الخدمات البلدية التي تشمل خدمات النظافة العامة ومراقبة الأسواق والمواد الغذائية الطازجة والمحفوظة، والتأكد من سلامتها وصلاحيتها للاستهلاك الآدمي، ومتابعة تنفيذ برامج الوقاية الصحية التي تشمل رش المبيدات الحشرية والمطهرات في الأحياء السكنية والشوارع العامة والفرعية، وحول مخيمات الحجاج في المشاعر المقدسة وعند مرامي النفايات ودورات المياه العمومية، والإشراف المباشر على الأنشطة في كافة أسواق الخضار والفواكه ومسالخ المواشي في مكة المكرمة ومشعر منى وكافة

الأنشطة ذات العلاقة بالصحة العامة والتغذيـة، ومتابعة الحالة الصحية للعاملين في هذا المجال وذلك بإجراء الفحوصات الطبية والتحاليل المخبرية للتأكد من سلامتهم وخلوهم من الأمراض السارية والمعدية قبل الترخيص لهم بمزاولة العمل في المهن ذات العلاقة بكافة أنواع الأغذية.





علاوة على ذلك قيام الأمانة بالعديد من المهام التطويرية والتجميليةوخدمات الصيانة والتشغيل التي تشمل صيانة الإنارة الرئيسية لمكة المكرمة والاستراحات القائمة على الطرقات السريعة وخدمات الحدائق العامة وصيانةالمشاريع التجميلية والطرق الدائرية والخدمات الخاصة بصيانة الطرق والأرصفة وكافة المشاريع التي نفذت وجهزت وراحة الحجيج، وغير ذلك من المهام والخدمات البلدية الضرورية التي تسعى أمانة العاصمة المقدسة بكل ما أوتيت من جهد وإمكانات لأدائها بأفضل ما يمكنها قياماً بمسؤولياتها وتنفيذاً لواجباتها وتمشياً مع توجيهات الحكومة الرشيدة بقيادة المليك المفدى خادم الحرمين الشريفين يحفظه الله بتقديم كل ما يمكن لتسهيل أداء حجاج بيت الله الحرام مناسك الحج وتيسير إقامتهم في الربوع الطاهرة.

وكم يسعدني ويشرفني أن أكون على رأس فرق العمل في أمانة العاصمة المقدسة القائمة بهذه الواجبات والذين يحق لي ولكافة منسوبي الأمانة أن نفخر بما نقدمه وما نبذله من جهود في سبيل خدمة ضيوف الرحمن سائلاً الله عز وجل أن يكلل هذه الجهود بالنجاح ويتوجها بالسداد وأن نكون دائماً وأبداً عند حسن ظن القيادة الحكيمة والجمهور الكريم وحجاج بيت الله الحرام. وبالله التوفيق.

---

* أمين العاصمة المقدسة



لجنة الحج المركزية

بقلم سعادة الأستاذ
عبدالله داود الفائز*

الحمد لله الذي جعل البيت مثابة للناس وأمناً والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خير من صلى وصام وحج واعتمر وعلى آله وصحبه المصابيح الغرر وسلم تسليماً كثيرا. وبعد..

فإن الحديث عما تبذله حكومة المملكة العربية السعودية من مجهودات لراحة حجاج بيت الله الحرام وما تقدمه الأجهزة الحكومية من خدمات لهؤلاء الحجاج ليتمكنوا من أداء نسكهم بيسر وسهولة أمر مشاهد ومعلوم لجميع من كتب الله له أداء الفريضة بدءاً من مشاريع التوسعة العملاقة للحرمين الشريفين ومروراً بالنهضة العمرانية في المدينتين المقدستين وأعمال التطوير للمشاعر المقدسة والخدمات الموفرة في جميع المنافذ الجوية والبرية والبحرية وكل طريق يسلكه الحاج وكل موقع يحط رحاله فيه.

ومن الأجهزة التي تقدم خدماتها لحجاج بيت الله الحرام أمارة منطقة مكة المكرمة ممثلة في لجنة الحج المركزية التي تأسست بموجب الأمر السامي الكريم رقم ٧/د ٢٢٠١٥ وتاريخ ٢٢/ ٩/ ١٣٩٨هـ برئاسة صاحب السمو الملكي أمير منطقة مكة المكرمة وعضوية أصحاب المعالي الوزراء وأصحاب السعادة وكلاء الوزارات المعنية ذوي العلاقة بشؤون الحج، وقد انبثق عن لجنة الحج المركزية عدد من اللجان التنفيذية لأعمال الحج وهي اللجنة التنفيذية بمكة المكرمة واللجنة التنفيذية بجدة ولجنة أعمال الحج بالمدينة المنورة واللجنة التنفيذية لأعمال الحج بينبع.

ومن المهام التي تؤديها لجنة الحج المركزية ما يلي:

- دراسة ما يقدم لها من اللجنتين التنفيذيتين في مكة المكرمة وجدة ولجنة أعمال الحج بالمدينة المنورة وينبع واتخاذ القرارات اللازمة وإعداد التوصيات لما يحتاج عرضه على لجنة الحج العليا.
- التنسيق بين الإدارات الحكومية المعنية بشؤون الحج ومناقشة استعداداتها وخططها لموسم الحج.
- متابعة تنفيذ مشروعات وخدمات مرافق الحج.

وتعقد لجنة الحج المركزية اجتماعاتها بصفة دورية، وقد صدر توجيه صاحب السمو الملكي أمير منطقة مكة المكرمة الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز بأن تعقد لجنة الحج اجتماعاً أسبوعياً على مدار العام وتعتبر في حالة انعقاد دائم خلال موسم الحج بجانب ما تؤديه الأمارة من مهام أخرى ومنها تشكيل لجان لمراقبة ومتابعة الخدمات المقدمة للحجاج في الاستقبال والنقل والإسكان والخدمات الصحية والتموينية والبيئية والمشاركة في اللجان التي تؤديها الأمارة إدراكاً منها لواجباتها ومسؤولياتها تجاه حجاج بيت الله الحرام وفق توجيهات مولاي خادم الحرمين الشريفين وسيدي صاحب السمو الملكي وزير الداخلية وسيدي صاحب السمو الملكي نائب وزير الداخلية.

وبمتابعة وتوجيه وإشراف مباشر من سيدي صاحب السمو الملكي أمير منطقة مكة المكرمة ورئيس لجنة الحج المركزية.

وأسأل الله أن يجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكيل امارة منطقة مكة المكرمة
ورئيس اللجنة التنفيذية لأعمال الحج

خطة وزارة الحج لموسم حج عام ١٤٢١هـ أبرز المحاور والملامح



بقلم: أ.
حاتم حسن قاضي (*)

تتميز أعمال إدارة شؤون الحج بالديناميكية والاستمرارية والتكامل والشمول.. فهي أعمال متجددة ومتفاعلة لاتكاد تعرف السكينة أو الهدوء ناهيك عن التوقف أو الراحة، تتواصل على مدار العام بلا انقطاع، فمع نهاية كل موسم حج يشرع العمل استعداداً لموسم حج مقبل، مستهلاً بدراسة وتقييم انجازات ومعدلات الأداء في الموسم المنصرم، لاستخلاص الدروس والمعطيات، والتعرف على مكامن القوة والضعف على السواء.. وشؤون الحج ـ من بعد ـ هي جملة من التنظيمات والأنشطة والبرامج والإجراءات المتكاملة والمترابطة ببعضها في نسق وثيق يشمل سائر آفاق خدمة الحاج وتيسير مسيرة أدائه لنسكه منذ وصوله إلى هذه البلاد المقدسة وحتى مغادرته لها بعد أن منَّ الله تعالى عليه بنعمة أداء الفريضة.

من هنا.. فلابد لأعمال شؤون الحج أن تضبط ايقاعها بما يحقق تناغم وتكامل وشمول الأداء بحيث لا يكون هناك إي اختلاف في الأداء في أي من القطاعات، لأن ذلك يؤثر بالتأكيد على مجمل الأداء من حيث الكفاءة والفعالية.

ومن هنا .. فإن خطط وزارة الحج التشغيلية في كل موسم حج إنما هي امتداد لخطط سابقة لمواسم حج أعوام ماضية، واستثمار لرصيد متراكم من التجارب والخبرات والدروس المستمدة من نتائج الأعمال والانجازات الماضية.

من هذا المنطلق فإن الحديث عن خطة وزارة الحج لموسم حج ١٤٢١هـ تقتضي منا أولاً العودة إلى خطة الوزارة لموسم حج ١٤٢٠هـ والتعرف على أبرز انجازاتها.

خطة موسم ١٤٢٠هـ: النتائج والمؤشرات:

لقد كان موسم حج ١٤٢٠هـ بفضل الله تعالى وتوفيقه من أنجح مواسم الحج من حيث التنظيم ومعدلات السلامة وانسيابية الحركة وفعالية أداء سائر المرافق المعنية بخدمة الحجاج في تنفيذ سياسة الدولة بتوجيهات خادم الحرمين الشريفين ومتابعة ولي عهده الأمين، وسمو النائب الثاني، لتقديم كافة الخدمات اللازمة لضيوف الرحمن، وتسهيل أدائهم لشعائر نسكهم في يسر وأمن واطمئنان.

وبالرغم من الزيادة في أعداد الحجاج القادمين من خارج المملكة والذين وصل عددهم الى

(٥٥٥ر٢٦٧ر١) حاجاً بزيادة قدرها (٢٠٪) تقريباً عن موسم حج ١٤١٩هـ.. وكذلك الزيادة في أعداد الحجاج الذين وقفوا على صعيد عرفات إلى ما يقارب المليون وثمانمائة ألف حاج، بزيادة تتجاوز (٣٠٪) عن موسم حج ١٤١٩هـ إلا أن موسم الحج لعام ١٤٢٠هـ لم يشهد أية حوادث أو مشاكل تعرقل مسيرة الحجاج من حين وصولهم إلى المملكة وحتى مغادرتهم لها.

وهذا النجاح المشهود الذي تحقق لحج عام ١٤٢٠هـ ما هو إلا محصلة وثمرة لتضافر جهود قطاعات الدولة المعنية بخدمة الحجاج وعملها المخلص وتفانيها في أداء أدوارها والقيام بمسؤولياتها على خير وجه..

ولاشك أن لوزارة الحج في هذا الشأن دور متميز بحكم اختصاصها بالإشراف العام على شؤون الحج وخدمة الحجاج وتوفير سائر الخدمات الضرورية من الاستقبال والنقل والإسكان والتغذية وغيرها.

ومن ابرز إنجازات الوزارة في موسم حج ١٤٢٠هـ:

١ ـ نظام الحاسب الآلي للحج : فقد حقق نظام المعلوماتية في وزارة الحج دفعة كبيرة نحو زيادة فعالية النظام ودوره في توفير المعلومات والبيانات عن الحاج، وذلك قبل وصول الحاج للجهات التي تخدمه حتى يتاح لتلك الجهات توفير الاستعدادات اللازمة قبل وصول الحجاج بمدة لا تقل عن (٥) ساعات.. إلى جانب متابعة تنقلات الحجاج وتوفير بيانات دقيقة عن الحجاج للجهات المعنية بخدمتهم.

٢ ـ شبكة الإتصالات اللاسلكية للوزارة: وقد أسهم هذا المشروع الذي اكتمل عام ١٤٢٠هـ في الارتقاء بمستوى أداء أجهزة الوزارة في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة وعلى امتداد الطريق ما بينهما.. وقد اتاح النظام متابعة ومراقبة سير العمليات والتنسيق ما بين القطاعات والوحدات الميدانية.. ويعتبر مشروع شبكة الإتصالات اللاسلكية لوزارة الحج أطول شبكة



إتصالات لاسلكية يتم تنفيذها بالمملكة وتغطي منطقة تمتد إلى ٦٠٠كلم.

٣ ـ الخيام المطورة : شهد موسم حج ١٤٢٠هـ اكتمال المرحلة الثالثة من مشروع الخيام المطورة والمقاومة للحريق، والذي قامت وزارة الأشغال العامة والإسكان بتنفيذه.. وكان العمل في هذا المشروع الذي أمر صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني بتنفيذه ، قد بدأ في عام ١٤١٨هـ ووصلت المساحة المغطاة بالخيام إلى ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ متر مربع من مساحة مشعر منى، وبلغت تكلفته ٢٫٦ مليار ريال.

وقامت الوزارة بالتنسيق مع الجهات الحكومية الأخرى ذات العلاقة بالإشراف على توزيع مساحات هذه الخيام على مؤسسات الطوافة ومؤسسات حجاج الداخل، وفق الضوابط والترتيبات الموضوعة.

وقد أسهمت هذه الخيام بفضل الله تعالى في الارتقاء بوسائل الأمن والسلامة والوقاية من حوادث الحريق كما هيأت للحجاج متطلبات الإقامة المريحة داخل هذه الخيام المزودة بالإنارة والتكييف وسائر المرافق الضرورية.

٤ ـ نقل الحجاج والرحلات الترددية: أشرفت الوزارة من خلال النقابة العامة للسيارات على نقل (٣٫١٤٧٫٩٧٢) حاجاً مكرراً في دورة النقل الكاملة ما بين جدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة بحيث قامت (١٠٫٣٦٩) حافلة تابعة لشركات نقل الحجاج الأهلية بنقلهم بين المدن المذكورة.

وقد تولت الوزارة في موسم حج عام ١٤٢٠هـ لأول مرة مسؤولية الإشراف الكامل على برنامج الرحلات الترددية لنقل الحجاج ما بين المشاعر المقدسة، والذي يقوم على أساس ربط الحاج بوسيلة مواصلات وليس بحافلة بعينها.. وقد تم نقل حوالي ١٤٨٫٠٠٠ حاجاً باستخدام ٢٨٦ حافلة.

٥ ـ برنامج تفويج الحجاج على جسر الجمرات:

قامت الوزارة بالتعاون والتنسيق مع عدد من الجهات الحكومية والمؤسسات الأهلية للطوافة بالتخطيط والإشراف على تنفيذ برنامج تنظيم تدفق الحجاج على جسر الجمرات وتفويجهم لرمي الجمرات في أوقات الذروة يوم ١٢ ذو الحجة ١٤٢٠هـ.

وقد تم ولله الحمد تنظيم تدفق الحجاج إلى منطقة الجمرات والحيلولة دون الازدحام الشديد وتأمين أقصى درجات السلامة للحجاج وعدم تعرض كبار السن والنساء والأطفال والعجزة من الحجاج لأية أخطار من جراء تزاحم الحجاج وتدافعهم في منطقة الجمرات.

وقد تمكن حوالي (٨٠٠٫٠٠٠) حاج من رمي الجمرات وفقاً لبرنامج التفويج يوم ١٢ ذي الحجة ما بين الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً وحتى الساعة الثالثة والنصف عصراً، دون أية مشاكل أو حوادث.

أبرز ملامح الخطة التشغيلية لموسم حج ١٤٢١هـ

تشتمل المحاور الأساسية لخطة الوزارة لهذا الموسم على :ـ

١ ـ التنسيق الخارجي مع بعثات الحج، والتي يصل عددها إلى أكثر من خمسين بعثة من بعثات الحج من الدول الإسلامية، أو الدول التي بها أقليات أو جماعات إسلامية.

٢ ـ تقديم الخدمات المباشرة للحجاج.

٣ ـ تقديم خدمات غير مباشرة للحجاج.

٤ ـ التنسيق الداخلي مع الجهات الحكومية.
٥ ـ الإشراف على متابعة القطاع الأهلي المعني بخدمة الحجاج.
ومن الأهداف الرئيسية لبرنامج عمل الوزارة لموسم حج ١٤٢١هـ :ـ
١ ـ رفع مستوى الأداء الإداري عبر تهيئة بيئية أفضل للعاملين، وتفويض الصلاحيات، وميكنة إجراءات العمل.
٢ ـ تفعيل دور الوزارة في تفويج الحجاج.
٣ ـ تفعيل إجراءات مراقبة مساكن الحجاج من قبل لجان المتابعة والمراقبة.
٤ ـ متابعة المؤسسات في القيام بمهامها في مجال إرشاد التائهين والإبقاء على دور الوزارة الإشرافي.
٥ ـ تفعيل سياسة توزيع الأراضي بالمشاعر المقدسة.
٦ ـ تقييم مواقع مكاتب مجموعات الخدمة الميدانية والعمل على اختيار مواقع أكثر ملائمة.
٧ ـ رفع كفاءة نقل الحجاج، وتفعيل آليات إركاب الحجاج ونقل الأمتعة.
٨ ـ دعم البعد الوقائي من خلال بلورة تدابير الأخطار، وتفعيل دور مركز الطوارىء والعمليات.
٩ ـ تفعيل تنظيمات مراقبة ومتابعة أداء مؤسسات حجاج الداخل وتكامل خدماتها تجاه حجاجها.
١٠ ـ تفعيل الإشراف والمراقبة والمتابعة على خدمات مؤسسات أرباب الطوائف.
١١ ـ تفعيل آلية تلقي الشكاوي والتظلمات من قبل الحجاج، وتقديم العون المباشر للحاج.

وتستهدف خطة الوزارة توافر وفعالية الخدمات المقدمة لضيوف الرحمن منذ وصولهم إلى أي من المنافذ البرية أو البحرية أو الجوية للمملكة وطوال إقامتهم وتنقلاتهم ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة، وحتى مغادرتهم للمملكة بعد انتهاء الموسم بسلامة الله تعالى.. وذلك على النحو التالي:

في المنافذ:

تكامل وفعالية خدمات مكتب الوكلاء الموحد في استقبال الحجاج وتسهيل إجراءاتهم الرسمية، وتحصيل أجور الخدمات وبيع تذاكر النقل، ونقل أمتعة الحجاج وذلك عند وصول الحجاج ولدى مغادرتهم إلى بلدانهم، وترحيلهم إلى المدينة المنورة أو مكة المكرمة.

في مكة المكرمة:

توافر وفعالية خدمات مؤسسات الطوافة الست من حيث الاستقبال، وتقديم وجبة الضيافة في مراكز التوجيه وعند الوصول، والإسكان والنقل والتصعيد إلى المشاعر وأنظمة المعلومات والجوازات.

وكذلك خدمات مكتب الزمازمة من حيث تأمين إيصال ماء زمزم إلى مساكن الحجاج بمعدل لتر واحد لكل حاج يومياً بالإضافة إلى سقيا الحجاج في مراكز التوجيه عند القدوم وفي مراكز التفويج عند الترحيل، وفي عرفات.

في المشاعر المقدسة:

توافر وفعالية خدمات مؤسسات الطوافة وكذلك مؤسسات حجاج الداخل من حيث الخيام وفرشها وتجهيزاتها والتموين وخدمات الإرشاد والسلامة والحراسة، ووجبة يوم عرفة.

في المدينة المنورة:

توافر وفعالية خدمات مؤسسة الأدلاء فيما يتعلق بالاستقبال والإسكان والنقل وأنظمة المعلومات والجوازات والشئون العامة والتوعية، وإرشاد التائهين.

وتشمل أنشطة المراقبة والمتابعة الإشراف على خدمات شركات نقل الحجاج الأهلية (١١ شركة) من خلال النقابة العامة للسيارات، من حيث تأمين العدد اللازم من المقاعدلنقل الحجاج مابين جدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة وتوافر مواصفات الجودة والسلامة والصيانة.

وتحشد الوزارة كافة إمكاناتها التنظيمية والبشرية والفنية لتحقيق أهداف الوزارة في خدمة حجاج بيت الله الحرام في إطار الخطة التشغيلية الشاملة لكافة قطاعات ومرافق الوزارة.

ويقوم على تنفيذ خطة الوزارة حوالي (٥٠٠٠) موظف، يمثلون جملة القوى العاملة من موظفي الوزارة والعاملين الموسميين في كافة القطاعات التي تتولى الوزارة الإشراف على أعمالها.

كما أن القوى البشرية العاملة بالوزارة تستنفر إبان الموسم للعمل على مدار الأربع والعشرين ساعة من خلال (٩٢) موقع عمل في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والمنافذ.

وبعد :

فإن الخطط التشغيلية لوزارة الحج، كما هو الحال في سائر المنظمات تمثل الإطار العام والتفصيلات العملية لرؤى وتطلعات العاملين والخطط لوحدها لا تتضمن أسباب نجاحها.. وإنما يتحقق نجاحها وتؤتي ثمارها بإذن الله تعالى وبتوفيقه وعونه، وما ينعم به على قلوب العاملين من العزيمة والصبر والرشد.. والإخلاص.

نسأله سبحانه وتعالى أن يمدنا جميعاً بعونه وتوفيقه حتى نحقق ما تتطلع إليه قيادتنا الرشيدة من آمال كبار فى خدمة ضيوف الرحمن وأن يأخذ بأيدي الجميع لخدمة ضيوف بيته العتيق وزوار مسجد رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام.

(*) وكيل وزارة الحج

الحاسب الآلي في وزارة الحج



بقلم المهندس / السيد مازن محسن باروم*

إن مشروع نظام المعلومات الآلي للحج يتركز على توفير المعلومة قبل وصول الحاج للجهات التي تخدمه لتتم الاستعدادات اللازمة وتجهيز كافة الوسائل لخدمة ضيوف الرحمن ومتابعة تنقلاتهم وحصر المغادرين من خلال رقم معين ينطبق على جواز سفره وسكنه وعفشه ووسيلة مواصلاته وتذاكر الإركاب وهديه وكل أموره.

وفي إطار تطويري لتحقيق مستويات عالية في الخدمة وراحة للحاج لتخفيف معاناته في المنافذ تم ربط شبكة معلومات وزارة الحج ومركز المعلومات الوطني التابع لوزارة الداخلية وأصبحت بيانات وزارة الحج مستقاة من بيانات وزارة الداخلية لجميع المنافذ الجوية والبحرية والبرية حيث وفر على الحاج الوقوف لتسجيل بياناته عدة مرات في المنافذ.

وقد جندت وزارة الحج طاقاتها البشرية والمادية لدعم وتشغيل مشروع (الحاسب الآلي) والعمل به بحمد الله وتوفيقه لما فيه النفع والخير الذي يعود على ضيوف الرحمن والنهوض بمستوى الخدمات المقدمة إليهم لأداء مناسك حجهم في يسر وسهولة وراحة تامة.

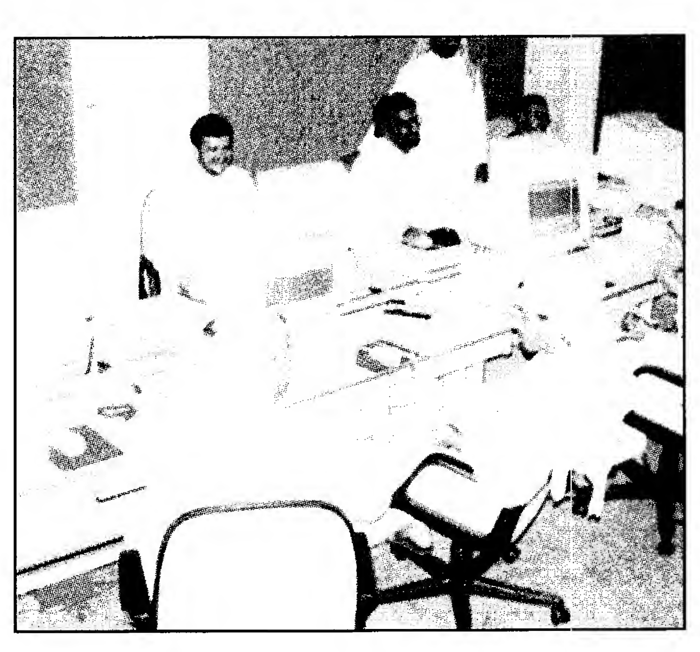
وقد نفذت الوزارة مشروع إدخال (الحاسب الآلي) بهدف تطوير العمل لخدمة حجاج بيت الله الحرام وضمان أمنهم وراحتهم وسلامتهم عن طريق بناء نظام آلي متكامل للمعلومات يشمل عدة قواعد لبيانات الحجاج والخدمات التي تؤدى لهم على نظم آلية لمتابعة حركة الحجيج وتتبع مساراتهم وتنظيم سكنهم وتنقلاتهم مما يؤدي إلى الارتقاء بمستوى الخدمات المقدمة لهم إضافة إلى احتواء هذا النظام على البيانات اللازمة لمساعدة ودعم اتخاذ القرار لمختلف المستويات الإدارية والإدارة العليا بالوزارة والمساعدة في التدخل السريع لمواجهة المواقف والأزمات وعرض البيانات والاحصائيات وعمل

التحليل الاحصائي للنتائج لتقديمها بما ينعكس على تطوير وتحسين الأداء وتقديم أقصى التسهيلات والخدمات لحجاج بيت الله الحرام.

وقد بدء العمل في تشغيل نظام (الحاسب الآلي) على نظام التشغيل المتكامل خلال موسم حج ١٤٢٠هـ ويهدف إلى توحيد مصادر المعلومة للحاج بربط وزارة الحج بوزارة الداخلية حيث يتم خلالها التالي:

- يتم فتح ملف الكتروني لكل حاج وتخزينه بالحاسب الآلي واعطائه رقماً خاصاً لحظة دخوله المملكة العربية السعودية وتسجيله في الحاسب الآلي التابع لإدارة الجوازات كما يتم إلصاق هذا الرقم على جواز الحاج على شكل ملصق بار كود (BAR CODE).

- عند وصول الحاج لأي جهة من الجهات التي تشرف عليها وزارة الحج يتم قراءة رقم الحاج آلياً حيث يتم استرجاع ملف الحاج لإضافة المعلومات المراد تسجيلها في الملف كرقم الحافلة التي سيصعد بها الحاج واتجاه الرحلة، وما تقوم مؤسسات الطوافة بنفس الطريقة بتسجيل مجموعة الخدمة الميدانية التي ستخدم الحاج وعنوان سكنه في كل من مكة المكرمة والأحداث والوقوعات.



- يمكن نظام الحج الآلي المستخدم من طباعة بطاقة التعريف الخاصة بالحاج محدد بها جميع المعلومات المتعلقة بالحاج الشخصية والمتعلقة بسكنه ومؤسسة الطوافة التي تخدمه.

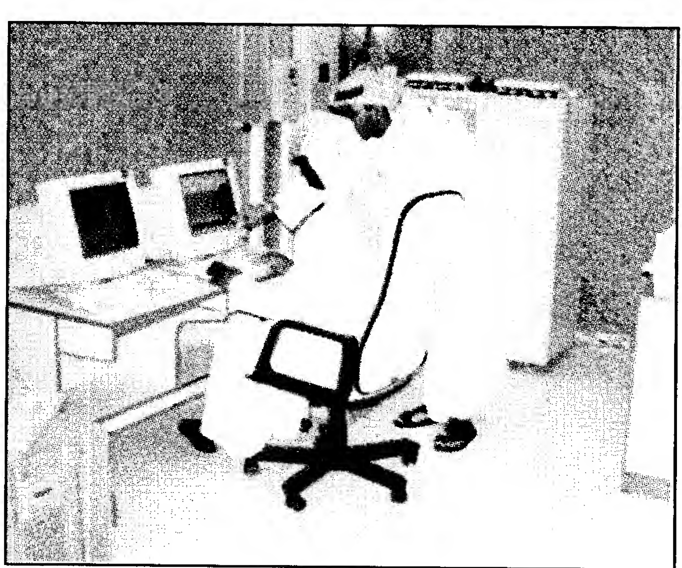
- كما يمكّن النظام المستخدم من طباعة كشوفات الترحيل التي تصاحب الحجاج في الحافلات التي يتنقلون بها بين مدن الحج.

- كما يمكن للمستخدم البحث عن ملف أي حاج بعد إدخال أي جزء من

المعلومات المتوفرة عن الحاج كجزء من اسمه أو رقم جوازه أو تاريخ قدومه أو رقم الرحلة التي قدم عليها وبذلك يمكن إرشاد الحجاج التائهين واسترجاع المعلومات التي قد تتطلبها بعض الجهات عن أي حاج.

- يتم تسجيل الوقائع التي قد تطرأ على الحاج كدخوله للمستشفيات أو وفاة لا قدر الله أو أية مخالفات أمنية أو إيقاف.

- كما يمكّن النظام المسؤولين في الوزارة من الإطلاع على الاحصائيات والوقوف على آخر المستجدات بالنسبة لأعداد وأحوال الحجاج المتواجدين في رحاب هذا البلد المعطاء.



كما تم في عام ١٤٢٠هـ توحيد نظام المعلومات الآلي للحج ليشمل مؤسسة الأدلاء بالمدينة المنورة مثل مؤسسات الطوافة بمكة المكرمة ودمجها في نظام المعلومات الآلي للحج في بيئة واحدة مما يسهل من تسجيل كافة المعلومات مثل السكن والوقوعات.. حيث يتم نقل البيانات وتبادل المعلومات من وزارة الداخلية مع وزارة الحج ومؤسسة الأدلاء بالمدينة المنورة عن طريق خطوط اتصال إضافية تم تأسيسها هذا العام لربط المركز الوطني للمعلومات بالرياض بوزارة الحج بجدة ومكة المكرمة وربط مواقع مؤسسة الأدلاء بمطار الأمير محمد بن عبدالعزيز بالمدينة المنورة ومحطة البر والهجرة الأمر الذي سهل تبادل ونقل البيانات، هذا إضافة إلى ربطه سابقاً لمواقع الوزارة المختلفة في كلاً من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والرياض ومطار الملك عبدالعزيز الدولي ومؤسسات الطوافة بمكة المكرمة بخطوط مستأجرة رقمية سريعة (DNN) -(LEASED-LINE) حيث الغاية من ذلك ضمان إيصال المعلومة للجهة التي تخدم الحاج

قبل وصول الحاج وفي أسرع وقت لإعداد اللازم له وقد جهز مطار الملك عبدالعزيز الدولي بجدة بشبكة حاسب آلي بصرية (FIBER OPTIC) يتم من خلالها إدخال محاضر الوصول ومحاضر الاستضافة والتخيير وتسجيل بيانات الباصات والحجاج الذين على متنها بواسطة الماسحات الآلية المحمولة (TRACKER).

ولضمان عمل النظام دون توقف بإذن الله تعالى تم اتخاذ الإجراءات اللازمة في تصميم شبكة الحاسب الآلي حيث يمكن الوصول من موقع لآخر بأكثر من طريق إضافة إلى وجود أكثر من خادم رئيسي للمعلومات تحتوي جميعها على نفس البيانات وذلك لتفادي أي طارىء لا قدر الله.

وقد جندت الوزارة الكوادر الفنية والإدارية اللازمة لتشغيل هذا النظام حيث يزيد عدد العاملين على التشغيل والصيانة خلال موسم الحج ما يزيد عن (١٠٠٠) موظف موسمي من أساتذة الجامعات والجامعيين المتخصصين في الحاسب الآلي للمساهمة في حل جميع المشاكل التي تواجه المستخدمين للنظام بأسرع ما يمكن واستقبال الاتصالات والاستفسارات من المستخدمين الذين يزيد عددهم في وقت الذروة عن ٣٠٠ مستخدم للنظام.

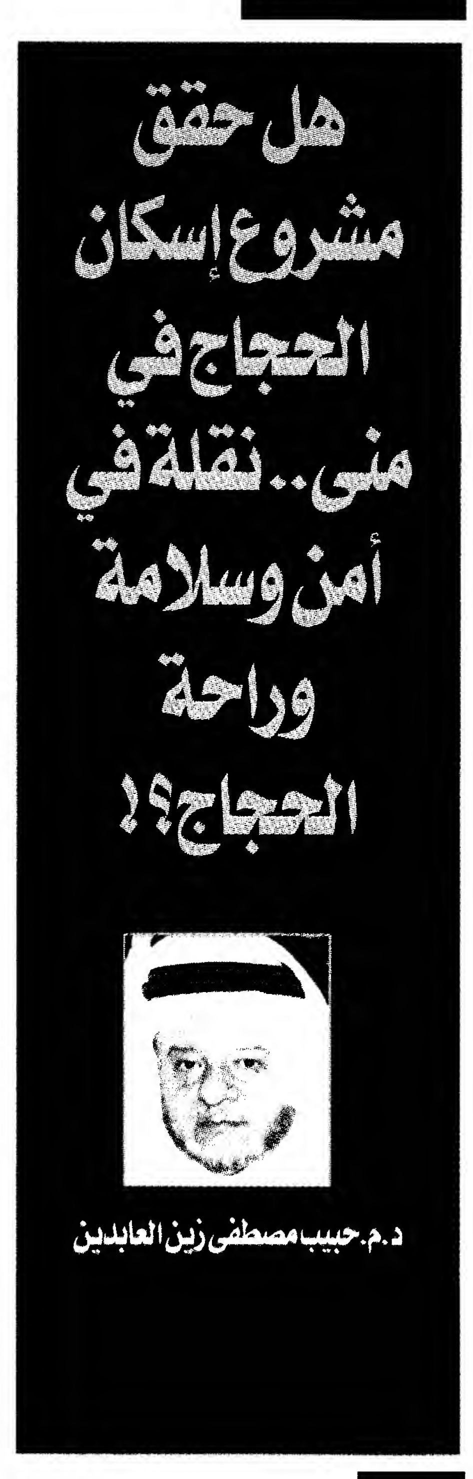
كما تزود الوزارة بعض الجهات الأمنية بطرفيات من نظام المعلومات الآلي للحج يتم من خلالها الاستفادة من المعلومات الموجودة في النظام والتي تساعدهم على أداء أعمالهم في تقديم أفضل الخدمات لحجاج بيت الله الحرام.

وزودت شرطة العاصمة المقدسة أيضاً هذا العام بطرفية من النظام للاستفادة من معلومات نظام المعلومات الآلي للحج.

ويعد مركز الحاسب الآلي بمكة المكرمة النقطة الرئيسية لاستقبال بيانات وزارة الداخلية بصفة دورية دقيقة كل نصف ساعة ومن ثم نقلها للمؤسسات لاستكمال بيانات الحجاج من توزيع لمجموعات خدمة وسكن وأحداث ووقوعات ومن ثم يتم نقل البيانات للمدينة المنورة لاستكمال اللازم وعمل كشوفات الاستقبال والترحيل. وتتم عملية نقل البيانات بصفة دورية ودقيقة روعي فيها تدقيق البيانات قبل نقلها إلى أي مؤسسة والتأكد من سلامتها.

كما تم في عام ١٤٢٠هـ عمل البرامج التطويرية لنظام المعلومات الآلي للحج لتغطية كافة احتياجات مؤسسات الطوافة بمكة المكرمة ومؤسسة الأدلاء بالمدينة المنورة الأمر الذي سهل كثير من الأعمال اليدوية السابقة وأصبحت هذا العام تنجز آلياً إضافة إلى برامج نقل البيانات من المؤسسات إلى مجموعات الخدمة الميدانية والعكس.

المشرف العام على الحاسب الآلي بوزارة الحج



هل حقق مشروع إسكان الحجاج في منى.. نقلة في أمن وسلامة وراحة الحجاج؟!

د.م.حبيب مصطفى زين العابدين

ملخص

كانت الخيام هي وسيلة السكن في منى منذ عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويدور منذ عدة سنوات نقاش حول سكن الحجاج في الخيام القطنية التقليدية بمنى مدى ملائمته لهذا العصر وبدائل تطويره وخاصة في ظل ازدياد أعداد الحجاج ومحدودية الطاقة الاستيعابية لمشعر منى.. وقلة احتياطات الأمن والسلامة، وكثرة المخاطر ومن أهمها الحرائق التي تكررت في الأعوام الماضية بالاضافة إلى المخاطر التي يتوقع حدوثها - لا سمح الله - مع اقتراب دخول موسم الحج في أشهر الشتاء واحتمال حلول مواسم الامطار والعواصف خلال أيام الحج.. وقد أدى اختلاف وجهات النظر حول تطوير هذا السكن وما قد يستلزمه من إعادة وتخطيط لكامل مشعر منى وربما المشاعر الأخرى بما في ذلك الخدمات والطرق وقطع الأراضي .. إلخ إلى تأخر الوصول إلى حل مناسب وسريع واقتصادي، إلا أن كثرة الحرائق واتساعها والخسائر الكبيرة التي صاحبتها فرضت أهمية اتخاذ قرار سريع بشأن إنشاء إسكان للحجاج يتوفر فيه على الأقل الحدود الدنيا للسلامة والراحة والأمن.

وقد طورت وزارة الأشغال العامة والاسكان بالاشتراك مع الجهات المعنية إسكانا للحجاج في مشعر منى يستفيد من التخطيط والخدمات والأوضاع القائمة ويحقق السلامة والأمن المطلوبين للحجاج في مثل هذه التجمعات الفريدة من نوعها في العالم ويرفع مستوى الراحة لهم في مخيمات حديثة شملت الخدمات المختلفة في شكل جميل حافظ على روح الحج ومنظره التقليدي.

يعرض المؤلف في هذه الورقة موجزاً لما تم انجازه ـ بتوفيق من الله ـ من مشروع إسكان الحجاج بمنى والمشاريع المساندة له، مبيناً النقلة التي حدثت في نوعية سكن الحجاج بمنى خلال الحقبة الأخيرة من الزمن، مع عرض المقارنة بين الخيام التقليدية والحديثة، وتقويم استعمال الخيام في المرحلة الأولى، والثانية من الحجاج والمطوفين والجهات الحكومية والراحة والسلامة والأمن التي توفرت فيه.

١ ـ مقدمة:

تعتبر منى من أكثر مناطق التجمعات السكانية كثافة في العالم ويعود ذلك إلى محدودية المساحة المتاحة للسكن.. وللأعداد الكبيرة من الحجاج الذين يتوجب عليهم السكن بها خلال فترة الحج ومع أن الفترة الزمنية للسكن في منى لا تتجاوز بضعة أيام من كل عام إلا أن هذا لا يعني إغفال عناصر الأمن والسلامة والراحة للحجاج فيها.

من هنا كان تصدي حكومة المملكة العربية السعودية لهذه المشكلة من أكبر التحديات التي كانت وما زالت تواجهها بعزم مستعينة بأحدث ما وصلت إليه التقنيات العالمية في هذا المجال مع مراعاة ما توجبه أحكام الشريعة الإسلامية والمحافظة على الطابع الروحي للحج الذي يعتبر بحق ظاهرة فريدة من نوعها في العالم بأسره.

وتعتبر الحرائق التي تحدث في منى من أبرز المخاطر التي تهدد سلامة الحجاج بالإضافة إلى ما تحدثه من ذعر وتشريد وإرباك في حركتهم وعرقلة لأدائهم مناسك الحج(١).

ويمكن تلخيص العوامل التي تحد من أخطار الحرائق كالتالي:

١ ـ تقليل الأسباب التي تؤدي لإشعال الحرائق بالتحكم باستعمال المواد المشتعلة في الطبخ.

ـ خفض إمكانية انتشار الحرائق باستعمال مواد غير قابلة للاشتعال في المخيمات.

٣ ـ توفير كافة الوسائل الضرورية واللازمة لمحاصرة الحرائق فور حدوثها والقضاء عليها.

ولتحقيق ذلك فقد صدرت تعليمات مشددة بمنع استعمال اسطوانات الغاز بالطرق العشوائية التي كانت تتم مع ترك المجال لإجراء الدراسات اللازمة ووضع الضوابط لاستعمال الغاز أو غيره بالمطابخ، كما صدر الأمر السامي الكريم في شهر صفر من عام ١٤١٨هـ بتكليف صاحب السمو الملكي وزير الأشغال العامة والإسكان بمهمة التوصل إلى إيجاد السبل لاستيعاب أعداد الحجاج بمشعر منى في خيام تكون مقاومة للحريق ولا ينتج عن اشتعالها غازات سامة.

ويوجز هذا البحث الدراسات التي قامت بها وزارة الأشغال العامة والإسكان والحلول التي توصلت إليها وما تم تنفيذه لحج عام ١٤١٨هـ مع تقييم هذه التجربة وملاحظات وانطباعات مختلف الجهات عليها والمرحلة الثانية من المشروع وما تم فيها من تعديلات.

٢ ـ تطور الخيام في الحج عبر التاريخ:

جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ بيته الحرام بمكة المكرمة مثابة للناس وأمناً وقد أمر الله عز وجل خليله إبراهيم عليه السلام أن يرفع قواعد هذا البيت ويؤذن في الناس بالحج ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام..﴾ سورة الحج (الآية٢٧و٢٨) فإن أيام منى تعد أطول أوقات الحج زمناً وهي تشمل يوم النحر وثلاثة أيام بعده فهي تحتاج إلى أماكن

للإقامة فيها بشكل مريح وآمن عن عرفات ومزدلفة التي تكون فيها الإقامة لساعات محدودة فقط ولذلك جاء توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين في جعل الأسبقية في الرقامة بمنى لمن يرد إليها أولاً وذلك في الحديث الشريف الذي روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقالت: «قلت يارسول الله ألا نبني لك بمنى بيتاً أو بناء يظللك من الشمس، فقال: لا، إنما هو مناخ لمن سبق له»(٢) وفضلاً عن ذلك قد ورد في كتاب الأزرقي(٣): «حدثنا أبوالوليد قال: حدثني جدي قال: حدثني سفيان عن إسماعيل بن أمية أن عائشة أم المؤمنين استأذنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بناء كنيف بمنى فلم يأذن لها»، ويروى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نزل بمنى حيث مسجد الخيف اليوم فيما يقال، وأنزل المهاجرين عن يمينه والأنصار عن يساره، والناس حولهم من بعدهم(٤).

وقد ترتب على توجيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالنهي عن إقامة بيوت أو أبنية في منى أن أصبحت الخيام ولا تزال من أنسب وسائل الإقامة فيها في الحج لتعدد مزاياها حيث تتسم بشكلها البسيط فضلاً عن سهولة وسرعة نقلها وتركيبها.

أما بالنسبة لبداية إقامة الخيام في منى فقد ورد أن «أول من ضرب قباب الآدم بمنى ريطة بنت كعب بن سعد بن تميم ذكره الزبير بن بكار(٥)، وفيما يخص الخيمة التي ضربت للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة، فقد ورد في حديث جابر بن عبدالله الطويل في حجة النبي صلى الله عليه وسلم «.. فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج وركب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلاً فيها حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة»(٦).

واستمرت الخيام مستخدمة لإقامة الحجاج في المشاعر المقدسة في القرن الأول الهجري (٧م) وما تلاه حيث ورد ذكر خيام كانت مقامة في عرفات أيام الحجاج(٧)، وسجل لنا ابن جبير في رحلته(٨) في سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م الخيام التي استخدمها الحجاج في إقامتهم في عرفات حيث ذكر: «إن المجتمع من الناس في هذا العام عدداً لم يجتمع قط مثله، وكذلك وصل الأمير العراقي (أمير الحج العراقي)، وكانت محلة هذا الأمير جميلة المنظر يحدق به سرادق كالسور من كتان وفي داخله القباب المضروبة وهي كلها سواد في بياض».

وذكر ابن رشيد(٩) أنه بعد أن رمى هو ومن معه جمرة العقبة في حج عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م قاموا بضرب خيمتهم وذبح نسكهم وهي خيام ذات ألوان متعددة.

واستمرت المصادر التاريخية في تسجيل الخيام التي كان الحجاج يستخدمونها في المشاعر المقدسة سواء بالنص أو بالرسم حيث ورد رسمان لوادي منى في مخطوطتين ترجعان إلى القرن العاشر الهجري (١٦م) حيث تظهر الخيام مصطفة على جانبي وادي منى الشمالي والجنوبي الشكل رقم (١) و(٢) وفضلا عن ذلك فقد نشر المستشرق ك سنوك هور خرونية منظراً عاما لوادي منى في حج عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م تظهر فيه الخيام التقليدية مقامة بغير انتظام بجوار مسجد الخيف في الجانب الجنوبي من الوادي(١٠).

وقد توالى ذكر الخيام المستخدمة في الحج في القرن الرابع عشر الهجري (٢٠م) حيث ورد

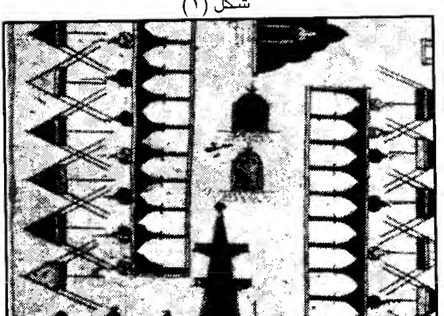
في رحلة عبدالعزيز دولتشين (١٣١٦ - ١٣١٧هـ/ ١٨٩٨-١٨٨٩م) «أن الحجاج كانوا يقيمون في منى كما في عرفات في الخيام ناصبين معظمها في الطرف الشرقي من منى في الأماكن المتسعة من الشوارع والبعض ينصب خيامه في أحواش خاصة محاطة بسور عال ومرفقة بأبواب سميكة، وهي عدة ملك المطوفين»(١١).

ووصفت خيام منى في حج جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م بأنها كانت تنصب في وادي منى دون أي ترتيب فلا مسافات تترك بين الخيام وكانت خيام الشرطة الحجازية تقع على الجانب الأيمن من الوادي بجوار مسجد الخيف مع خيام المسئولين، أما خيام أهل نجد فكانت مقامة في الجزء الأخير من الوادي متاخمة للجبال(١٢).

واستمرت الخيام مستخدمة لإيواء الحجاج بوادي منى في العهد السعودي، غير أن التزايد المتنامي في أعدادهم أوجب القيام بتطوير الخيام التقليدية بما يتناسب وأعداد الحجاج المتزايدة من جهة ولتأمين إقامتهم وتوفير المناخ الصحي لهم من جهة أخرى.

شكل (١)

الشكل رقم (١) رسم للخيام بوادي منى ومسجد الخيف في مخطوط «دليل مكة والمدينة» يرجع للقرن العاشر الهجري



شكل (٢)

الشكل رقم (٢) رسم للخيام بوادي منى في مخطوط «قصيدة على مذاهب الحج» يرجع للقرن العاشر الهجري

٣ ـ الدراسات السابقة المتعلقة بإسكان الحجاج بمنى

طرحت مسابقة معمارية عالمية بين الشركات المتخصصة في التخطيط والعمارة عام ١٩٧٥م عن طريق مكتب تخطيط المدن بالمنطقة الغربية في سبيل الحصول على أعلى الخبرات(١٣)، ومختلف الآراء حول إسكان الحجاج لأفضل الحلول التخطيطية والمعمارية لتوفير السكن اللازم لهذه الأعداد المتزايدة من الحجاج مع دراسة الخدمات والمرافق العامة ووسائل المواصلات اللازمة، وفيما يلي استعراض لهذه المقترحات والمشروعات.

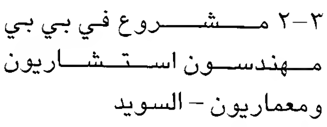
٣-١ مشروع رولف جوتبرور - ألمانيا

تعتبر المساحة المنبسطة بمنى غير كافية لإيواء جميع الحجاج في المخيمات التقليدية التي اقترح المشروع إبقائها مع تنظيمها، فقد اقترح الاستشاري استغلال سفوح الجبال باستخدام

مخيمات مكونة من هياكل حديدية تشد عليها أقمشة الخيام وتفك بعد الحج وذلك للمحافظة على شكل الجبال المحيطة، كما اقترح الإبقاء على المباني الحالية بمنى وإنشاء فنادق درجة أولى.

كما اقترح الاستشاري ثلاثة طرق فسيحة للمشاة مظللة بواسطة أقمشة مشدودة على هيكل من المواسر الحديدية، وتزود هذه الطرق بالخدمات، أما طرق السيارات فاقترح لها مساراً بين طرق المشاة تخرج منها طرق فرعية تنتهي بدورانات، كما اقترح طرقا أخرى تتسلق سفوح الجبال لإقامة الخيام، أيضاً فصل بين طرق المشاه والسيارات، وخصص مواقف للسيارات خارج منى وربطها بداخل منى بواسطة سيارات الأتوبيس الشكل رقم(٣).

ومنه يظهر أن هذا المشروع كبير ومتسع ويحتاج إلى ميزانيات كبيرة وقبل ذلك إلى فتوى شرعية أضف إلى ذلك أن فك الخيام في كل موسم وإعادة تركيبها يكلف مبالغ باهظة إضافة إلى إمكانية نقلها مع الزمن، ولم يعالج قضية الحرائق التي لم تكن مثارة آنذاك.



٣-٢ مشروع في بي بي مهندسون استشاريون ومعماريون - السويد



الشكل رقم (٣) يبين مشروع رولف جوتبرور المقترح

اقترح الاستشاري الاحتفاظ بالخيام في الوادي على شكل مخيمات مربعة (٧٥×٧٥م) تستوعب كل منها (١٢٠٠) حاج وبناء قرية منى بصورة مكثفة على شكل عمارات بارتفاع (٤-٦ أدوار) أما على سفوح الجبال المحيطة بالوادي فيتم بناء عمارات مرتفعة تصل إلى ٢٨ دوراً تعلوها طرقات للسيارات على ثلاث مناسيب، وبذلك يمكن إيواء حوالي مليوني حاج.

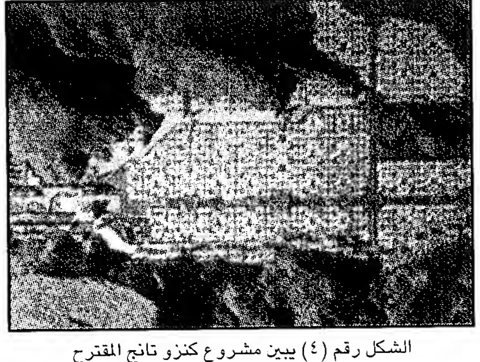
وتميز المشروع المقترح بوفرة الخدمات، حيث اقترح خدمات لكل (١٠٠-٥٠٠) حاج تحتوي على مرافق صحية ومحطات إسعاف أولية ومحلات تجارية لكل (٥٠٠٠) حاج ومراكز إدارية وتجارية لكل (١٠٠٫٠٠٠) حاج ومباني حكومية ومستشفى لجميع الحجاج، وبذلك يكون نصيب كل حاج (٥٠٠م٢) خدمات مما أدى إلى الحاجة إلى مباني ضخمة.

إضافة إلى ما ذكر في الاقتراح السابق فإن إنشاء العمائر وعدم استغلالها خلال العام بكامله قد لا يكون مجدياً إضافة إلى ذلك صعوبة مراقبتها من الناحية الأمنية وقد تكون أماكن مخلة بالأخلاق.

٣-٣ مشروع كنزو تانج - اليابان

يقترح المعماري تانج أن يسكن الحجاج الذين لايجدون مكاناً في الوادي عند أسفل الجبال في

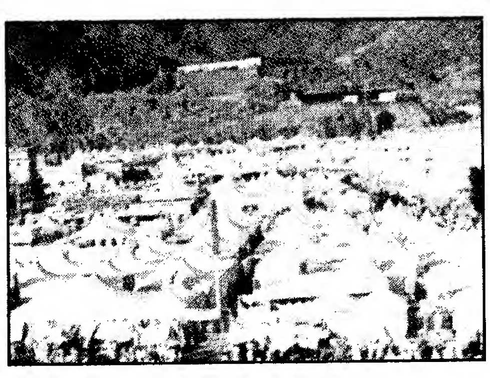
مبان مدرجة من الخرسانة، يمكن أن تتسع (٣٠٠ر٠٠٠) حاج، وتتكون من خمسة أدوار تعلو دورين يستعملان كمواقف للسيارات وقت الحج وتخزين المعدات في الأوقات الأخرى، أما الوادي فيخصص للخيام التقليدية والتي قترح استبدالها بأخرى حديثة وبذلك يمكن إيواء (١ر٥) مليون حاج بها. أيضاً اقترح إنشاء مركز للحج في مدخل الجمرات يحتوي على صالات عرض تكون بمثابة مركز سياحي يستخدم طوال العام الشكل رقم (٤)و تنطبق على هذا المشروع الملاحظات التي ذكرت على الاقتراحين السابقين.


الشكل رقم (٤) يبين مشروع كنزو تانج المقترح

٣-٤ مشروع فراي أوتو - ألمانيا

يتميز المشروع بطريقة معالجة حركة الانتقال، وتأكيد طريق المشاة بين عرفات ومكة المكرمة مع وجود اتصال بطريق السيارات، وفي منى يتقابل طريق المشاة مع طريق السيارات على منسوبين يرفع طريق المشاة على جسور والمساحة التي تحتها لطرق السيارات والخيام وزودت طرق المشاة بالخدمات كأماكن استراحة وأسواق ودورات مياه وإسعافات أولية.

ويقترح أتو إزالة كل المباني غير الضرورية في الوادي ونقل بعضها إلى سفوح الجبال، حيث تزيد بذلك مساحة الوادي من (٢٢٠) إلى (٢٩٠) هكتار تخصص جميعها للخيام التقليدية مع تحسينها، كما يتم بناء مدرجات من (٥) أدوار من الخرسانة المسلحة على سفوح الجبال في الشمال الغربي من منى وبهذا تميز المشروع ببساطة المنشآت مع استبعاد المباني الضخمة والتأكيد على النواحي الصحية.



هذه المشروعات جميعها لا تنظر إلى قضية المشاعر بكاملها وأن زيادة الطاقة الاستيعابية في منى يستلزم كفاءة المناطق الأخرى في المشاعر مثل الحرم الشريف بمكة المكرمة والطواف والسعي والمدينة المنورة.. إلخ لمجاراة الطاقة الاستيعابية الكبيرة في مشعر منى.

٣-٥ مشروع روبرت ماثيو - أمريكا

أمام ازدياد أعداد الحجاج، وضيق المكان بمنى، اقترح الاستشاري إيواء بعض الحجاج في منطقة العزيزية (١٥٪) وفي منطقة العدل (١٠٪) غرب منى. الشكل رقم (٥).

ولخدمة هذا العدد الكبير من الحجاج فقد اقترح طريقة نقل سريعة وإنشاء طرق كباري جديدة ومباني ضخمة ومواقف سيارات عديدة، كما اقترح فصل المشاة عن السيارات ولكنه لم يضع قيوداً مشدداً على السيارات، كما اقترح إيواء الحجاج في خيام (٢٥٠٫٠٠٠) حاج ومباني في الوادي لإيواء (١٫٧٠٠٫٠٠٠) حاج، ومباني في منى تستعمل أثناء فترة الحج وبعدها، أما باقي الحجاج فيقترح الاستشاري إيواءهم في العزيزية وفي منطقة العدل التي لابد من مدها بطرق وكباري وأنفاق.

من الواضح أن معظم الدراسات أغفلت الناحية الشرعية وروح الحج ومعناه وكأننا نريد أن ننشىء في منى ناطحات سحاب وما يشبه المدن الكبيرة وعمرانها في البلاد الغربية.

٤ ـ بدائل الخيام غير القابلة للاشتعال:

لأجل إيجاد البديل الأمثل للخيام غير القابلة للاشتعال فقد تم استعراض كافة الحلول الممكنة والتي يمكن تقسيمها إلى مجموعتين رئيسيتين: الأبنية متعددة الأدوار، والمنشآت الخفيفة بمستوى واحد.

٤ ـ ١ الأبنية متعددة الأدوار:

يوجد العديد من الاقتراحات التي تعتمد على إنشاء أبنية متعددة الأدوار في منى وهي تختلف فقط في الأدوار أو تفاصيلها الداخلية أو مواقعها وقد تم الإطلاع على عدد من التصاميم والاقتراحات التي أعدتها كل من مجموعة بن لادن ومجموعة دلة البركة وعدد من المؤسسات الأخرى، إلا أن كافة هذه الحلول تستوجب ما يلي:

ـ إصدار فتوى شرعية تسمح بإنشاء مبان متعددة الأدوار في منى.

ـ إعادة تخطيط منطقة منى وبالتالي بقية مناطق المشاعر بما في ذلك منطقة الجمرات والطواف والسعي وذلك في وحدة متكاملة تؤثر وتتأثر ببعضها البعض، ويتناول إعادة التخطيط بشكل رئيسي وسائل النقل والطرق والأماكن المختلفة لضمان استيعابها وقدرة تخديمها للأبنية المتعددة الأدوار والأعداد الكبيرة التي ستسكن بها.

ـ إعادة تخطيط الخدمات والبنية التحتية بكافة منى لكي تتلائم مع المباني الجديدة المقترحة.

ـ دراسة طرق السلامة والأمن في هذه المباني أثناء الحج وطوال أيام العام.

ـ دراسة الجدوى الاقتصادية لتلك الأبنية نظراً لما هو متوقع من ارتفاع لكلفة تنفيذها والوقت اللازم لتنفيذها.

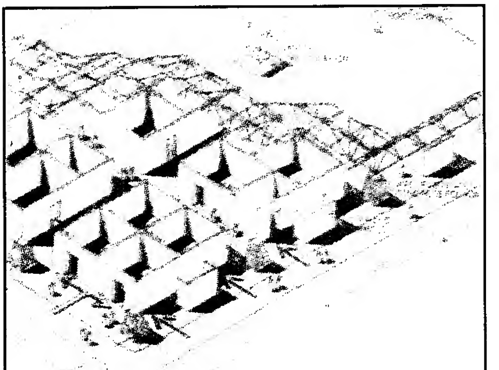
الشكل رقم (٥) يبين مشروع روبرت ماثيو المقترح

بناء على ذلك فقد استبعدت هذه الفكرة كحل فوري وعاجل لإيجاد مأوى آمن من أخطار

الحريق للحجاج في منى مع ترك المجال مستقبلاً لإمكانية تنفيذ ذلك في مناطق محددة تتلافى السلبيات المشار إليها أعلاه كأن تقام على سفوح الجبال المتاخمة لمنى، وتركت الإمكانية مفتوحة لدراسات مستقبلية كما جاء في الأمر السامي الكريم رقم ٣٨٣ وتاريخ ٧/١/١٤١٨هـ.

٤-٢ المنشآت الخفيفة بمستوى واحد:

تمت دراسة ثلاث بدائل مختلفة تعتمد كلها على تنفيذ منشآت خفيفة وثابتة بمستوى واحد، بحيث تكون ثابتة وباقية طوال العام على نظامها وشكلها ولا تحتاج إلى فكها وإعادة تركيبها وهي على النحو التالي:



الشكل رقم (٦) البديل الأول هيكل فراغي لسقف الوحدات

٤-٢-١ هيكل فراغي لسقف الوحدات:

يكون السقف مكوناً من ألواح معدنية منبسطة على هيكل فراغي على شكل جمالونات مثبتة على قواعد متباعدة بمسافة ١٥م ويزود السقف فتحات للتهوية ويتم تقسيم المساحة المسقوفة بواسطة ألواح خرسانية أو مصنعة من مواد غير قابلة للاشتعال تشكل غرف أو وحدات لسكن الحجاج بداخلها ويفصل بينها ممرات لتنقل الحجاج والوصول إلى عمق المسافة المغطاة. الشكل رقم(٦).

٤-٢-٢ ألواح معدنية مضلعة لسقف الوحدات:

يكون السقف مكوناً من ألواح معدنية مضلعة وبشكل أقواس تثبت على أعمدة ويتم استعمال جدران خارجية لتحديد الوحدات السكنية وتكون هذه الجدران من مواد غير قابلة للاشتعال وتشبه هذه الوحدات إلى حد كبير المستودعات والمظلات. الشكل رقم (٧).

الشكل رقم (٧) ألواح معدنية مضلعة البديل الثاني لسقف الوحدات

٤-٢-٣ مواد نسيجية غير قابلة للاشتعال:

يتم تغطية وحدات سكن الحجاج باستعمال أنواع من النسيج المقاوم للحريق ويسمح هذا النسيج بإعطاء الوحدة السكنية شكل الخيمة المرتفعة من وسطها ويمكن استعمال الأنسجة الزجاجية المغطاة بالتفلون PTFE أو الأنسجة الزجاجية المغطاة بالسليكون أو الأنسجة القطنية المقاومة للحريق.

ونظراً لكون الهيكل الفراغي والألواح المعدنية المضلعة لا يتناسب مع روح الحج وهي أقرب إلى المنشآت الصناعية أو الزراعية بالإضافة إلى صعوبة التحكم في أمنها خلال العام، فقد

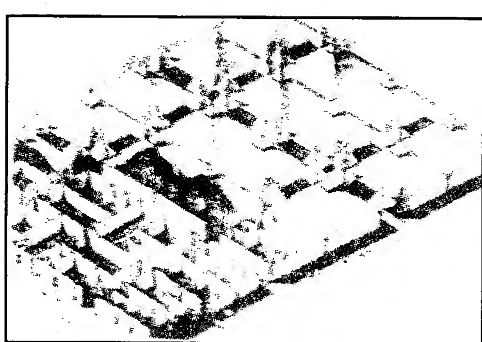
استبعدت وتم التركيز على الخيار الثالث القاضي باستعمال أنسجة غير قابلة للاشتعال يمكن أن يتم تشكيلها بنفس شكل الخيمة التقليدية، الشكل رقم (٨).

وقد شكلت لجنة من إحدى عشر جهة حكومية لمشاهدة التجارب التي أجريت في المختبر المركزي بوزارة الأشغال العامة والإسكان بالرياض لمقارنة استخدامات المواد الثلاثة المشار إليها أعلاه وبدا واضحاً من نتائج التجارب أن الأنسجة الزجاجية المغطاة بالتفلون هي الأفضل نظراً لمقاومتها العالية للاشتعال وعدم انبعاث غازات سامة منها إلا في درجات حرارة عالية تتعدى ٥٠٠م (١٤)،(١٥)،(١٦).

ووضعت عدة معايير لاختيار الشكل الأنسب وكان من أهم هذه المعايير ملاءمة الشكل المعتمد للطابع الإسلامي واعتماد أفضل التقنيات الحديثة بالتصنيع والتنفيذ لتحسين مستوى سكن الحجاج في منى وتوفير سبل السلامة والأمان لهم مع المحافظة على التراث الإسلامي العريق قدر المستطاع(١٧).

وبالرغم من أن كلفة الأنسجة الزجاجية المغطاة بالتفلون هي الأعلى إلا أن اللجنة الوزارية المكلفة باعتماد ذلك ودعيت عدة شركات لتقديم منتجها بناءً على مواصفات عالمية محددة وضعت خصيصاً لهذا المشروع وخلال وقت قياسي.

وتمتاز المنشآت من هذه الخيام عن غيرها من المنشآت الأخرى من الصاج والمعادن بأنها تعطي مرونة كبيرة في استعمالاتها المختلفة بالإضافة إلى إمكانية رفع وطي قواطيعها مما يسهل التهوية الجيدة للخيام بعد مواسم الحج ويسهل من المراقبة الأمنية لها.



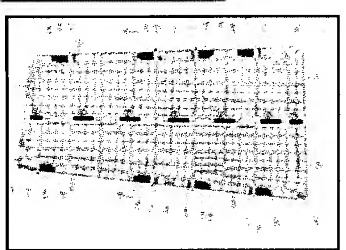
الشكل رقم (٨) وحدات سقفها على شكل الخيام من مواد غير قابلة للاشتعال

٥ ـ الخيام غير القابلة للاشتعال:

بعد اختيار نوع المواد المستعملة لتغطية وحدات سكن الحجاج في منى تمت دراسة الأشكال الممكنة لهذه الوحدات وكيفية تجميعها بما يحقق الاستفادة القصوى من الأراضي المتاحة في منى مع تحقيق أكبر قدر ممكن من أسس الأمن والسلامة اللازمة، وتمت مراعاة المبادىء التالية:

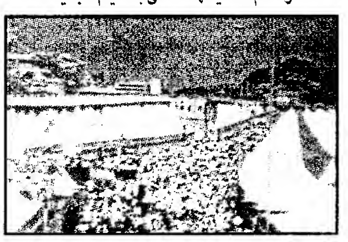
٥ – ١ الملاءمة مع المحيط العام

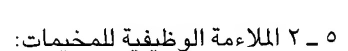
تم استعمال قطع الأراضي بوضعها الحالي والمخصصة لسكن الحجاج في منى مما يسهل الحركة والارتباط بين المخيمات ومجموعات الخدمات الموجودة بالموقع نسبياً وإيجاد علاقة متوازنة مع طبيعة استعمالات الأراضي الحالية والتي احتاجت إلى دراسة مفصلة لكل موقع فيما يتعلق بهيكل المخطط العام وتقسيمات المخيمات به بالإضافة إلى الاستعمالات الخاصة


الشكل رقم (٩) إحدى قطع الأراضي
وقد تم تخطيطها لتغطي بالخيام الجديدة

بالجهات الحكومية وإلى الخصائص الطبوغرافية للأراضي.

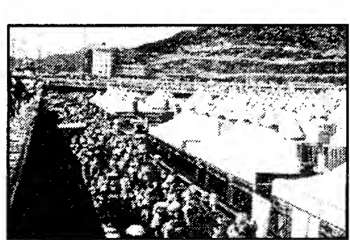
ويتصف التشكيل العمراني للمخيمات بوجود طابع بصري منفرد نتج عنه تكرار الأنماط القياسية للخيام وتتابعها وتأكد من خلال الاستخدام الوظيفي للخيام وتجميعاتها بشكل متجانس، ويوضح الشكل رقم (٩) مخططاً من هذه المخططات (١٧) بينما يبين الشكل رقم (١٠) الطابع البصري لها.


الشكل رقم (١٠) الطابع البصري للخيام الجديدة في قطع الأراضي بمنى


٥ ـ ٢ الملاءمة الوظيفية للمخيمات:

تم تقسيم كل قطعة أرض إلى عدة مخيمات تحدها أسوار ولكنها مرتبطة ببعضها بواسطة ممرات متناسقة، ويشكل كل مخيم جزءا من قطعة الأرض المحاطة بالطرق متضمنة العناصر اللازمة لتوفير الخدمات للحجاج ففي وسط المخيم توجد مجموعة من دورات المياه والمواضيء وعند المدخل الرئيسي خصصت خيمة لتكون مقراً للمطوف وبجانب هذه الخيمة تم وضع تجهيزات توزيع الطاقة الكهربائية، وبجوار هذه الخيمة المخصصة للمطوف يقع المطبخ الذي يستعمل لتجهيز الطعام وتوزيعه وبجانبه موقع خاص لمكبس النفايات وتجميعها ويسهل الوصول إليه من داخل المخيم.. في حين يتم نقل النفايات بواسطة سيارات البلدية من جهة الشارع خارج المخيمات.

وقد تمت إحاطة كل مخيم بأسوار معدنية تتخللها بوابات رئيسية وأخرى للطوارىء يسهل فتحها من داخل المخيم الشكل رقم (١١) ويتخلل المخيم ممرات يتم رصفها وإنارتها وتزويدها بإشارات تدل على مجموعات الخيام ومخارج الطوارىء وغيرها من الخدمات الشكل رقم (١٢).


الشكل رقم (١١) المخيمات الجديدة وحولها الأسوار

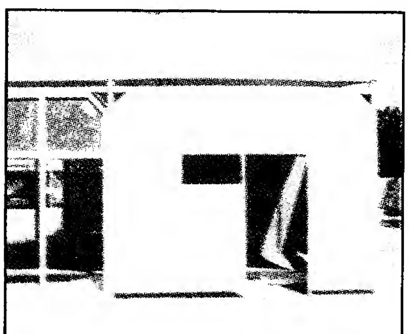
وبذلك فإن كل مخيم يشكل وحدة قائمة بذاتها متكاملة الخدمات، واضحة المعالم، حسنة الاستغلال، سهلة الإخلاء مهيأة بوسائل الراحة والسلامة مما يعتبر نقلة نوعية كبيرة في سكن الحجاج

٥ – ٣ الملاءمة الوظيفية للخيمة وعناصرها المعمارية:

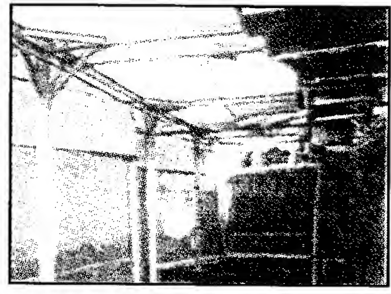
تم تحديد أبعاد الخيمة النمطية ٨م×٨م بحيث تتم الاستفادة القصوى من الأراضي المتاحة للتخييم وتكون نسبة الهدر فيها أقل ما يمكن ولكي تلاءم الخيام الأشكال


الشكل رقم (١٢) يوضح شكل الممرات بين الخيام

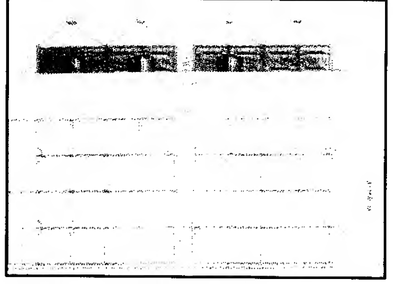
غير المنتظمة لقطع الأراضي فقد استعملت خيام بمقاسات تراوحت ما بين ٦م×٨م و١٢م×٨م مع بعض الخيام الصغيرة ٤م×٤م، والخيام المنبسطة، كما تم وضع قواطيع داخل الخيام لفصلها إلى وحدات أصغر وتحقيق الخصوصية باستعمالها (١) ولقد أجريت دراسات واسعة حول تصميم القواطيع والأسوار التي تحد المخيمات واستعرضت كافة الحلول بما فيها إقامة حوائط ثابتة مزودة بنوافذ وأبواب تكون من ألواح الأسمنت المقوى بالألياف الزجاجية أو نحوها الشكل رقم (١٣)، ولقد اتضح بعد الاختبارات ومراجعة العينات الموقعية الحقيقية التي أنشئت لهذا الغرض أن منظر الخيام سيبدو مشابها لمشاريع الإسكان الاعتيادية أو هي أشبه بساحات المعارض، واستدعت مرة أخرى المحافظة على روح الحج التقليدية باستعمال قواطيع من نفس نوعية القماش التي استخدمت في سقف الخيام ولكن بدرجة صلابة أقل مما يحقق مرونة أكبر في تحريكها الشكل رقم (١٤) وزودت الخيام بالمكيفات من النوع الصحراوي وكذلك بالإنارة الداخلية بمستويين الإنارة العادية والإنارة الليلية خلال النوم وبلغ ارتفاع الجزء المستقيم من الخيمة ٣م يعلوه الجزء الهرمي والمزود بفتحة برأسه تسمح بالتهوية الطبيعية دون دخول المياه منها، وتم تزويد الخيمة بمآخذ للطاقة الكهربائية رقم(١٥).



شكل رقم (١٣)



شكل رقم (١٤)



شكل رقم (١٥)

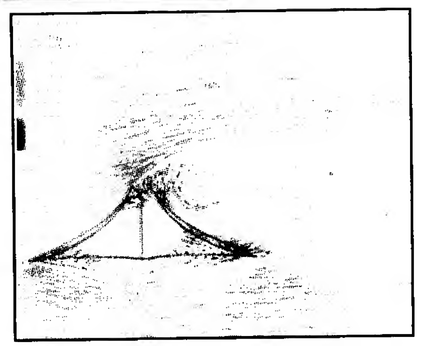
الشكل رقم (١٣) القواطيع الثابتة الصبة غير مناسبة من ناحية الشكل وتصعب المراقبة الأمنية.

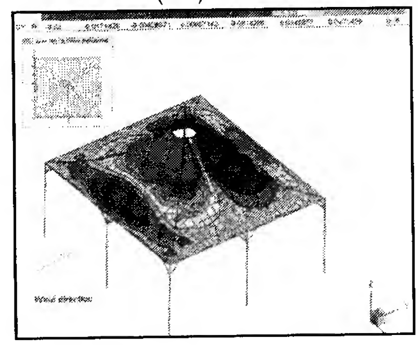
الشكل رقم (١٤) القواطيع التي تم اختيارها من نفس نوع القماش تتيح مرونة أفضل في توزيع الفراغات وتسهل المراقبة الأمنية.

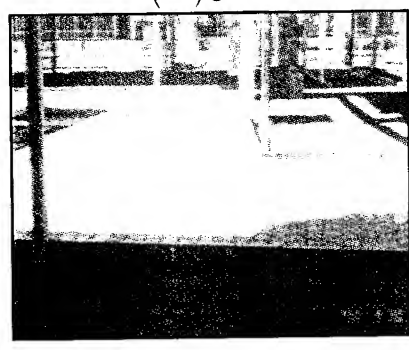
الشكل رقم (١٥) التفاصيل المعمارية لنموذج الخيمة المتكرر (٨×٨م)

٥ ـ ٤ الملاءمة الإنشائية للخيمة وعناصرها:

تم إجراء كافة الدراسات اللازمة للتأكد من ثبات الخيام ومقاومتها لأعتى العواطف والرياح التي يمكن أن تهب على منطقة منى وتم عمل محاكاة بالحاسب الآلي لتحديد تأثير الرياح على سقف الخيام في حال كونها مفتوحة أو مغلقة. الشكل رقم (١٦) وتم تثبيت سقف الخيمة على هيكل معدني، روعي فيه عدم وجود عوارض ثابتة على جوانبه قد تعيق حرية الحجاج، كما أن الهيكل المعدني صمم بحيث يوفر المرونة اللازمة


شكل (١٦)


شكل (١٧)


شكل (١٨)

لإجراء أي تشكيل لتركيب وتحريك القواطع أو رفعها أو فردها(١).

وتتكون كافة العناصر الإنشائية لهيكل الخيام من الحديد المجلفن لمقاومة العوامل الطبيعية، وتثبيت الهياكل المعدنية بالأرض على قواعد من الخرسانة المسلحة تم حساب أبعادها وتسليحها بما يتناسب مع القوى المختلفة والعزوم الناتجة بفعل الرياح ويبين الشكل رقم (١٧) التشكيلات الأفقية بقماش الخيام نتيجة لقوى الرياح محسوبة على نموذج بالحاسب الآلي.

الشكل رقم (١٦) إحدى الحالات التي تم محاكاتها بالحاسب الآلي لتأير الرياح على الخيمة

الشكل رقم (١٧) اثار قوى الرياح الأفقية على قماش الخيمة الجديدة

٥ ـ ٥ صرف مياه الأمطار من المخيمات:

للتغلب على سلبيات العواصف المطرة صممت الخيام بحيث لا تتسرب مياه الأمطار إلى داخلها وتستخدم المرات فيما بين الخيام لتجميع المياه وصرفها إلى الشوارع المحيطة بالمخيمات ويجري إنشاء نظام لالتقاط مياه الأمطار من الشوارع والطرق وتجميعها وصرفها ضمن شبكة من المواسير والعبارات الصندوقية إلى مجاري المياه الطبيعية، ولأجل ذلك يتم رصف الممرات لكي تساعد على صرف مياه الأمطار، الشكل رقم (١٨).

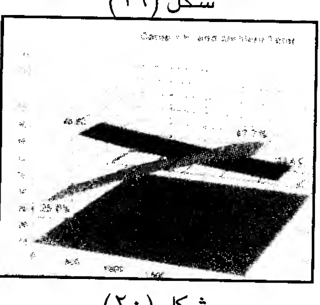
الشكل رقم (١٨) تساعد المرات بين الخيام على تصريف مياه الأمطار من المخيمات إلى الشوارع والطرق العامة

٥ – ٦ الاعتبارات المناخية :

أجريت قياسات لدرجات الرطوبة والحرارة وحرارة الغشاء المغطي للخيمة وفي وجود كثافة أفراد عالية مع وجود التهوية الطبيعية/أو التهوية الميكانيكية/ أو المكيفات الصحراوية أنظر الشكل رقم (١٩) وعند إجراء الحسابات بالحاسوب تم تغيير سماكة الغشاء ووضع طبقتين منه بينهما عازل هوائي ومن خلال التباديل والتوافيق بين هذه الظروف المختلفة، أوضحت الدراسات المختلفة ما يلي(١):

- غالبية النتائج تبين أن أفضل الخيام هي ذات الغشاء المفرد السميك، لتحقيق أفضل درجات للحرارة داخل الخيمة بالليل والنهار باستعمال المكيف الصحراوي المناسب.
- درجات الحرارة تتراوح خارج الخيام بمنطقة منى وعلى امتداد ٥ر٢كم وهو عمق الموقع تبدأ من ٥ر٤٠ درجة مئوية، وتحت تأثير المكيفات الصحراوية تنخفض في نهاية الموقع إلى ٤ر٣٣درجة مئوية، بمعنى أن درجة الحرارة الخارجية ستنخفض نظرياً الشكل رقم (٢٠) إذا استعملت المكيفات الصحراوية في كامل منطقة منى (بسبب حركة الهواء وزيادة الرطوبة).
- عند استعمال المكيفات الصحراوية سترتفع الرطوبة النسبية داخل الموقع من ٢٥٪ إلى ٧ر٤٧٪ وهي ضمن النسب المسموح بها.
- ازدياد محتوى الرطوبة في المناخ الخارجي للموقع لا يؤثر كثيراً على كفاءة التبريد نظراً لانخفاض درجة حرارة الجو الخارجي بشكل عام مما يضمن بإذن الله أداء ثابتاً للمكيفات الصحراوية على امتداد عمق الموقع.


شكل (١٩)


شكل (٢٠)

الشكل رقم (١٩) قياس درجات الحرارة والرطوبة على أحد عينات الخيام الجديدة لتحديد نوع وشكل وسمك القماش الذي سيستعمل في تصنيع الخيام.

الشكل رقم (٢٠) نتائج الحاسب الآلي لدراسة التأثيرات البيئية في مشعر منى عند استعمال الخيام الجديدة مع المكيفات الصحراوية

٦ - وسائل السلامة :

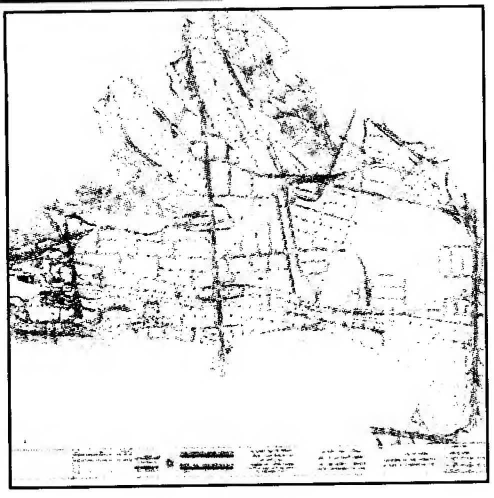
بالإضافة إلى اختيار مواعد غير قابلة للاشتعال لتصنيع الخيام قد اتخذت إجراءات إضافية لتوفير الأمن والسلامة من أخطار الحريق ونوردها فيما يلي:

٦-١ فوهات الحريق الرئيسية بالشوارع:

تم عمل شبكة متكاملة لمياه إطفاء الحريق في كافة أنحاء منى وتتضمن خزانات خاصة لمياه الحريق تغذي شبكة بأقطار مناسبة مع ما يلزمها من محابس وقطع وتم تركيب فوهات حريق عليها وذلك بمسافة لا تتجاوز ٩٠م بين الفوهة والأخرى وبجانب كل فوهة صندوق يضم أربعة خراطيم بطول (٣٠م) وطول اجمالي يبلغ (١٢٠م) وقطرها (٤٠مم) وقد تم تصميم هذه الشبكة بحيث يكون ضغط الماء فيها كافياً لاطفاء الحرائق دون الانتظار لوصول سيارات الدفاع المدني.

وقد بلغ إجمالي طول المواسير المستعملة بهذه الشبكة حوالي ١٠٠كم من المواسير باقطار تتراوح بين ٢٥٠مم و٧٠٠ مم.

كما تضم الشبكة حوالي ٨٠٠ محبساً. ويبلغ عدد فوهات الحريق حوالي ٧٤٠ فوهة، كما تم تحديد خطوط لشبكة التكييف بموازاة خطوط شبكة الحريق وبأطوال مماثلة لها. ويبين الشكل رقم (٢١)) توزيع فوهات الحريق المنفذة قبل حج ١٤١٨هـ.


شكل (٢١)

الشكل رقم (٢١) الخيام الجديدة وفوهات الحريق المنتشرة في مشعر منى

٦ـ٢ خراطيم المياه داخل المخيمات تم تزويد كافة مخيمات الحجاج بصناديق يحتوي كل منها على خرطوم بطول ٣٠م مع طفاية للحريق ويتم توزيعها بالممرات داخل المخيم بمعدل صندوق لكل ١٠٠م طولي وتعمل هذه الخراطيم على المساعدة بإطفاء الحرائق الصغيرة في حال حدوثها من قبل الحجاج والمطوفين لحين وصول رجال الدفاع المدني الذين يمكنهم استعمال فوهات الحريق الرئيسية المثبتة بالشوارع المحيطة بمخيمات الحجاج.

٦ـ٣ رشاشات المياه بالخيام :

تحتوي كل خيمة على رشاشات للمياه تعمل بشكل تلقائي بمجرد استشعارها بالحرارة ويتم توزيع هذه الرشاشات بمعدل رشاش لكل ١٦م٢. ولدى انبعاث المياه من هذه الرشاشات فإنه يتم صدور صوت من جهاز الإنذار في خيمة المطوف لكي يتم التنبيه إلى الخطر واستكمال الإجراءات لمقاومة الحريق من قبل رجال الدفاع المدني.

٦ـ٤ طفايات الحريق:

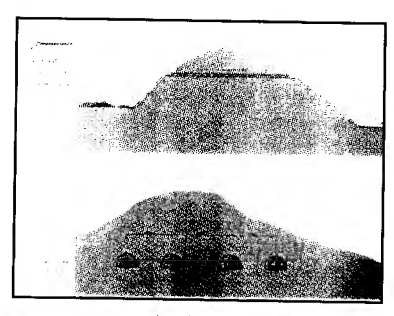
تشتمل الخيام على طفايات للحريق وزن ٦كجم بحيث يكون داخل كل خيمة محاطة بقواطيع طفاية وتثبت على أقرب عمود لباب الخيمة وعلى ارتفاع لا يؤثر على نوم أو جلوس الحجاج ليسهل الوصول إليها واستعمالها.

٦ ـ ٥ خزانات مياه الحريق:

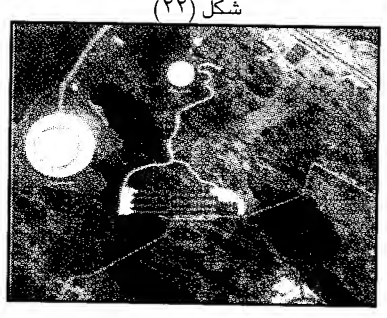
لكي يتم توفير أكبر قدر ممكن من الفعالية لشبكة مياه الحريق فقد تم تنفيذ خزانات خاصة لإمداد نظام مكافحة الحريق بالمياه اللازمة. تبلغ سعة هذه الخزانات (٢٠٠٠٠٠) مائتي ألف متر مكعب يخصص جزء منها لاستهلاك المكيفات الصحراوية ويبقى الجزء الأكبر كاحتياطي لاستعماله في إطفاء الحرائق فيما لو دعت الحاجة ـ لا سمح الله ـ إلى ذلك سواء بواسطة الرشاشات المثبتة داخل الخيام أو من الخراطيم المثبتة بالصناديق داخل المخيمات أو من فوهات الحريق الموزعة بالشوارع.

وقد صممت الخزانات بطريقة تم تنفيذها والاستفادة منها خلال فترة زمنية قياسية وذلك بتفادي عمل قطوعات صخرية تستلزم وقتاً كبيراً فقد تم حفر أنفاق بالجبل المطل على منى وتم تبطينها وقفل مداخلها بجدران خرسانية لتصبح خزانات نفقية، الشكل رقم (٢٢) وقد تم تحديد منسوب هذه الخزانات بحيث توفر الضغط اللازم لشبكة مياه الحريق بفعل الجاذبية دون اللجوء الى تجهيزات ميكانيكية، ويتم تعبئة هذه الخزانات من الخزان ذي السعة مليون

متر مكعب المجاور لها الذي يشكل مخزوناً استراتيجياً للمياه في منطقة المشاعر، وتتم التغذية عبر محطة ضخ وخطين قطر ٩٠٠ مم وتضم محطة الضخ سبع مضخات اثنتان منها احتياطية وقدرة المضخة الواحدة ١١٠٠ متر مكعب بالساعة وتعمل هذه المضخات بالطاقة الكهربائية ويوجد مولدان احتياطيان للطاقة تستخدم في حال انقطاع التيار الكهربائي ويبلغ ارتفاع الأنفاق ٥٤٠م عن سطح البحر وهو أعلى من منسوب الخزان المغذي لها بحوالي ١٢٠م، ويبين الشكل رقم (٢٣) الموقع العام لهذه الخزانات ومحطة الضخ.



شكل (٢٢)



شكل (٢٣)

الشكل رقم (٢٢) رسم توضيحي لأنفاق المياه التي تخدم شبكتي إطفاء الحريق والتكييف الصحراوي

الشكل رقم (٢٣) الموقع العام للخزانات في مشعر منى مع خزان المليون متر مكعب ومحطة الضخم

٧ ـ تنفيذ المشروع وإدارته في الأزمات والتحديات التي واجهته:

لقد كان عامل الزمن هو التحدي الأكبر الذي واجه تنفيذ المشروع إذ كان اليوم الواحد في هذا المشروع ربما يعني أسبوعاً أو شهراً لمشروعات أخرى.. وخاصة لمثل هذه المشروعات ذات التقنيات الحديثة المحدودة المواد والنادرة التصميم والتي تحتاج إلى ابداع من جهة ومن جهة أخرى تحتاج الى التنسيق مع عدد من الجهات ذات العلاقة وكل جهة من هذه الجهات لها متطلباتها الخاصة ونظرتها ورؤيتها التي قد تختلف عن الجهات الأخرى.

وكان الزمن المتوفر لانجاز هذه المشروعات في السنة الأولى لا يزيد عن تسعة أشهر يجب أن يتم فيها:

- اختيار نوع المشروعات ونسبة تنفيذها.
- إعداد المواصفات والشروط التي تسمح بإعداد المنافسات.
- تحدد الميزانية واعتمادها.
- اختيار المقاولين والترسية.
- تصميم وتنفيذ المشروعات والإشراف عليها.

ومن التحديات التي واجهت المشروع:

- ندرة المادة التي تصنع منها الخيام.
- اختيار المشروعات ونوعها.
- تحديد الميزانيات واختيار المقاولين وترسية العطاءات.

كما واجهت المشروع عدداً من المشكلات منها:

- تقليل المقاول من حجم الأعمال.

ـ صعوبة التصميم في موقع منى ومتطلبات الحجاج والمطوفين والجهات الحكومية
ـ المشاكل الإدارية والمالية والتنسيقية للمقاولين.
ـ مشكلة تأخر تصنيع الهياكل المعدنية.
ـ مشكلة إنتاج مواد الخيام وتصنيعها.

ويبين المرجع (١٨) كيف أمكن مواجهة التحديات وحل المشكلات وإدارة أكثر من خمسين مصنعاً ومقاولاً واستشارياً شاركوا في تنفيذ الأعمال بالإضافة إلى أكثر من سبعة آلاف عامل وفني ومهندس عملوا على مدار الساعة في وقت الذروة ليكتمل تنفيذ المشروع بفضل الله ثم تكاتف الجهود على كل المستويات في الوطن حيث شاركت معظم المناطق في عمل وتسهيل مهمة الانجاز بكامله في وقته المحدد، ويشرح المرجع (١٨) السلبيات والايجابيات التي نتجت عن إدارة تنفيذ هذا المشروع السريع والعاجل مما يساعد على تفادي السلبيات والاستفادة من الايجابيات في مشروعات مماثلة ويضع للمهندسين مثالاً حياً لإدارة الأزمات في مشروعات البناء.

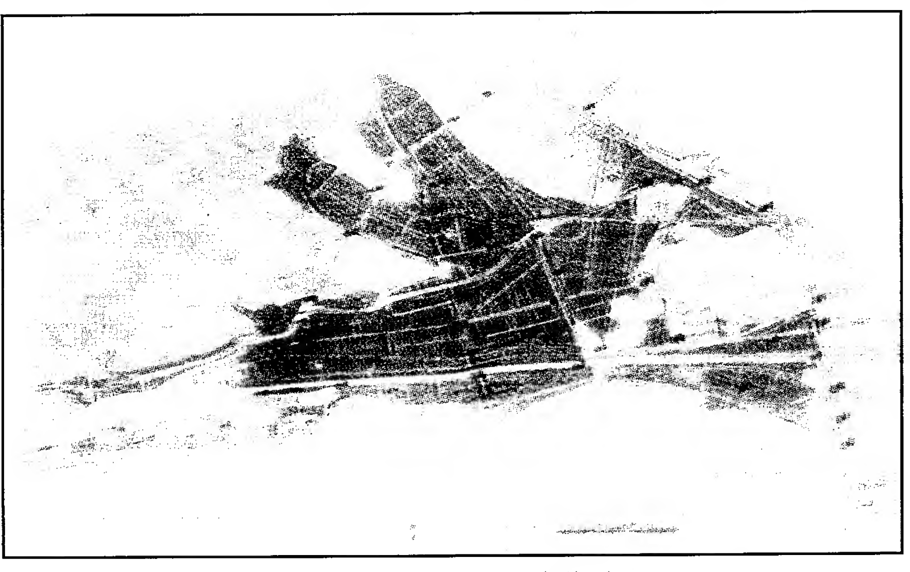
٨ ـ مراحل التنفيذ:

تبلغ مساحة الخيم التي يهدف المشروع إلى تنفيذها ٢٥٠٠٠٠٠ متر مربع (مليونين وخمسمائة ألف متر مربع) وقد قسمت إلى ثلاث مراحل على النحو التالي:

ـ المرحلة الأولى بمساحة ٦٢٥٠٠٠ متر مربع تشكل ٢٥٪ من كامل المشروع.
ـ المرحلة الثانية بمساحة ١٠٠٠٠٠ متر مربع وتشكل ٤٠٪ من كامل المشروع.
ـ المرحلة الثالثة بمساحة ٨٧٥٠٠٠ متر مربع وتشكل ٣٥٪ من كامل المشروع.

ويوضح الشكل رقم (٢٤) المراحل الثلاث للمشروع.

الشكل رقم (٢٤) المرحلة الأولى والثانية والثالثة بمشعر منى



شكل (٢٤)

كما يتضمن الجدول رقم (١) الأعمال الرئيسية لهذه المراحل.

((الجدول))

بند الأعمال	المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة	المجموع
أعمال الخيام				
المساحة المغطاة بالخيام (م٢)	٦٢٥٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	٨٧٥٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠
نسبة كل مرحلة من المشروع	٢٥٪	٤٠٪	٣٥٪	١٠٠٪
عدد الخيام (خيمة)	١٠٨٠٠	١٧٣٠٠	١٥١٠٠	٤٣٢٠٠
مساحة القماش المستعمل لتصنيع الخيام (م٢)	٩٧٠٠٠٠	١٥٥٠٠٠٠	١٣٦٠٠٠٠	٣٨٨٠٠٠٠
مساحة القواطع المستعملة لتصنيع الخيام (م٢)	٨٢٠٠٠٠	١٣١٠٠٠٠	١١٥٠٠٠٠	٣٢٨٠٠٠٠
طول القواطع المستعملة بالخيام (كم)	٣٦٠	٥٨٠	٥٠٠	١٤٤٠
الأعمال المدنية				
طول الأسوار المعدنية المستعملة لتحديد المخيمات (كم)	٤٢	٦٨	٦٠	١٧٠
وزن الهياكل المعدنية المستعملة لتثبيت الخيام (طن)	١٠٠٠٠	١٦٠٠٠	١٤٠٠٠	٤٠٠٠٠
عدد القواعد المستعملة لتثبيت الهياكل المعدنية عليها (قاعدة)	٦٣٠٠٠	١٠٠٠٠٠	٨٧٠٠٠	٢٥٠٠٠٠
حجم الخرسانة المستعملة لصب القواعد (م٣)	٥٠٠٠٠	٨٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠
أعمال التكييف				
عدد المكيفات الصحراوية المستعملة (مكيف)	١٠٥٠٠	١٦٨٠٠	١٤٧٠٠	٤٢٠٠٠
أطوال الشبكات الداخلية للتكييف (كم)	٣٠	٤٨	٤٢	١٢٠
أعمال الإنارة				
عدد كشافات الإنارة الداخلية والخارجية (كشاف)	٦٠٠٠٠	٩٦٠٠٠	٨٤٠٠٠	٢٤٠٠٠٠
عدد لوحات التوزيع (لوحة)	١٠٠٠	١٦٠٠	١٤٠٠	٤٠٠٠
طول التمديدات الكهربائية داخل المخيمات (كم)	٦٥	١٠٤	٩١	٢٦٠
أعمال مقاومة الحريق				
عدد رشاشات المياه المركبة بالخيام (رشاش)	٤٢٠٠٠	٦٨٠٠٠	٦٠٠٠٠	١٧٠٠٠٠
عدد صناديق خراطيم إطفاء الحريق داخل المخيمات (صندوق)	٩٠٠	١٤٤٠	١٢٦٠	٣٦٠٠
عدد طفايات الحريق الموزعة داخل المخيمات (طفاية)	٢١٠٠٠	٣٣٠٠٠	٢٩٠٠٠	٨٣٠٠٠
أطوال الشبكات الداخلية لمقاومة الحريق (كم)	٣٠	٤٨	٤٢	١٢٠

الجدول رقم (١) يبين حجم الأعمال الرئيسية للمراحل الثلاث

٨ ـ ١ المرحلة الأولى لإسكان الحجاج في منى:

تم تنفيذ المرحلة الأولى والاستفادة منها بحج عام ١٤١٨هـ وقد غطت كامل منطقة ربوة منى والجزء الأكبر من الوادي ما بين جسر الملك عبدالعزيز شرقاً وجسر الملك خالد غرباً وشارع الملك فهد شمالا وطريق المشاه جنوبا بمساحة إجمالية لقطع الأراضي بلغت حوالي ٨٥٠٠٠٠ متر مربع مقسمة على ٣٢ قطعة ضمت ١٤٤ مخيماً وأكثر من عشرة آلاف خيمة.

وبالرغم من الصعوبات التي واجهت المشروع واتساعه فقد تم في أقل من شهرين التنسيق بين كل الأطراف ذات العلاقة من المطوفين والدفاع المدني ووزارة الصحة ووزارة الحج ووزارة الصناعة ووزارة التجارة وجهات أخرى وتم وضع الأسس والمواصفات اللازمة لتصميم وتنفيذ المشروع.

وقد تم تنفيذ أعمال المرحلة الأولى ضمن فترة زمنية قياسية بلغت سبعة أشهر.

٨ ـ ٢ المرحلة الثانية لإسكان الحجاج في منى:

بعد انقضاء عام ١٤١٨هـ بوشر باتخاذ الإجراءات للبدء بالمرحلة الثانية للمشروع والتي تشمل إنشاء ١٠٠٠٠٠٠ متر مربع من الخيام موزعة على ١٤٠٠٠٠٠ متراً مسطحاً من الأراضي وبشكل عام فإن أعمال المرحلة الثانية مشابهة لتلك التي تم تنفيذها بالمرحلة الأولى مع إدخال بعض التعديلات الطفيفة التي تم اعتمادها بناء على ما ورد من تقييم لأعمال المرحلة الأولى.

وتعتبر المرحلة الثانية التي نفذت خلال عام ١٤١٩هـ امتداداً لما تم تنفيذه في حج عام ١٤١٨هـ فهي تغطي كامل منطقة الشعيبين من حدود الخيام المنفذة بالمرحلة الأولى وحتى سفوح الجبال المحيطة بها للمنطقة الواقعة جنوب ربوة منى حتى طريق المشاة والأجزاء المتبقية من وادي منى والتي لم تشملها المرحلة الأولى وكذلك المناطق التي يستعملها الحجاج فقط جنوب طريق المشاة وفي منطقة الجمرات.

٨ ـ ٣ المرحلة الثالثة لإسكان الحجاج في منى:

شملت المرحلة الثالثة لمشروع إسكان الحجاج في منى والتي نفذت خلال عام ١٤٢٠هـ تغطية ما تبقى من مخيمات للحجاج في منى بالإضافة إلى المسطحات التي تم استحداثها بتهذيب سفوح الجبال بمنطقة الشعبين وكذلك المناطق المتصلة بمنى والواقعة لجهة الشرق حتى جسر الملك فيصل بمزدلفة وشمالاً حتى طريق المعيصم، وموقع مجزرة الجمال والأبقار التي تم فكها وإعادة تركيبها خارج مناطق المخيمات بالقرب من المجازر القائمة بالمعيصم مما ساعد على زيادة الطاقة الاستيعابية لإسكان الحجاج بمنى.

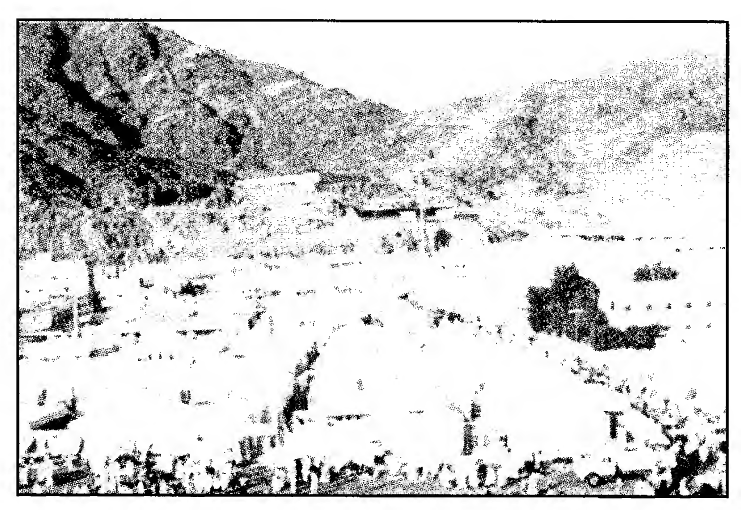
٩ ـ الجدوى الاقتصادية للمشروع :

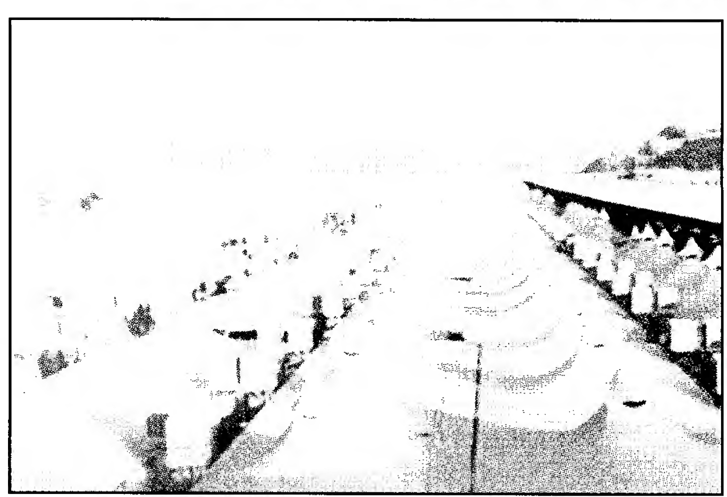
بناء على الاتفاق الذي تم بين كل من وزارة الحج ووزارة المالية والاقتصاد الوطني يستقطع مبلغ ١٠٠ ريال من مصاريف السكن والإقامة بالمشاعر التي يدفعها كل حاج لقاء توفير الخيام الجديدة في منى وعلى أساس التكلفة الإجمالية للمشروع بمراحله الثلاثة والتي ستكلف ألفين واربعمائة مليون ريال، وعلى أساس أن عدد الحجاج الذي ستستوعبه الخيام بمراحلها الثلاثة

حوالي مليونا حاج فإنه من المتوقع أن يتم استرجاع التكاليف خلال عشر إلى اثنا عشر سنة. وإذا ما تم رفع التكاليف إلى مائة وخمسين أو مائتي ريال نظراً للنقلة الكبيرة التي يحققها السكن الحديث فإن المدة ستقل كثيراً وبمقارنة ذلك بالعمر الافتراضي لهذه الخيام وهو أكثر من ثلاثين سنة فإن المردود الاقتصادي من هذا المشروع يعتبر مجدياً للغاية.

١٠ ـ المشاريع المساندة:

عمدت وزارة الأشغال العامة والإسكان إلى تنفيذ العديد من المشاريع المساندة في منى خلال السنوات الثلاثة من ١٤١٨هـ حتى ١٤٢٠هـ وتعتبر هذه المشاريع متممة وضرورية لمشروع إسكان الحجاج لتوفير المزيد من الخدمات والأمان والراحة والسلامة للحجاج ونوجز فيما يلي هذه الأعمال:





١٠ ـ ١ أعمال الجدران الساندة :

تم تنفيذ خلال المراحل الثلاث لمشروع إسكان الحجاج حوالي ٩كم من الجدران الساندة وتنقسم هذه الجدران إلى نوعين:

ـ النوع الأول الجدران الخارجية وهي التي شملت قطع الأراضي المخصصة للحجاج وبلغ طولها حوالي ٤كم ويتراوح ارتفاعها ما بين ٢م و١٤م وهذه الجدران تحل محل ميول ترابية أو صخرية كانت قائمة الأمر الذي نتج عنه الحصول على مساحات إضافية للتخييم تقدر بنحو (٠٠٠ر٤٥)م٢، وتم تنفيذ أدراج ومنافذ آمنة لانتقال الحجاج من خلالها في الحالات العادية والحالات الطارئة.

ـ النوع الثاني من الجدران الساندة فهو داخلي ويقدر طولها الإجمالي بحوالي ٥كم ويتراوح ارتفاعها ما بين ١م و٤م، ونفذت هذه الجدران الصغيرة داخل مخيمات الحجاج التي يزيد ميول أرضها الطبيعية عن ٥ر٣٪ وذلك للاستفادة القصوى من المسطحات وجعل انحدار أرضية المخيمات مريحة لاستعمال الحجاج.

١٠ ـ ٢ أعمال التسوية وتهيئة المناطق للتخييم بالمرحلة الثالثة لسكن الحجاج:

تم القيام بتسوية مناطق التخييم للمرحلة الثالثة لإسكان الحجاج وذلك أن معظم هذه المناطق لم تكن مهيئة لوضع الخيام بها وشملت هذه الأعمال تسوية مواقع المجازر التي تمت إزالتها أو نقلها خارج منى وإنشاء طرق لخدمة المخيمات الجديدة بحيث لا يؤثر انتشار المخيمات شرق منى على شبكة الطرق القائمة وحركة السير عليها.

وصممت مداخل المخيمات على هذه الطرق الجديدة ليسهل الدخول إليها، وبلغ إجمالي حجم الأعمال الترابية حوالي ٠٠٠ر٧٥٠م٣ من مواد الحفر والردم وشملت الأعمال أيضاً إنارة كافة الطرق ومناطق التخييم الجديدة البالغة حوالي ٠٠٠ر٠٠٠ر١م٢. كما تم تهذيب سفوح الجبال بمنطقة الشعبين داخل مشعر منى وذلك بغرض الحصول على مساحات إضافية للتخييم بلغت ٠٠٠ر٧٥م٢.

١٠ـ٣ تطوير شبكات توزيع المياه وخزاناتها:

وتدعيما لشبكة المياه القائمة والخزانات التي تمدها بالمياه خلال فترة الحج وتمشياً مع تطوير منطقة مشعر منى والمناطق التي شملها مشروع إسكان الحجاج فقد تم إنشاء ثلاث خزانات جديدة بسعة إجمالية ٠٠٠ر٧٠م٣، ويقع الخزان الأول والثاني بمنطقة منى أما الثالث فيقع بمزدلفة.

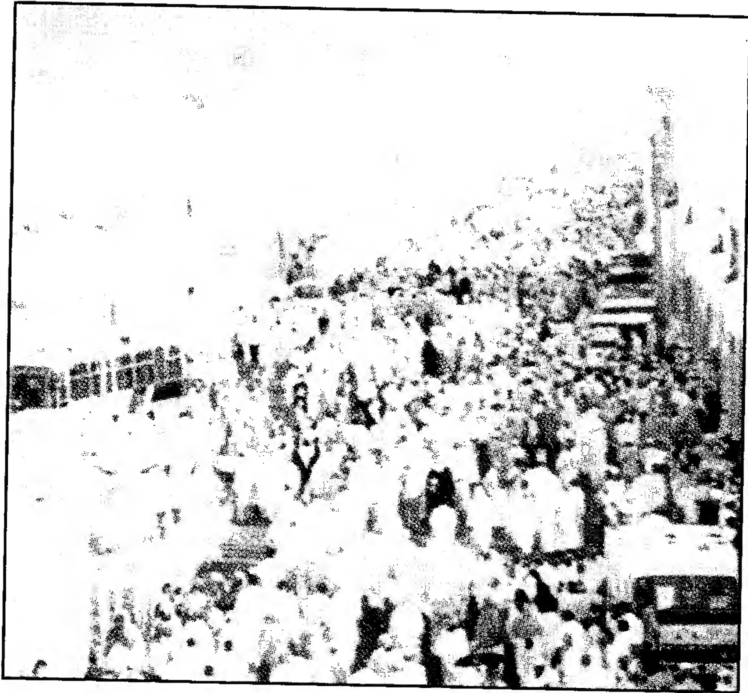
١٠ ـ ٤ تطوير شبكة الصرف الصحي ومحطة التنقية:

إزاء التوسع بتنفيذ دورات المياه فقد لزم إنشاء شبكة صرف صحي جديدة بمنطقة المخيمات الحديثة شرق منى.

كما تم تنفيذ أعمال تطوير محطة التنقية الواقعة بالقرب من منى، وذلك لتحسين أدائها بتركيب معدات وتجهيزات خاصة ومراوح للتهوية الميكانيكية السطحية لأحواض التجميع.

١٠ ـ ٥ صرف مياه الأمطار:

استكمالاً لعوامل الأمان والسلامة للحجاج فقد نفذت وزارة الأشغال العامة والإسكان أعمالاً لصرف مياه الأمطار وحماية مخيمات الحجاج من أخطار السيول في كافة أنحاء منى وشرقها حتى أوائل مشعر مزدلفة.. وذلك بإنشاء قنوات تصريف مكشوفة عند سفوح الجبال المحيطة بالمخيمات، وإنشاء شبكة خطوط لصرف مياه الأمطار بالطرق، وإنشاء عبارات صندوقية من الخرسانة المسلحة، وتنفيذ عبارة صندوقية بديلة لقناة وادي محسر المكشوفة، وتنفيذ المطابق وأحواض التجميع وفتحات للصيانة على مسارات كافة المواسير والعبارات، وتنفيذ قنوات مغطاة بمصبعات حديدية لتصريف مياه الأمطار من المواقع المنخفضة وفي جوانب الطرق.



١٠ ـ ٦ نقل المجازر من مزدلفة وإنشاء طرق وجسور لخدمتها:

كان يوجد بشرق منى مباشرة مجزرتين الأولى للأغنام يستعملها الحجاج لذبح الهدي والأضاحي والفدية بأنفسهم والثانية للجمال والأبقار، وتبلغ مساحتهما حوالي ٥٠٠ر٠٠٠م٢ لذا فقد تم إزالة مجزرة الأغنام لإنشاء مجزرة حديثة آلية بديلة عنها في منطقة المعيصم.

أما مجزرة الجمال والأبقار فقد تم فكها وإعادة تركيبها وتطويرها بمنطقة المعيصم أيضاً بجوار مجزرة الأغنام الآلية، وبذلك تم تجميع المجازر بمنطقة واحدة في مشعر منى ومشعر مزدلفة. وتمت الاستفادة من مواقع المجازر القديمة بإنشاء مخيمات للحجاج عليها، ولخدمة هذه المجازر الجديدة فقد تم إنشاء طريقين الأول للمشاة بعرض ٣٠متر وهو ينقسم إلى جزئين بعرض ١٥م لكل جزء بحيث يمكن استعمال نصف الطريق للمشاة والنصف الآخر لحافلات

نقل الحجاج بحركة ترددية من موقع المجزرة القديم إلى موقع المجزرة الجديد. كما نفذ على هذا الطريق ثمانية أدراج لتسهيل حركة الحجاج من وإلى هذا الطريق وفصلها عن حركة المركبات.

* وكيل وزارة الأشغال العامة والإسكان

المراجع:

(١) د. زيد العابدين، حبيب مصطفى «منى مدينة الخيام - مشروع إسكان الحجاج بمشعر منى - أسس السلامة والوقاية من المخاطر - وزارة الأشغال العامة والإسكان - الرياض - المملكة العربية السعودية - ١٤١٨هـ.

٢ - أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم والدارمي. ابن كثير: الإمام أبي الفدا إسماعيل بن كثير (السيرة النبوية)، تحقيق الدكتور مصطفى عبدالواحد. الجزء الرابع. بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م. ص٣٩٧ - ٣٩٨.

(٣) أبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي(أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) تحقيق رشدي الصالح ملحس، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج٢،ص١٧٣.

(٤) ابن كثير (السيرة النبوية) ٤ ص٢٩٧.

(٥) السيوطي (الوسائل في مسامرة الأوائل) ص٤١.

(٦) مسلم (أبو الحسن ابن الحجاج القشيري النيسابوري) صحيح مسلم) نسخة محمد فؤاد عبدالباقي، طبعة دار الحديث، القاهرة. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، الجزء الثاني (كتاب الحج) رقم (١٥)، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (١٩) رقم الحديث ١٢١٨ صفحة ٨٨٩، وابن كثير (السيرة النبوية) ج٤ ص٣٣٦.

(٧) ابن كثير (السيرة النبوية) ج٤ ص٣٣٦.

(٨) ابن جبير (أبو الحسن محمد الكناني) (رحلة ابن جبير) دار الشرق العربي، بيروت (د.ت) ص١٣١ - ١٣٢.

(٩) ابن رشيد (أبي عبدالله محمد بن عمر الفهري السبتي) (ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة) الجزء الخامس تقديم وتحقيق الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، الطبعة الأولى بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م،ص١٠٤.

(١٠) Hurgronje`s (s.Snouck A hundred Years Ago) `Lonodon, 1986, P.44.

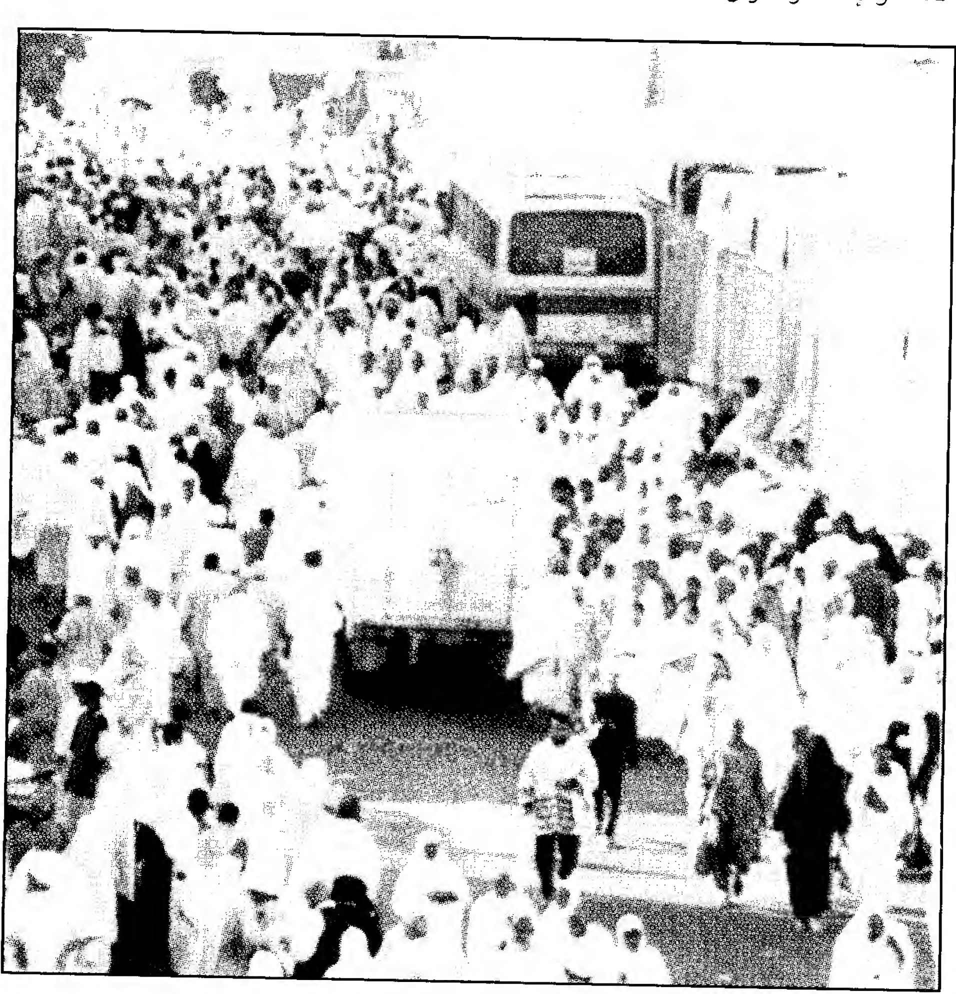
(١١) ريزفان (نعيم) (الحج قبل مئة سنة (رحلة عبدالعزيز دولتشين) بيروت ١٤١٣هـ. ص٢٠٩.

(١٢) مهر (غلام رسول) (يوميات رحلة في الحجاز ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م) ترجمة د. سمير عبدالحميد إبراهيم، إصدارات دارة الملك عبالعزيز، الرياض ١٤١٧هـ، ص٨٢، ١٠٠.

(١٣) دراسات متعلقة بإسكان الحجاج بمنى - مكتب تخطيط المدن - المنطقة الغربية - ١٩٧٥م.

(١٤) تقرير عن الاختبارات والمعد من قبل وزارة الأشغال العامة والإسكان، الرياض

١٤١٨هـ.
(١٥) تقرير عن الاختبارات والمعد من قبل الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس - الرياض - ١٤١٨هـ.
(١٦) Test report by Warringtton Fire Reseach, Warrington WA12DS, England 1997.
(١٧) Dr. Rashh M., ~The tent City of Al - Hajj~ Stuttgart - Germany 1980
(١٨) د. زين العابدين، حبيب مصطفى «إدارة المشروعات الإنشائية في ظل التحديات والأزمات» بحث مقدم لندوة «الإبداع والتميز في النهضة العمرانية بالمملكة خلال مائة عام»، وزارة الأشغال العامة والإسكانو شوال ١٤١١٩هـ.









خصَّ الله هذه البلاد باحتضانها الكعبة المشرفة والبيت العتيق بمكة المكرمة، ومسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة المنورة، فشرَّف أهلها بخدمة ضيوف الرحمن، وتسابقوا منذ العصور الأول لنيل هذا الشرف، فالسقاية لبني هاشم، والرفادة لبني عبدمناف.. وهكذا توزعت الأدوار والهدف واحد.

ولئن نالت وزارة الحج – باعتبارها الجهة المشرفة والموكلة من قبل ولاة الأمر - بالنصيب الأوفر، فإن بقية الجهات الحكومية تساند وتعاضد فذلك يسهم في الاستقبال، وآخر يدعم حفظ الأمن، وثالث يوفر الغذاء، وفق توجيهات سامية بأداء هذا الشرف وتسهيل أداء النسك للقاصدين من حجاج وعمَّار وزوار.

ووفق هذا النسق المتكامل يقوم معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج بإجراء الدراسات والأبحاث وتقديم الاستشارات الفنية والبحثية، وتقييم الخطط والمشاريع، وتدريب وتأهيل الكوادر وتوثيق المعلومات بهدف تطوير مستوى الخدمات المقدمة وتذليل العوائق، ورفع كفاءة الأداء تشغيلياً

واقتصادياً ويحدوه الأمل بتوفيق الله عز وجل للنهوض بما كلف به من مهام.

ولئن كان قد بدأ المعهد ـ وهو في هذا العام قد بلغ عامه السادس والعشرين ـ بعد ربع قرن من العمل والإنجاز في التركيز على مواضيع وبرامج حديثة تواكب هذا العصر المعلوماتي، فإنه لايزال يتمسك بأهدافه التي أنشيء من أجلها، ويسهم في بناء القاعدة الموسعة للمعلومات عن الحج، والعمرة ويبني سجله التاريخي الموثق عن الحج والمدينتين المقدستين والمشاعر المقدسة، ونستعرض هنا بعضاً من طموح المعهد ـ لهذا الموسم ١٤٢١هـ ـ وما أنجز في سبيل ذلك من أعمال.

الجهة المرجعية للأبحاث والاستشارات:

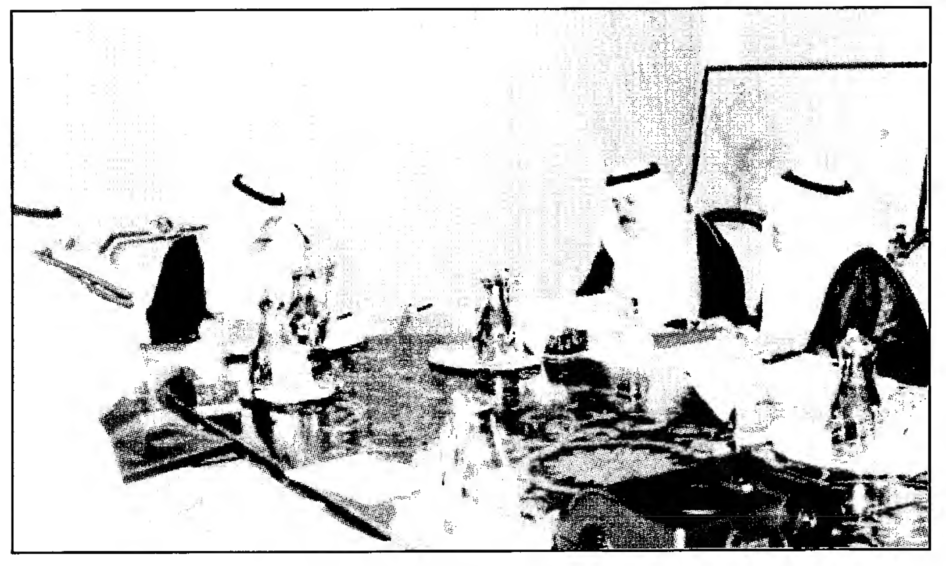
وافقت لجنة الإشراف على المعهد ـ في جلستها الثالثة المنعقدة بتاريخ ٢٠/٦/١٤١٨هـ برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية ورئيس لجنة الحج العليا ـ على اعتماد المعهد كمرجع رئيسي للدراسات والأبحاث والاستشارات المتعلقة بالحج والمشاعر المقدسة، وبرعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز ـ أمير منطقة مكة المكرمة ورئيس لجنة الحج المركزية ـ قام المعهد خلال هذا العام بتفعيل القرار، وساهم في تقديم الاستشارات وتقييم الخطط والبرامج.

كما شارك في العديد من اللجان الفرعية التي قامت بدراسة ما يحال إليها من لجنة الحج المركزية، وأصدرت التوصيات الفنية والحلول العملية التي وجدت طريقها إلى التنفيذ بدعم من رئيس اللجنة.

كما صدرت الموافقة السامية على اقتراح صاحب السمو الملكي أمير منطقة مكة المكرمة، وتأييد صاحب السمو الملكي وزير الداخلية باعتبار المعهد عضواً كامل العضوية بلجنة الحج المركزية، بعد أن كان يشارك في الاجتماعات بدعوة كريمة من صاحب السمو الملكي رئيس اللجنة كما عقدت اللجنة اجتماعها رقم ١٠٠ بتاريخ ٣/٣/١٤٢١هـ برئاسة سمو رئيسها بمقر المعهد حيث ناقشت العديد من المواضيع ذات العلاقة برفع أداء الخدمات المقدمة لضيوف الرحمن.

تفعيل فرع المعهد بالمدينة المنورة:

لم يقصر قرار إنشاء المعهد الصادر من مجلس الوزراء برقم ٧٢ وتاريخ ٢٦/٦/١٤٠١هـ ـ دور المعهد على خدمة قضايا الحج بمكة المكرمة فقط بل يشمل ذلك المدينة المنورة والمنافذ وقد عمل المعهد ـ بعد توطيد أركان التأسيس ـ على فتح فرع له بالمدينة المنورة ساهم في عدد من الدراسات ووثق الكثير من المعالم العمرانية بها، ومع تقلص الميزانية ـ لظروف خاصة ـ تم خفض الدور بالفرع والتركيز على المقر الرئيسي، وفي هذا العام ـ بدعوة



كريمة من صاحب السمو الملكي أمير منطقة المدينة المنورة وبدعم من سموه ـ قام المعهد بإعادة فتح فرع المعهد، وكلف بعضاً من الكوادر الجامعية بالمدينة المنورة لرعايته، وسيفتتح رسمياً قريباً ـ إن شاء الله ـ ليسهم بالدراسات والأبحاث، ويقدم الاستشارات، ويؤهل مقدمي الخدمة ويقوم ببعض الواجبات تجاه هذه المدينة المشرفة مهاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

نقل التقنية واستشراف آفاق المستقبل :

لم يكن المعهد ـ أو باحثوه ـ قبل ربع قرن يرجمون بالغيب وهم يتحدثون عن تنظيم الأضاحي وتقليل زمن النفرة أو تشجيع المشي كوسيلة انتقال بين المشاعر، ولكنهم كانوا يستشرفون آفاق المستقبل، وكعهد المعهد برعاية المشاريع الطموحة تبنى المعهد ـ قبل أكثر من عام ونصف ـ فكرة رائدة لإحدى شركات القطاع الخاص، ودعمها لتكون نافذة موثوقة بالشبكة العنكبوتية، ولتسهم في الاستفادة من إمكانيات هذا العصر الرقمي، ولتصبح ـ هذا العام ـ واجهة حضارية لخدمات الحج والعمرة بهذه الشبكة التي أزالت الحواجز والحدود وجعلت العالم قرية كونية، كما شارك المعهد في دراسة أخرى للاستفادة من تقنية الاتصالات الحديثة لمتابعة الضعفاء من الحجاج في تنقلاتهم، وحمايتهم من التيهان وأخطار الزحام بمشاركة إحدى شركات التقنية الماليزية.

بناء مقياس لخدمات الحج :

إن نجاح أي مناسبة كبيرة يعتمد على عاملين رئيسيين هما: برنامج المناسبة، وجودة المرافق والخدمات المتاحة، ومن المعروف أن الحج عبادة

ذات برنامج محدد، وبالتالي فإن نجاح موسم الحج يمكن أن يقاس بمدى جودة وفعالية المرافق والخدمات المهيأة له، إن عدم وجود مقياس مبني على أسس علمية لتقويم مرافق وخدمات الحج يجعل الحكم على نجاح موسم ما، من الصعوبة بمكان وربما يتأثر بدوافع مختلفة، وفي هذه الحالة لايمكن تطوير وتحسين أداء وجودة المرافق أو الخدمات بسهولة في مواسم الحج التالية، وحيث أن حكومة هذا البلد المعطاء ـ ممثلة في وزارة الحج والجهات المعنية الأخرى ـ لا تدخر جهداً ولا مالاً في سبيل تيسير أداء فريضة الحج على المسلمين وفي هذا الخصوص يقوم المعهد بدراسة تهدف إلى تطوير مقياس لتقويم جودة وفعالية المرافق والخدمات في موسم الحج ـ الأمر الذي سوف يعين المسئولين في مختلف الجهات ذات العلاقة على اتخاذ القرارات الصائبة نحو التطوير والتحسين عاماً بعد عام.

إن وجود مثل هذا المقياس سوف يتيح مجالات أوسع للاتصال والتعاون بين وزارة الحج وجميع مقدمي الخدمة لضيوف الرحمن، وسوف يسهم ـ بإذن الله ـ في توحيد الجهود وترشيد استخدام الموارد.

وتطوير هذا المقياس ممكن خاصة وأن عدة مقاييس ومؤشرات قد تم بناؤها واستخدامها في شتى المجالات العلمية والاجتماعية والاقتصادية، ولكن ذلك يتطلب إجراء عدد من الدراسات والتجارب والفحوصات وميزانية لتحقيق الهدف، ويتطلع معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج لدعم وزارة الحج والجهات ذات الصلة لهذا المشروع المهم.

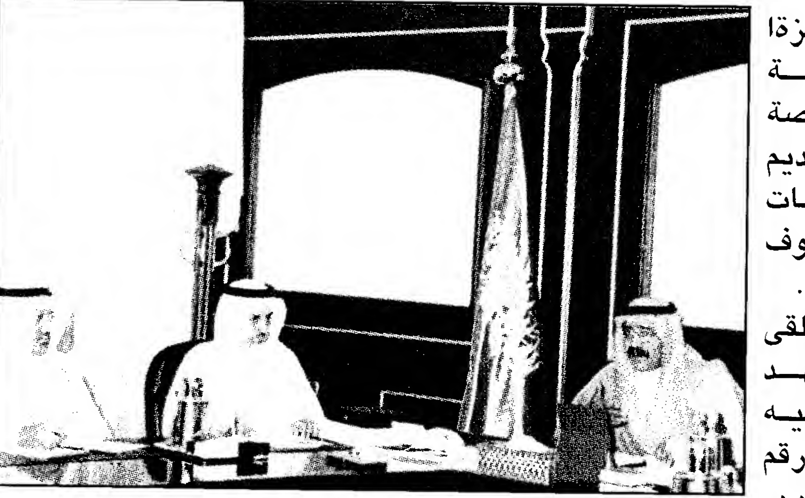
وقد غطى المعهد ضمن دراساته لهذا المشروع عدداً من المجالات ذات الصلة بخدمة الاستقبال في مطار الملك عبدالعزيز كالجوازات والجمارك وتخليص العفش وإكمال الإجراءات الإدارية لدى مكتب الوكلاء وزمن انتظار الحافلة الناقلة إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة، والزمن اللازم لتحركها كما قام بدراسة حول خدمات مؤسسات الطوافة وبعثات الحج من تأمين السكن والإشراف عليه والإرشاد والخدمات العامة من سقيا وتموين وغير ذلك إضافة إلى دراسة لتقييم الخدمات الأمنية المقدمة من الجهات ذات الإختصاص، ويطمع المعهد في هذا الموسم إلى استكمال الدراسات الخاصة ببناء مقياس لخدمة النقل وأزمنة الانتقال والخدمات المقدمة من مؤسسة الأدلاء بالمدينة المنورة والخدمات المقدمة من بعض الجهات الحكومية ذات العلاقة.

دبلوم إدارة أعمال الحج والعمرة:

بدأ المعهد في هذا العام تقديم أول دبلوم أكاديمي لإدارة أعمال الحج والعمرة يهدف إلى:

١ ـ تأهيل الكوادر البشرية الوطنية للعمل في مجال خدمة الحجاج

والمعتمرين والزوار بصفة خاصة والسياح بصفة عامة.
٢ ـ إيجاد فرص عمل للشباب السعودي في مجال مهم بعد تأهيلهم التأهيل المهني المناسب.
٣ ـ الرقي بالخدمات والتسهيلات المقدمة للحجاج والمعتمرين والزوار والسياح وتطويرها وتحسينها بواسطة الكوادر الوطنية.
وهذا البرنامج يستهدف الشباب السعودي ممن يحملون درجة الثانوية العامة ، على الأقل) لتأهيلهم تأهيلاً مهنياً وعلمياً رفيع المستوى للعمل في مجال (خدمة الحجاج والمعتمرين والزوار والسياح في التخصصات المطلوبة) ومدة الدراسة سنة دراسية (تتكون من فصلين) بنظام اليوم الكامل والتفرغ الكلي إضافة إلى تدريب عملي لمدة شهر ويمنح المتخرج من هذا البرنامج دبلوم إدارة أعمال الحج والعمرة (مع ذكر التخصص الدقيق).
والبرنامج مفتوح لجميع المواطنين المؤهلين للقبول ولا يشترط أن يكون المتقدم أحد أبناء الطوائف.
كما أنه غير ربحي ولكن تستحصل رسوم من الطلاب تغطي التكلفة الفعلية للدراسة.
وقد تم إجراء الترتيبات لاعتماد البرنامج من جهات الاختصاص والمؤسسات والشركات العاملة في هذا لمجال. ويشمل برنامج الدبلوم دورات في لغات الشعوب الإسلامية ـ كالفارسية والأوردية ـ ودورات تدريبية متخصصة في جغرافيا العالم الإسلامي ومناطق الحج والعمرة. وفقه الحج والعمرة، ونظم وقوانين الحج والعمرة، وإدارة مرافق وخدمات الحج والعمرة، وإدارة إسكان الحجاج، وإدارة تموين وتغذية الحجاج.
وهناك برنامج دبلوم في إدارة أعمال الحج والعمرة ـ خاص لأبناء الطوائف ـ يجري الإعداد له لتحديد موعده ومدته ورسومه الدراسية وشروط القبول به، كما يجري الإعداد لنظام تقديم دورات محددة Mosuls بنظام تتابعي ينتهي للحصول على الدبلوم بعد استكمال متطلباته.
التفاعل مع الأجهزة الميدانية:
يقوم المعهد كل عام بإجراء الدراسات والأبحاث ،وقد تراكمت الخبرات والدراسات حتى زادت عن ٤٠٠ دراسة خلال الأعوام الماضية، ورغبة من المعهد في إطلاع الجهات الحكومية والخاصة على نتائج أبحاثه ودراساته ومشاركتها الفعالة لتحقيق أهدافه في بحث قضايا الحج وتطوير خدماته وعلاج مشكلاته، فقد اقترح المعهد إقامة (الملتقى العلمي لأبحاث الحج) كمناسبة سنوية، ليقدم فيه الباحثون خلاصة لنتائج دراساتهم وأبحاثهم خلال الموسم المنصرم، وتدعى فيه الجهات الحكومية المعنية



والأجهزة الأهلية المختصة بتقديم الخدمات لضيوف الرحمن.

وقد تلقى المعهد التوجيه الكريم رقم ٧/ب/٠٠ ١٥ وتاريخ ١٢/٩/١٤٢١هـ بالموافقة على إقامة (الملتقى الأول لأبحاث الحج) في هذا العام - وتقرر افتتاحه - برعاية صاحب السمو الملكي أمير منطقة مكة المكرمة - في الساعة الحادية عشر والنصف من صباح السبت الموافق ١٦/١١/١٤٢١هـ وتستمر جلساته إلى نهاية اليوم التالي ١٧/١١/١٤٢١هـ.

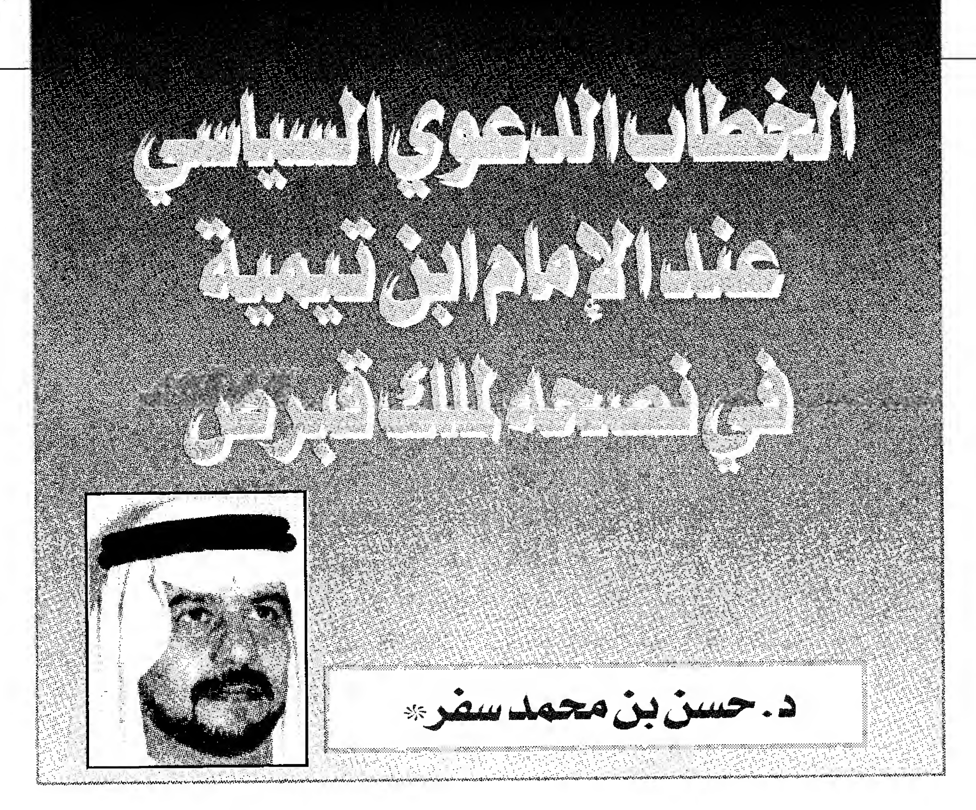
وقد تم توجيه الدعوة إلى كافة الجهات المعنية للحضور والمشاركة ويحرص المعهد على أن يكون هذا الملتقى العلمي مناسبة سنوية يحضرها كافة المعنيون بالحج وقضاياه للتطوير والمدارسة وزيادة فعالية الأداء.

توثيق الحج في العهد السعودي :

في نطاق اهتمام المعهد بإكمال السجل التاريخي للحج يقوم بالتنسيق مع دارة الملك عبدالعزيز للعناية بتوثيق الحج واهتمام الملوك الكرام بالعهد السعودي الزاهر بدءاً من عهد جلالة الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - ومروراً بأبنائه الميامين الملوك سعود وفيصل وخالد - رحمهم الله - وصولاً لعهد خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين - حفظهما الله - وستقوم الدارة بتمويل هذا العمل وتتولى مع المعهد الإشراف والتنسيق لتنفيذ مراحله المختلفة.

أخيراً فإن المعهد لا يألو جهداً في تسخير طاقاته ووضع إمكاناته لتنفيذ توجيهات ولاة الأمر - حفظهم الله - لخدمة هذا المرفق وتيسير أداء الحجاج للنسك.

(#) عميد معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج



الخطاب الدعوي السياسي عند الإمام ابن تيمية في نصحه لملك قبرص

د. حسن بن محمد سفر*

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وهادياً للناس أجمعين وعلى آله وصحبه ومن سلك نهجه إلى يوم الدين: أما بعد:

فتعتبر الدعوة إلى الله ونصرة الحق والوقوف مع الضعفاء والمغلوبين على أمرهم رسالة الأنبياء والرسل والمصلحين من العلماء العاملين وهي أيضاً مطلباً شرعياً، ونظاماً وعرفاً دولياً أقرته الشريعة الإسلامية والقوانين والأعراف الدولية.

غير أنه ينبغي في نشر الدعوة والتعريف بالظلم والتنديد بالظالمين سلوك طرائق متعددة ومناهج مختلفة حسب مقتضى الحال ـ قال العلامة العماد ابن كثير عمدة المفسرين (٧٧٤هـ) في قوله تعالى ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ أي كلموهم طيبا ولينوا لهم جانبا، كما قال الإمام الحسن البصري أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح وهو كل خلق حسن رضيه الله(١) وقد أمر الله هذه الأمة بنظير ذلك.

ولئن سارت الأساليب في هذا أمداً طويلا على وتيرة واحدة في أوقات وأزمنة مختلفة فإن متغيرات العصور وتقلبات الدهور واختلاف الظروف لتتطلب تنوعاً في الخطاب الدعوي يمثل ذلك ما تناوله المنهج القرآني والسنة النبوية الشريفة في الحث على ذلك.

ولاشك أن الانفتاح على الناس في عالم تتنوع فيه الأساليب الإعلامية والوسائل

الاتصالية واللقطات الفضائية أمراً ضرورياً نافعاً بناء. الأمر الذي يدعونا فيه ديننا إلى عدم الانغلاق ويحثنا فيه على التفتح على لغة العصر والمخاطبة بسلاحه وأدواته.

وإذا كان الخطاب القرآني قام على أسس من التفتح على الجمهور وحث على ذلك في قوله تعالى ﴿يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ فإن ما قام به سيد الدعاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بخطابه الدعوي للناس جميعاً ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ لدليل وحجة على تنوع أساليب الخطاب الدعوي واستغلال الوسائل التكنولوجية الحديثة والفضائيات المختلفة في إيصال الخير للناس وتوضيح الحقائق.

وإنه ليجدر بالأمة الإسلامية قادة وأمراء وساسة وعلماء وفقهاء ومفكرين أن يتخذوا من الخطاب الدعوي القائم على الموضوعية، والوسطية والعدل، والإنصاف منهج يسيرون عليه في جميع قضاياهم التي يرغبون طرحها بما يلائم النازلة ومخاطبة العقل والضمير، والحواس.

الفقه السياسي وتنوع الخطاب

ولقد ضرب لنا فقهنا السياسي الإسلامي أمثلة على هذا النهج الواعي المتفتح وذلك فيما خطته يد شيخ الإسلام الإمام الجليل ابن تيمية(١) عندما بعث برسالة سماها الفقهاء بوثيقة شيخ الإسلام وأطلق عليها فقهاء السياسة الشرعية «الرسالة القبرصية» إلى ملك قبرص سراجواس – يسأله فيها النظر والنصر والعدل في أسرى المسلمين الذين وقعوا في سجن دولته وحبسوا ظلماً وعدواناً، مطالباً إياه باطلاق سراحهم وفك أسرهم منتهزاً الفرصة بخطابه الدعوي في توضيح أمر الدين وسلامة المعتقد.

أ ـ أهمية الرسالة ومصادرها

تأتي أهمية هذه الرسالة من خلال دراستها من قبل الفقهاء والمفكرين وعلماء السياسة الشرعية فالإمام ابن القيم الجوزية ت (٦٩١)هـ التلميذ النجيب والطالب الوفي لشيخه الإمام الجليل ابن تيمية إشار إليها في رسالته القيمة أسماء مؤلفات ابن تيمية»(٢) وقد اورد اسم الرسالة القبرصية في باب الرسائل من المؤلف المذكور تحت عنوان «رسالة كتبها إلى صاحب قبرص في مصالح تتعلق بالمسلمين(٣) مبينا أن مصادرها تقوم على أسس من معالم الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية ومصادر التشريع، ومقاصد الشريعة الإسلامية.

ب ـ السبب الداعي إليها

المتأمل بالاستقراء والتفكير والتحليل في فحوى الرسالة يجد أن الداعي إليها أمران:

أولهما: تصحيح المفاهيم العقدية لمن يجهلها من الأقوام
ثانيا: الرد على كتاب ورد من قبرص يحتج لدين النصارى ومعتقداتهم(٤).
ثالثا: الإحسان إلى أسرى المسلمين وفك قيدهم وإطلاق سراحهم من قبل الملك.
جـ - خلفية وقوع الأسرى

من المعلوم أن أسباب وقوع النازلة في السبب الثالث المشار إليه سابقاً هو فقدان سيطرة المسلمين على حوض البحر الأبيض المتوسط منذ قيام الحركة الصليبية وتوافد حملاتها إلى منطقة الشرق الأوسط وتمكن الغرب المسيحي من بسط السيطرة على سواحل البحر وجزره، وتجارته، وحصر أهله،، ولقد كانت مملكة قبرص مشجعة كل من يشارك في حرب المسلمين ففتحت أبوابها ومرافئها لكل مغامر يريد أن يشارك في حرب المسلمين عسكرياً، واقتصادياً، وسياسياً.

علما بأن المسلمين لم يقفوا مكتوفي الأيدي ومقيدي الوثائق من هذا العدوان السافر الصارخ. فأعدوا العدة، وقابلوا ذلك بحملات، وغارات عديدة رداً على عدوان الظالمين وظلم المعتدين. وكان نتاج ذلك وقوع عدد من المسلمين أسرى في أيدي القبارصة الصليبيين ظلماً وعدواناً.

د - الموقف الشجاع للعالم

هنا ما كان من شيخنا الجليل الإمام ابن تيمية وهو العالم، والفقيه والمصلح، والسياسي والموجه إلا أن رفع التماساً قوياً إلى مقام ملك قبرص يسأله فيه مساعدة هؤلاء الأسرى ونجدتهم والإحسان إليهم ورفع الظلم والعدوان والتعذيب بهم وذلك لما بلغه من فطرة أخلاق هذا الملك ولطفه، ورقته، ورفقه.

والخطاب وإن كان هدفه هذا إلا أنه تضمن مرامي وأهداف وغايات أرادها الشيخ للملك خاصة وهو «تعريف بالعلم، والدين وانكشاف الحق وزوال الشبهة وعبادة الله كما يجب وكما أمر. فهذا لعمري خير له من ملك الدنيا بحذافيرها وهو الذي بعث به المسيح عليه السلام وعلمه الحوريين(٥).

نصوص من الرسالة:

بدء شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رسالته القيمة إلى ملك قبرص بقوله «من أحمد بن تيمية إلى سراجوس عظيم أهل ملته ومن تحوط به عنايته من رؤساء الدين وعظماء القسيسين، والرهبان، والأمراء، والكتاب، واتباعهم سلام على من اتبع الهدى».

ثم أبان لهذا الملك عظم المواثيق التي حض بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم نوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين مبيناً له الحكمة من خلقه للخلائق جل وعلا بقدرته وإظهار أمره ومشيئته وحكمته ورحمته فيهم.. وقال رحمه الله «وكانت بنو إسرائيل أمة قاسية عاصية تارة يعبدون الأصنام، والأوثان، وتارة يعبدون الله،

وتارة يقتلون النبيين بغير الحق، وتارة يستحلون محارم الله بأدنى الحيل. فلعنوا أولاً على لسان داود وكان من خراب بيت المقدس ما هو معروف عند أهل الملل كلهم»(٦).

وقد ذكر المفسرون في كتبهم أن المستعرض لتاريخ هذه الشرذمة من بني إسرائيل ليأخذه العجب من الفيضات التي أفاضها الله عليهم ومن الجحود المنكر المتكرر الذي قابلوا به هذا الفيض المدرار مما يدل دلالة واضحة وشهادة بينة على القسوة والاعتداء والتنكر لرسل الهداية والتوجيه فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عدداً من أنبيائهم وهي أشنع فعلة تصدر من أمة مع دعاة الحق المخلصين(٧).

ولقد حاور الشيخ هذا الملك في رسالة باسلوب يليق بمكانة الملوك وحسن مخاطبتهم مبيناً له«أن الدين الذي يتقرب العباد به إلى الله لابد أن يكون الله أمر به وشرعه على ألسنة رسله وأنبيائه.. وإلا فالبدع كلها ضلالة، وما عبدت الأوثان إلا بالبدع وكذلك إدخال الألحان في الصلوات لم يأمر بها المسيح ولا الحواريون.. وكذا فعامة أنواع العبادات والأعياد التي هم عليها لم ينزل بها الله كتاباً، ولا بعث بها رسولاً، لكن فيهم رأفة ورحمة وهذا من دين الله»(٨).

ثم إنه بتواضع العالم المحنك البصير عرض على الملك وسائل متعددة تدل على وظيفة العلماء في تبيان الحق والدعوة إلى الخير فقال رحمه الله (وأن رأيت من الملك رغبة في العلم والخير لأتيته وجاوبته عن مسائل يسألها، وقد كان خطر لي أن أجيء إلى قبرص)(٩) لمصالح في الدين والدنيا إذا رأيت من الملك ما فيه رضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عاملته بما يقتضيه عمله فإن الملك وقومه يعلمون أن الله قد أظهر من معجزات رسله عامة ومحمد صلى الله عليه وسلم خاصة ما أيد به دينه وأذل الكفار والمنافقين»(١٠).

وتناول بالشرح والتفصيل أمر الأسرى من المسلمين، وأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير فقال رحمه الله (هذا وأنت تعلم أن المسلمين لا ذنب لهم أصلاً، بل هم المحمودون على ما فعلوه فإن الذي أطبقت العقلاء على الإقرار بفضله هو دينهم حتى الفلاسفة أجمعوا على أنه لم يطرق العالم دين أفضل من هذا الدين، فقد قامت البراهين على وجوب متابعته.. فما يؤمن الملك أن هؤلاء الأسرى المظلومين ببلدته، ينتقم لهم رب العباد والبلاد كما ينتقم لغيرهم.. وأنا ما غرضي الساعة إلا مخاطبتكم بالتي هي أحسن والمعاونة على النظر في العلم واتباع الحق وفعل ما يجب، والأصل في ذلك أيها الملك أن تستعين بالله، وتسأله الهداية وتقول: اللهم أرني الحق حقاً وأعني على اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وأعني على اجتنابه، ولا تجعله مستبهماً عليَّ فاتبع الهوى، وقل اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط

مستقيم»(١١).

وختم العلامة الشيخ ابن تيمية كتابه موجها نصحه لهذا الملك لما ينفعه في دينه ودنياه قائلا (والكتاب لا يحتمل البسط أكثر من هذا، لكن أنا ما أريد للملك إلا ما ينفعه في الدنيا والآخرة وهما شيئان.

أحدهما: له خاصة وهو معرفته بالعلم والدين وانكشاف الحق وزوال الشبهة وعبادة الله كما أمر، فهذا خير له من ملك الدنيا بحذافيرها وهو الذي بعث به المسيح عليه السلام وعلمه الحواريين.

الثاني له وللمسلمين، وهو مساعدة الأسرى الذين هم في بلاده وإحسانه إليهم والأمر على رعيته بالإحسان إليهم والمعاونة للمسلمين على خلاصهم، فإن في الإساءة إليهم دركاً على الملك في دينه ودين الله تعالى وعند المسلمين، وكان المسيح أعظم الناس توصية بذلك.

كما أبان سماحته رحمه الله أنه كلما كثرت الأسرى عند الملك كان أعظم لغضب الله وغضب عباده المسلمين فكيف يمكن السكوت على أسرى المسلمين في قبرص، سيما وعامة هؤلاء قوم فقراء، وضعفاء، ليس لهم من يسعى فيهم إلا العلماء التي هي وظيفتهم إعلاء كلمة الحق وقمع الظلم ومعاونة وتبصير الحكام لما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

ثم ختم الرسالة موصياً الملك بقوله (والله يعلم أني قاصد للملك الخير لأن الله تعالى أمرنا بذلك وشرع لنا أن نريد الخير لكل أحد ونعطف على خلق الله، وندعوهم إلى الله وإلى دينه وندفع عنهم شياطين الإنس والجن، والله المسؤول أن يعين الملك على مصلحته التي هي عند الله المصلحة، وأن يخير له من الأقوال ما هو خير له عند الله ويختم له بخاتمة خير)(١٢).

الخاتمة

المتأمل في هذه الوثيقة السياسية الهامة والنصيحة المخلصة من علم من أعلام الإسلام يستوقفه أموراً منها:

أولاً: أن وظيفة العالم والفقيه النصح والإخلاص لأئمة المسلمين وولاة أمورهم والحكام في كل البلاد الإسلامية وغير الإسلامية.

ثانيا: اهتمام العالم الديني بأمور الأمة الإسلامية الخاصة والعامة.

ثالثا: التدخل بالنصح والتوجيه والإرشاد في القضايا السياسية الخارجية والداخلية للدولة الإسلامية مما يعود على رعاية الدولة المسلمة والأقليات بالخير والنفع العام وهذا قد تجلى من خلال سعي هذا الإمام العالم الجليل في إطلاق أسرى المسلمين وحرصه وعنايته بأمور الراعي والرعية.

رابعاً: بيان سعة وغزارة علم وفقه العلامة الشيخ ابن تيمية ومعرفته بعقائد الفرق والملل وخاصة النصارى وفرقهم والفرق الإسلامية.

خامساً: منح الله عز وجل لهذا العالم الجليل لملكة المجادلة بالحسنى والقيام

بالمناظرة بالحجة البالغة والدليل الساطع ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.﴾

وبعـــد:

فإن هذه الرسالة تعد من درر الفقه السياسي الإسلامي لما تميزت به من بيان رائع وأسلوب قوي، ووضوح المطلب، وحسن مخاطبة ذو المكانة العالية من سلاطين وملوك بعقل واعي، منير، وعاطفة رقيقة رحيمة تأخذ بالشدة واللين وتطوي في ثناياها شموخ المسلم وعزة الإسلام ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ وشهامة ونجدة المسلم الغيور على أمته وأهله.

فرحم الله هذه الثلة المباركة من العلماء العاملين وسلك الله بنا طريق عباده المخلصين في القول والعمل إنه نعم المولى ونعم النصير وهو حسبي ونعم الوكيل.

المراجع والمصادر:

١ ـ تفسير الإمام العماد ابن كثير دار المعرفة ـ بيروت.

٢ ـ تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي.

٣ ـ الرسالة القبرصية، عناية وتعليق علاء دمج، دار ابن حزم ١٤٠٨هـ

٤ ـ في ظلال القرآن لسيد قطب ـ دار الشروق ـ بيروت ١٤٠٢هـ

٥ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى للإمام ابن القيم ـ مطبوعات الجامعة الاسلامية ١٣٩٦هـ

٦ ـ الملل والنحل للإمام الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٥هـ

٧ ـ الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٨ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح للامام ابن تيمية ـ ١٣٩٠هـ

٩ ـ أحكام صنعة الكلام: لذي الوزارتين أبي القاسم الأشبيلي، تحقيق د.محمود رضوان الداية ـ عالم الكتب ١٤٠٥هـ

١٠ ـ كتاب المعرفة في الجدل للإمام الشيرازي، تحقيق عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي.

١١ ـ المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية: سعيد شبار ـ كتاب الأمة، قطر، العدد٧٨، رجب ١٤٢١هـ

١٢ ـ معجم ألفاظ العقيدة ـ تصنيف أبي عبدالله عامر عبدالله فالح ـ مكتبة العبيكان ١٤٢٠هـ

١٣ ـ كتاب الجدل على طريقة الفقهاء: تصنيف الإمام شيخ الإسلام أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي ـ مكتبة الثقافة الدينية قطر.

١٤ ـ ابن تيمية: حياته وعصره: للشيخ محمد أبو زهرة ـ القاهرة ١٩٥٢م.

* أستاذ نظم الحكم الإسلامي جامعة الملك عبدالعزيز


التسامح الديني
في الإسلام
«العهدة العمرية»
أو عهد الخليفة
عمر بن الخطاب.
رضي الله عنه.
لأهل بيت المقدس
د. ابراهيم بن عبدالعزيز الجميح*

يعكس عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لأهل بيت المقدس عند فتحها سنة ١٥هـ (٦٣٦م) والذي اشتهر باسم «العهدة العمرية» صورة ناصعة من صور التسامح الديني والرعاية وحسن المعاملة التي كفلها المسلمون لأهل الذمة من نصارى ويهود، وهو يعتبر مثالاً من عدة أمثلة واضحة في المصادر التاريخية على تسامح المسلمين وعدالتهم تجاه أصحاب الأرض المفتوحة من أهل الذمة وغيرهم.
وكان هذا النهج العادل الذي سار عليه المسلمون سمة وميزة - في نفس الوقت - للفتوحات الإسلامية منذ بداياتها الأولى، لقد اهتم المسلمون بالتسامح خلال فتوحاتهم وخاصة في النواحي الدينية، فكفلوا لأهل البلاد المفتوحة حرية عامة في إقامة شعائرهم الدينية، وقد ساعد هذا النهج الذي سار عليه المسلمون على فتح العديد من البلدان والأقاليم صلحاً وبدون حرب.
وتشير المصادر التاريخية أن المسلمين كانوا يعرضون أولاً الإسلام على أهل البلاد قبل قتالهم فإن أسلموا كان لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات مثل ما للمسلمين، فإن أبوا عرضوا على أهل الكتاب منهم الصلح مقابل دفع الجزية، فإن أجابوا على ذلك عصموا أموالهم ودماءهم، وكان لهم سائر حقوقهم الدينية.
ويظهر تسامح المسلمين هذا الذي ساروا عليه خلال فتوحاتهم، بأوضح صوره خلال فتح بلاد الشام ومدنه وخاصة بيت المقدس، فكانت سمعة المسلمين المتسامحة تسبقهم أثناء فتوحاتهم فأقبل أهالي مدن بلاد الشام كدمشق وحمص على الصلح مع المسلمين وعقدوا معهم معاهدات أصبحوا بمقتضاها تابعين للمسلمين سياسياً وخضعوا للجزية فكفلت لهم حريتهم الدينية.
وسار أهالي بيت المقدس على نفس النهج الذي سار عليه أهالي بلاد الشام المفتوحة، فطلبوا من قادة الفتح الإسلامي أن يصالحوهم على صلح أهل مدن الشام، وأن يكون المتولي للعقد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فكتب قادة الفتح للخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو في المدينة المنورة، فلم يتردد بل سار من المدينة المنورة إلى الجابية من أعمال دمشق وهناك عقد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - معاهدة صلح مع أهالي بيت المقدس حيث سلم بطريق بيت المقدس على إثر هذه المعاهدة مدينة القدس للخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بشروط من المسلمين

وصلحاً وبدون قتال.

وقد اشتهرت هذه المعاهدة «بالعهدة العمرية» لما فيها من تسامح ووفاء وحرية دينية لأهل بيت المقدس، وورد نص هذه المعاهدة عند العديد من المؤرخين كاليعقوبي (ت٢٨٤هـ) والطبري (ت٣١٠هـ) وابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ولكن مع اختلافات بسيطة في المحتوى.

يورد اليعقوبي في تاريخه نص المعاهدة مختصراً وهو كالتالي: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس، إنكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم لا تسكن ولا تخرب إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً» وأشهد شهوداً. (العيقوبي، اريخ، جـ٢، ص١٤٧).

أما الطبري في تاريخه، فقد أورد نص المعاهدة مطولاً، ولكنها لا تختلف كثيراً عن فحوى نص اليعقوبي وخاصة في مبدأ التسامح الديني تجاه المسيحيين من أهل الذمة. يروي الطبري نص المعاهدة كالتالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا (بيت المقدس) من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص)، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغ مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله من الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبدالرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة» (الطبراني) تاريخ الرسل والملوك، جـ٣، ص٦٠٩.

وبالإضافة إلى اليعقوبي والطبري وردت المعاهدة عند ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في كتابه (فضائل القدس) حيث يروي كتاباً كتبه الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لأهل بيت المقدس وهذا نصه: «إني قد أمنتكم على دمائكم وأموالكم وذراريكم وصلاتكم وبيعكم ولا تكلفوا فوق طاقتكم ومن أراد منكم أن يحق لأمنه فله الأمان، وأن عليكم الخراج كما على مدائن فلسطين. شهد عبدالرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب وخالد بن الوليد ومعاوية) (ابن الجوزي، فضائل القدس، ص١٢٢).

ويلاحظ من نصوص «»العهدة العمرية» التي أوردها اليعقوبي والطبري وابن الجوزي وغيرهم من المؤرخين، إنها تتفق على مبدأ عظيم آمن به المسلمون وطبقوه في فتوحاتهم عامة، وفتح بيت المقدس خاصة ألا وهو مبدأ التسامح تجاه أهل الذمة، ذلك التسامح الذي تمثل في رعاية الأنفس والحرمات والأموال وأماكن العبادة.

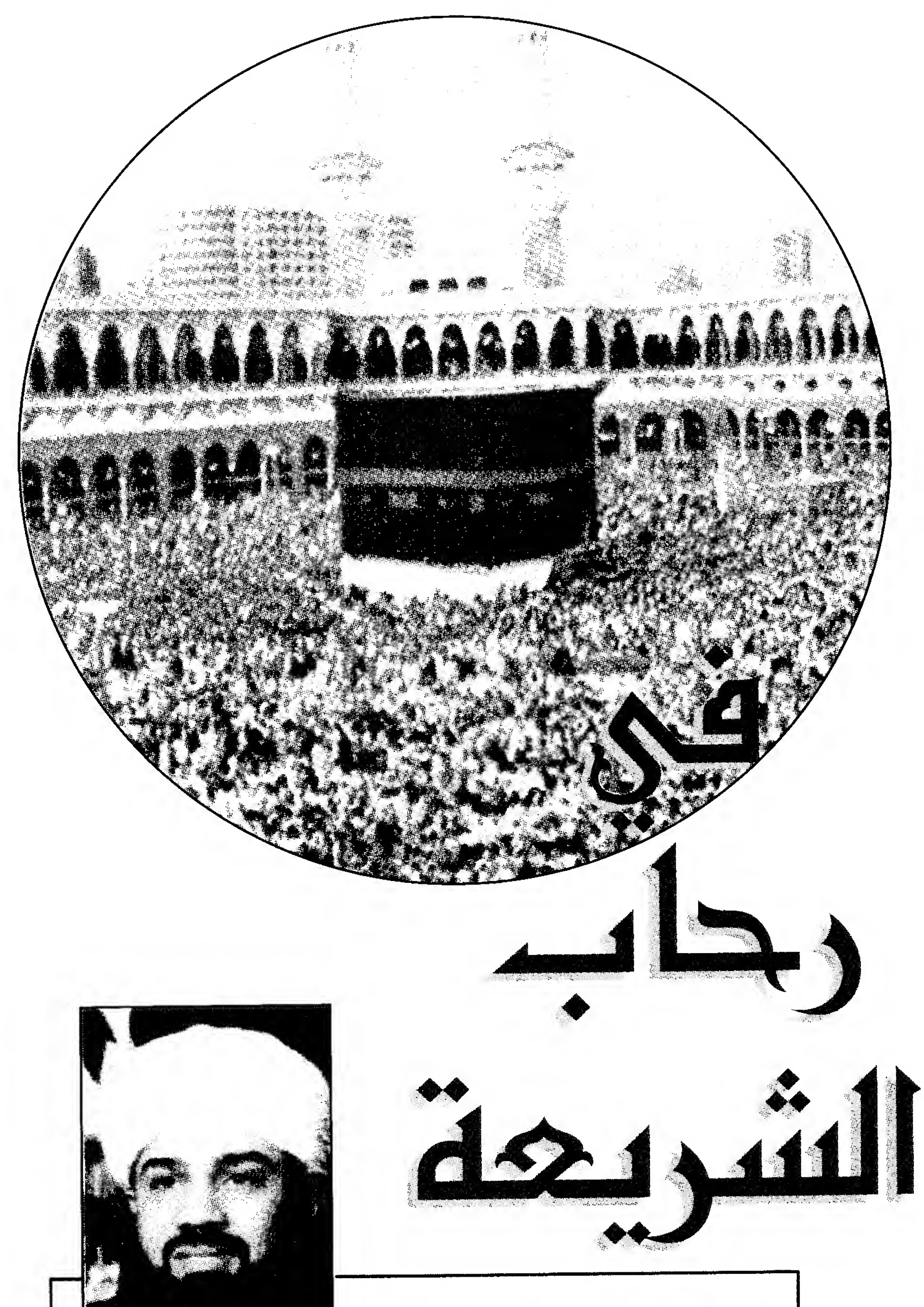
كما تدل «العهدة العمرية» من جهة أخرى على مكانة بيت المقدس وحرمتها عند المسلمين، ولا غرابة في ذلك فبيت المقدس معناه بيت الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو المكان المطهر من الذنوب، وذلك إنه مشتق من القدس وهي الطهارة والبركة، وهو سكن الأنبياء، وفضائل بيت المقدس كثيرة (ياقوت، معجم البلدان، جـ٥، ص ص١٦٦ ـ ١٦٧).

كما ارتبطت القدس ـ عند المسلمين ـ بالعقيدة الإسلامية بمعجزة الإسراء والمعراج.. وهي أولى القبلتين وثالث الحرمين.

وأخيراً، فإن في إحياء «العهدة العمرية» إبراز لصورة من صور التسامح الإسلامي.. وهنا يكفي فقط أن نقارن بين تلك «العهدة العمرية» وما فيها من قيم التسامح والرعاية والوفاء وكفالة الحريات والأموال وأماكن العبادة، وبين وضع فلسطين عامة وبيت المقدس خاصة الآن، وما يعانيه أهل بيت المقدس من قبل عصابات محتلة صهيونية يتمثل فيها التعصب والطغيان والتعدي على الأنفس والأموال والممتلكات وأماكن العبادة.

---

* استاذ مشارك - قسم التاريخ ـ كلية الآداب جامعة الملك عبدالعزيز



في رحاب الشريعة

بقلم: السيد عبدالله بن محمد بن حسن فدعق*

لعل جهل بعض المسلمين بدينهم وتجاهل غير المسلمين لدين الإسلام أدى إلى غمط حق هذا الدين الخالد وتزييف صورته، والإسلام من كل هؤلاء بريء.

إن هذا التشويه الذي نسمعه عن الإسلام مختلف في أشكاله.

وهناك من يقول إن الإسلام إشهار للإرهاب وإغراق في التزمت وفتح للأصولية، وأنه لم يكن في يوم من الأيام مركز إشعاع لأية حضارة في العالم.

وهناك من يضيف قائلاً إنه دين تقليدي راكد مع أن الواقع القديم والجديد نطق وينطق بالإسلام فخراً وتيهاً، وأنه الموئل الذي يشعر فيه المسلم وغيره بالوئام والتسامح والتلاقح الحضاري، وأنه الدين المتجدد الصالح على الدوام لكل المتغيرات، وأن محور الحياة العامة والخاصة قديماً وحديثاً لابد أن تدور عليه.

ومن الطبيعي أن أي جيل انصرمت أيامه يرى في جيل اليوم الكثير من الأمور التي يعجب منها وقد يحزن لعمل الكثير من هذا الجيل لها وربما ينكرها، ولن أضع نفسي في مقام المدافع عن الإسلام، مع اعتقادي التام أن دين الإسلام هو الخيار الأصوب.

إن الإسلام دواء نافع في كل الأحوال ضد أي جمود فكري، ففيه العلاج الحاسم للمشاكل المعاصرة، لأنه الدين المرن القادر على مواجهة كل جديد وتقبله مادام نافعاً صالحاً.

وفي تراثنا الإسلامي العديد من الأسس التي تكفل لنا حلولاً عملية دقيقة لما عجزت عنه الأنظمة اللا إسلامية.. وهذا لن تتأتى معرفته إلا بالبحث عن دقائقه ساعات طوال، ومن المؤكد أن الكتابة عنه ليست بالأمر اليسير خصوصاً وأن مشارب القوم مختلفة فهناك العامي وهناك المثقف وهناك العالم، ولكل منهم لغته الخاصة، ومشربه الخاص للفهم، ولعلي استطيع إيصال مايدور في ذهني لأصل إلى ما يطمئن إليه قلبي.

إن كل الشرائع التي جاءت قبل الإسلام انحصرت أدوارها في هداية الإنسان والارتقاء به كبشر سوي اعتدت بالبناء الروحي والأخلاقي للأفراد ولم تبحث في السياسة أو الاقتصاد مثلاً نعم وردت في الديانة اليهودية بعض الأحكام التشريعية القليلة التي تتناول هذا الإنسان كفرد في أسرته، بيد أن الإسلام جاء كاملاً للدنيا والآخرة فاعتنى بالجسم عنايته بالروح، وخاطب الفرد ليعبد ربه، وفي نفس الوقت ليكون فاعلاً في مجتمعه، فرض على الحاكم حدوداً، وأعطى للمحكوم حقوقاً، جاء بالمعاملات كما جاء بالعبادات، هذه المعاملات التي تعتبر بحق التشريع الصالح للأفراد والمجتمعات مسلمة كانت أم غير مسلمة.

وأعود للوراء قليلاً لأتكلم عن اليهودية، فأقول إن أبناءها انكفئوا على ذاتهم تعصباً فأصابهم الحقد على غيرهم ممن سموهم بالأميين أو الأمميين واعتبروا أنفسهم شعب الله المختار، مما دعا غيرهم إلى الريبة فيهم، حتى فقدوا كل شيء إلا النزعة العنصرية.

أما المسيحية التي انتشرت بفعل سلطان الدولة الرومانية فقد حملت من قوانين الرومان وفلسفتهم في تأليه الحاكم وطبيعة المجتمع أكثر مما ورثته من تعاليم السيد المسيح، فكانت سلطة كنسية رهيبة حاربت العلم والتجديد مما وضعها مقابل دعاة النهضة والإصلاح فأورثتهم علمانية مقيتة فصلت بين الدين والمجتمع وبين الكنيسة والدولة. وما أن جاءت الشيوعية المنكرة لوجود الله حتى بدأت معركة عنيفة ضد الكنيسة بغرض تصفيتها ومعركة أعنف ضد الإسلام. وقد ساهم توقف حركة الاجتهاد فيه - كما ذكر ابن أمير الحاج في التقرير والتحبير - إلى تقييده، وتسرب ما أدى إلى جموده إزاء ما يستجد من أحوال كالتأمين والبنوك وغيرها، التي نبني أحكامنا فيها على مبادىء مستوردة من الغرب، وهكذا استمر الأمر إلى أن رفع الكمل من العقلاء مجدداً راية مفادها أن الإسلام هو النظام الإيديولوجي الأمثل الذي كان ومازال يمثل الإجابة الشافية لحاجات الإنسان، فبإمكان العالم أن يستغني بالإسلام عن غيره من الملل والنحل كالاشتراكية مثلا التي كان في سياقها التاريخي رداً على المظالم الغربية التي أنتجت الاستعمار وغيره.. فالإسلام لديه كافة الإمكانات ليكون نظاماً دولياً متميزاً لما يحمله من قيم العدالة والمساواة، ومن العدل أن نذكر أننا كمسلمين كنا سبباً في التراجع بالإسلام يوم اعتمد التقليد فقهاً واكتفاء بالمذاهب المشهورة وأصحابها، ولأن بعض خلفاء بني أمية وبني العباس حاربوا - بقصد وبغير

قصد ـ الحرية الفكرية بسلاح الدين الذي ظنوه كبتاً للحرية فأودعوا الإمام أحمد بن حنبل والشيخ ابن تيمية السجون ـ ومن أحب الاستزادة فليقرأ تاريخ بغداد للخطيب والعقود لابن عبدالهادي ـ ونستطيع أن نتلمس ـ بحمد الله ـ ملامحاً لوعي إسلامي طالما انتظرناه ـ حتى من غير إبناء جلدتنا ـ فبداية ظهر المجددون أمثال ابن تيمية وابن القيم ـ كما ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة ـ ثم محمد بن عبدالوهاب وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والسيد عبدالله بن علوي الحداد وغيرهم، ولكن ذلك الظهور كان في عصر غير عصرنا الحالي، واليوم يتأكد لنا أن الدعوة لابد وأن تكون قائمة لتحقيق أكبر قدر من التضامن وذلك للاستنباط والتقنين بطريق الاجتهاد أو التجديد.

إن مكامن الاستنباط موجودة، لدينا القرآن والسنة والإجماع والقياس والاستحسان والاستصحاب والمصالح المرسلة، كما عد ذلك ابن القيم في أعلام الموقعين، والأحكام قد تختلف وقد تتعارض باختلاف الآراء، وبمرور الزمن قد تصبح غير متلائمة مع متطلبات العصر لاختلاف بيئة اليوم عن بيئة الحكم التي ظهرت فيه.

والشريعة حتى بأوسع مدلول لها لا يتصور أنها أوردت حلولاً للمشاكل التي نتعرض لها حالياً كالأنظمة الإدارية الحديثة، ولكنها حتماً لم تغفل المبادىء الرئيسية والتي يمكن أن نعتبرها أساساً للحلول أو وسائل للاستنباط، ولا نقول إن لنا اختياراً في تطبيق ما ورد في الكتاب والسنة أو الاجماع، فنحن ملزمون بذلك كله وإنما نقول إن لنا حق الخيار في أن نختار من جميع المذاهب دون استثناء ما هو ملائم لحياتنا، وغني عن القول إنه حتى في داخل المذهب الواحد نجد اختلافاً كبيراً، وهناك قاعدة شرعية تنص على أنه (لاينكر على مختلف فيه ولكن على مجمع عليه). إذن الخيار مفتوح لاختيار ما يناسب الحاجة ويطابق المصلحة شريطة عدم التعارض مع الكتاب أو السنة أو الاجماع، والشريعة كالمخلوق ينمو ويتجدد ويتكيف.

فالبيئة مثلاً عامل مهم يؤثر ويغير القاعدة تقول (لاينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان) كما ذكرها صاحب أصول الشاش، والإمام الشافعي غير كثيراً من آرائه عندما رحل من بغداد إلى مصر لاختلاف بيئته الجديدة. أما (القياس) الذي قدمنا ذكره فهو من أهم وسائل التشريع، والله سبحانه وتعالى شرعه لنا لحكم وغايات معينة فالخمر محرمة لتأثيرها على العقل وقد ورد فيها نص ولكننا بالقياس أدخلنا المخدرات لأنها تؤدي إلى نفس النتيجة، وفي نفس الوقت لا ننسى القاعدة المشهورة (ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس) أي أن الاستنباط يكون حسب المصلحة العامة كما ذكره صاحب المبسوط الإمام السرخسي وذكره الكاشاني في بدائع الصنائع. وهذا ما اهتم به ساداتنا المالكية وأسسوا عليه نظريتهم المعروفة (المصالح المرسلة) ومن أراد المزيد فليرجع إلى الإمام الشاطبي في الاعتصام.

هذه المصلحة العامة احتلت مقاماً بارزاً ولابد أن تبحث عنها (فالشريعة عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها) كما قال ابن القيم في الأعلام وخلص رحمه الله إلى أنه (أينما يكون العدل فثمة شرع الله). نعم لقد نفى ساداتنا الشافعية فكرة أن المصلحة العامة مصدر من مصادر التشريع، ولكنهم في نفس الوقت طبقوها ولكن بأساليب مختلفة، فالإمام الغزالي وهو شافعي المذهب قال في المنخول المستصفى (إن المصلحة هي المحافظة على مقصود الشرع الذي يحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال) فوسع الدائرة رغم أنه كان يريد تضييقها.

إن المصلحة العامة أساس للتعديل بل وحتى للإلغاء فهذا سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ غير حكم الثلاث طلقات دفعة واحدة، فبعد أن كانت تحسب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصدراً من عهده بواحدة جعلها ثلاثة لاستهانة الرجال بها وحسبها بينونة كبرى وخالف ما يفهم من قوله تعالى ﴿الطلاق مرتان﴾ فهذه مسألة والأخرى عقاب الزاني ثبت بالقرآن أن غير المحصن يجلد وأضافت السنة تغريبه عاماً ولكنه ألغي التغريب حينما نفى ربيعة بن أمية بن خلف وذلك

لالتحاقه بالروم، وأمر ثالث منعه إعطاء المؤلفة قلوبهم من الصدقات، وقال (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقد أعز الله الاسلام وأغنى عنهم وبيننا وبينهم السيف) - ما ذكره الشوكاني في نيل الأوطار والسيوطي في الدر المنثور - وحادثة رابعة منعه رضي الله عنه الزواج بالكتابيات خشية الإعراض عن المسلمات رغم إباحة ذلك في القرآن، وقد ذكر ذلك الإمام النووي في المجموع، وقصة خامسة له رضي الله عنه وهي رفع عقوبة قطع يد السارق الواردة في القرآن عندما عمت المجاعة في عام الرمادة، وأخرى سادسة وهي نهيه عن بيع أم الولد وهي الأمة التي أنجبت من سيدها وقوله لقد خالطت دماؤنا دماءهن رغم إباحة ذلك كما ذكره ابن رشد في بداية المجتهد وابن القيم في الأعلام، وحكاية سابعة وهي زيادته رضي الله عنه في حد شارب الخمر من أربعين جلدة إلى الضعف - ثمانين جلدة - تنكيلاً وزجراً، واعتبر سيدنا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - هذه الزيادة وعدمها سنة، وأجمع الصحابة رضوان الله عليهم على هذه الزيادة، وزاد سيدنا علي بأن قال لسيدنا عمر يا أمير المؤمنين من شرب الخمر فقد هذى ومن هذى فقد قذف وعقوبة القاذف في كتاب الله ثمانين جلدة، وثامنة أختتم بها وهي جعله رضي الله عنه الدية على الديوان وليست على العاقلة أي القبيلة كما ذكر ذلك ابن حجر في الفتح، ولقى هذا التحويل للدية معارضة عند الشافعية.

وهذه المسائل مجرد نماذج لرجاحة عقل سيدنا عمر وتخطيطه لتأسيس دولة الإسلام. وقد تبعه غيره فسيدنا عمر بن العزيز حرم على الولاة أخذ الهدية وجعل حكمها حكم الرشوة وجعل دية الذمي نصف دية المسلم، وقد كانت إلى قبل عهده مماثلة له كما ذكره صاحب الاعتصام.

ولقد أجاز ساداتنا المالكية أن ينال المسلم من الحرام سداً للحاجة لا للترف والتنعيم، وذلك متى انتشر الحرام وانسدت المكاسب منعاً من تعطيل الأحوال والأعمال، وأباح ساداتنا الحنابلة التسعير إذا امتنع التاجر عن بيع السلعة إلا بزيادة على المعروف ويلزم بالبيع بقيمة المثل مع أن الحديث نهى عن التسعير، نعم هناك من تطرف في الأخذ بفكرة المصلحة العامة مثل الطوفي الحنبلي - أو الشيعي على رأي آخر - إذ قدمها حتى على القرآن أو السنة وله في ذلك كلام طويل في رسالته (المنار) ودلل على ذلك بحديث (لاضرر ولا ضرار) ولم يذكر مثالاً على ما ذكر، وهذا فيه ما فيه من خطورة بالغة لأننا لا نتصور معارضة المصلحة للكتاب والسنة هكذا بالإطلاق. وهناك من اعتدل - كما ذكرنا - كالإمام مالك الذي قاد الأخذ بالمصالح لو عارضتها نصوص ظنية أو كانت ضعيفة السند، وعارضه في هذا الأمر الشافعية - كما بينا سابقا - ذكر ذلك الشاطبي في الاعتصام، والإمام مالك قيد نفسه في هذه المسألة بتلقي العقول للمصلحة بالقبول، وأن يكون في الأخذ بها رفع للحرج، وأن تلائم مقاصد الشرع كما ذكره الغزالي في المستصفى، ومن ذلك يفهم أن الإمام مالك - رحمه الله - لم يبعد عن حظيرة الشرع وإنما تعمق فيها.

وأما ساداتنا الحنابلة فمنهم من أخذ بمذهب الشافعية في هذه المسألة، ومنهم من نحى منحى المالكية كابن تيمية وتلميذه ابن القيم والتي حفلت آراؤهما بالكثير من المصالح، يضيقون أحياناً ويوسعون أحياناً أخرى ومن الأمثلة التي يرويها ابن القيم في الأعلام أن ابن تيمية مر على قوم من التتار يشربون الخمر فأنكر من معه عليهم ولم ينكر هو لأنها أي الخمر تمنع بعمومها عن ذكر الله وعن الصلاة، وتمنع التتار في حالهم ذلك عن القتل والسبي.

وساداتنا الأحناف - كما مر بنا - توسطوا بين الشافعية والمالكية فأخذوا بما سموه (الاستحسان) والذي يعتبر التطبيق غير المباشر (للمصلحة) مع عدم إقرارهم صراحة لها.

ونأتي إلى العرف كعامل آخر مهم للتغيير، فالإمام أبو يوسف الحنفي أشهر قضاة بغداد جوّز ترك النص وإتباع العادة فاعتبر مثلا الشعير مكيلاً لا موزوناً وسار في ذلك حسب العرف، والإمام القرافي المالكي قال بتغير الحكم عند تغير العادة، وفي هذا الصدد لابد أن نتذكر القاعدة الأصولية الشهيرة (إن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدما) وفسرت العلة بأنها ما تنضبط أي هي المعيار المادي الموضوعي، أما الحكمة فقد فسرت بالسبب ولايمكن

ضبطها وهي المعيار الشخصي، فالمسافر في رمضان يباح له الفطر إذا بنينا ذلك على العلة وهي السفر، ومن يسافر سفراً لا مشقة فيه لا يباح له الفطر، ونكون في حكمنا هذا قد بنينا الأمر على الحكمة وهي رفع المشقة، وهذه القاعدة مطبقة على العبادات.

أما في المعاملات فالحكم يدور مع الحكمة، وهذا التغيير نجده حتى في صورة بعيدة عن التخيل ذكرها بعض فقهاء الأحناف وهي إن أمر الحاكم الناس بصيام يوم ما، من غير أيام رمضان لتنظيم مسألة معينة كالاستعداد لصلاة الاستسقاء مثلا صار واجباً ديانة مثله مثل صيام يوم من أيام رمضان.

واستفدت كثيراً من كتاب (الشريعة الخالدة) للشيخ أحمد زكي يماني، ومما جاء فيه أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي أرسى لنا هذه القواعد، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه قوله صلوات الله عليه (إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر) وقوله عليه الصلاة والسلام (أنتم أعلم بأمر دنياكم) وهذا يبين لنا الفرق بين العبادات والمعاملات، ويسلط لنا الضوء على الجوانب المتعددة لشخصية سيد البشر صلى الله عليه وسلم كمتلقٍ للوحي من ربه سبحانه وكرئيس للدولة وكقاض وكمجتهد.

إن الشريعة الإسلامية قادرة على التحرك في أي وقت وطبيعتها استقلالية تستطيع حماية نفسها من أي طوفان أو طغيان باعتمادها ما رأينا وبشكل واضح على المصلحة كمصدر من مصادر التشريع، ولابد أن تنهض هممنا وتتوحد غاياتنا، وينبغي أن يتفرغ علماؤنا في جلسات تخصص للبحث في مواضيع تهمنا في هذا العصر مثل موضوع دور الفرد ودور الجماعة في التشريع الإسلامي، وما يلزم عنه من واجبات وخصائص وبما يشتمل عليه من حقوق وواجبات لكل منهما، والملكية الفردية ووظيفتها الاجتماعية وفكرة الحق والواجب، ووجوب تقدم الواجب على الحق. وموضوع التوازن بين الحقوق السياسية والحقوق المعاشية، وما تتضمنه من كفالة للحرية بكافة أشكالها كحرية الرأي وحكمها الواجب في الإسلام، والحرية الشخصية، وحرية التعليم وغير ذلك، وما يشتمل عليه هذا التوازن من ضمان اجتماعي وكيفية تمويله.

وموضوع حقوق الإنسان في الإسلام وما يتضمنه من مبادىء إسلامية متعددة كالشورى والمساواة بين الحاكم والمحكوم ومسؤولية كل واحد منهما ومعاملتهما كمحكومين بشريعة واحدة، والتكافل والعدالة ومقارنة ذلك بالمبادىء الحديثة.

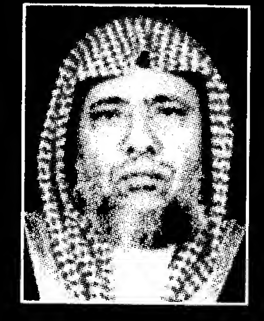
وموضوع حق المرأة في الإسلام وشهادتها وولايتها وحقها في الميراث وتعليمها وعملها وحياتها الاجتماعية بشكل عام، وموضوع الشبه والاختلاف بين الإسلام والديمقراطية من خلال المواطنة الحقة، وموضوع الدور الحقيقي للمسجد في الإسلام وأنه مكان العبادة ومجلس الشورى (البرلمان) ومنارة العلم. وموضوع كيفية النهوض بواقع المسلمين وتخريب المخططات الرامية لإخراج الإسلام من العصر، وتحرير إخواننا المسلمين من الضعف والذل الذي أصابهم في مشارق الأرض ومغاربها - رغم كثرتنا - حتى يعود المسلمون لسابق عهدهم من القوة والمنعة. وموضوع المال والاقتصاد الإسلامي بشكل عام. وموضوع اختلاف المطالع وولادة الأهلة. وموضوع التلوث النفسي وما يصاحبه من جشع وتقديم لمصلحة النفس على الغير وكبح شهواتها، وموضوع العولمة وما تتضمنه من نظام دولي جديد ومستقبل اقتصادي مختلف ربما خسرناه بجهلنا وربما نخسره بإرادتنا وعدم توحدنا، وكيف نصحح أخطاءنا وكيف تربح رؤوس أموالنا، وموضوع وسائل الاتصال الحديثة من شبكات عنكبوتية وبريد الكتروني وتوظيفها في خدمة الشريعة. وموضوع التشدد والتزمت الذي أصاب البعض منا وكيف أن الدين يسر سهل، وغير ذلك من مواضيع يفرضها علينا واقع اليوم، ونحن بدورنا سنسمع لعلمائنا ومجامعهم وما نسمعه منهم سوف نعقله وما عقلناه سوف نطبقه.

---

*كاتب سعودي



رحمك الله أيها الشيخ الجليل



بقلم فضيلة الشيخ/ أحمد المبارك الحريبي*

الحمد لله لا معقب لحكمه ولا راد لما قضاه سبحانك يارب أنت أحكم الحاكمين ورب العالمين أنت الحي وكل من على هذه الدنيا زائل وفان ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وسيد الناس أجمعين والقائل «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

أما بعد فإن العلماء في الأرض هم مصابيح الدجى تستنير بهم الأمة في أمور دينها وقد جعهلم النبي صلى الله عليه وسلم مثل النجوم فقال «العلماء

في الأرض كالنجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر. وهم ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا درهما ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر فهم -أي العلماء- يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون إلى الخير بحسن الاستقامة وحكمة التعليم وقد رفعهم الله وأعلى شأنهم فقال سبحانه ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾.

وقال سبحانه ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾.

وقال سبحانه أيضاً ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

وفضل العالم على الجاهل كفضل البدر على سائر الكواكب.

وأرشدنا القرآن الكريم أيضاً إلى أن العلم أساس كل عمل صالح وقد أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالعلم قبل القول والعمل قال تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾.

وأن من أعظم المصائب على الأمة الإسلامية موت علمائها وخاصة الربانيون منهم الذين تستنير بهم الأمة في الطريق إلى الله فالأمة أي أمة كانت بدون علماء يبينون الحلال من الحرام والحق من الباطل يعيشون في ظلام دامس وجهل مطبق وذهاب العلماء بموتهم يدل على ذلك وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم بذلك فقد روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا».

لهذا عندما نقرأ قول الله عز وجل ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾ الشهادة هنا بالوحدانية تدل على أهمية فضل العلم وأهله من الناس وهي هنا أيضاً توضح لنا منزلة أهل العلم عند الله سبحانه وتعالى وتشريفه للعلماء على أساس أنهم من خير خلق الله، يقول سبحانه وتعالى ﴿هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعلمون﴾ فالعلم حياة ونور وإنما يتطلع الإنسان إليه من الخير إنما سببه كله العلم فإن العلم هو النور الكاشف لكل الحقائق والخفايا ﴿أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا

له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾.

وفي يوم الأربعاء الموافق ١٥/ ١٠/ ١٤٢١هـ فقدت الأمة لا أقول الأمة في المملكة العربية السعودية فحسب بل الأمة الإسلامية قاطبة علماً من أعلام الدعوة الإسلامية معروفاً بالدعوة إلى الله عز وجل وإلى العمل بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - محباً للخير ومشجعاً عليه معروفا بغيرته على حرمات الله والجهر بالحق، أنموذجاً حياً لتواضع العلماء ومعروفاً بحضوره الدائم واهتمامه بالعلم وأهله يقنع محدثه بالحجة الواضحة والأدلة المقنعة حتى وإن اختلفت معه لا يتعصب لرأيه بل على العكس يسمع ما لدى الآخرين. اختلفت معه رحمه الله في مسألتين شرحت له وجهة نظري فيهما كان يصغي إلي بكل اهتمام وعناية لكل ما أقول شعرت بعدها بالمحبة الخالصة لله وفي الله أهدى إليَّ بعضاً من كتبه رحمه الله فافدت منها وخاصة كتابه الممتع الذي أعود إليه في بعض المسائل التي تحتاج إلى البحث وأنا أُدرس زاد المستقنع في جامع الكويتي بمكة المكرمة الذي أقوم بالإمامة والخطابة فيه والدرس من الفجر إلى الإشراق.

تلاحظ وأنت تقرأ له دقة في الفهم وعمق في الفقه والقدرة على بيان ضوابط المسائل يروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال فقيه واحد أشد على الشيطان من الف عابد والعلماء هم أعداء الشياطين لأنهم يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتقمع بهم البدع أئمة أحياء بعلمهم حتى وإن كانوا تحت التراب ويحضرني في هذا المقام ما ذكره حبر هذه الأمة الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عند قول الله تعالى ﴿أفلا يرون إنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾ قال في احدى الروايات عنه: خراب الأرض ونقص أطرافها بموت علمائها وفقهاؤها وأهل الخير فيها وكذا قال مجاهد هو موت العلماء وحقاً لقد صدق الحسن البصري رحمه الله عندما قال (موت العلماء ثلمة لايسدها شيء ما اختلف الليل والنهار) لقد كان رحمه الله متواضعاً ورعاً وزاهداً في هذه الحياة وما فيها من زخارف وبهجة مدرسة

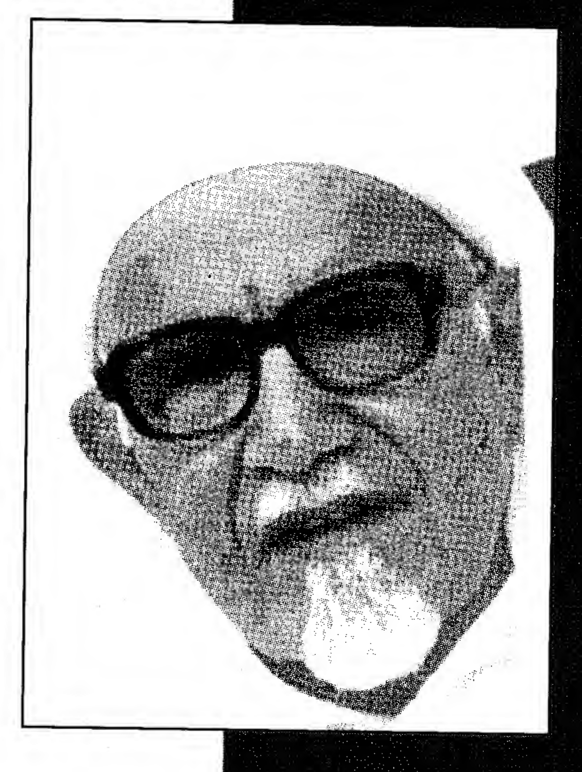
لاتباعه في السلوك والأخلاق والمروءة محباً للناس على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم لذلك احبوه واجمعوا على ذلك.

ففي يوم الخميس توجهت إلى الحرم الشريف لأداء الصلاة مع المصلين لم أتمكن من كثرة الزحام فتوجهت رأساً إلى مقبرة العدل بعد أن صليت العصر في إحدى المساجد القريبة من المقبرة وهو مسجد سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ومرت بي طيف من الذكريات مع هذين العالمين الجليلين الذين اسعدني الله عز وجل بملازمتهما سنين طويلة وأنا إمثل وزارة الحج والأوقاف سابقاً ووزارة الحج حالياً كعضو في هيئة التوعية الإسلامية.. وهناك في المقبرة وجدت الجموع الغفيرة قد امتلأت بهم الساحات المحيطة بالمقبرة من بينهم سمو الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز أمير منطقة القصيم وكثير من هذه الجموع لم تتمكن من الصلاة عليه رحمه الله فطلبت من سموه الكريم أن يسمح لنا بالصلاة عليه فأميت الذين لم يتمكنوا من الصلاة عليه في الحرم اسمع بكاء المصلين من خلفي ودعواتهم له بالرحمة والغفران. لم يكن رحمه الله الوحيد من أهل العلم الذين غادرونا في هذا العام والذي قبله فقد فقدت الأمة الإسلامية كثيراً من أبرز علماءها وفقهائها وتلك مصيبة عظمى لا تملك حيالها إلا أن نقول كما قال الصابرون (إنا لله وإنا إليه راجعون) لقد ابتلى رحمه الله بمرض فترة كبيرة كان فيها من الصابرين وهذا بحق مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» رحمك الله يا شيخنا الجليل.

عزائي لقائد هذه الأمة مكرم العلماء ومحبهم خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني وأصحاب السمو الأمراء الكرام والعلماء الأعلام والأمة الإسلامية قاطبة سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته وأن يكتب ما قدمه من علم وفتيا في موازين حسناته وأن يجزيه أفضل الجزاء وأن يجمعنا به في دار كرامته إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

* مستشار وزير الحج



رحيل علامة الجزيرة وعاشق أرضها «الشيخ حمد الجاسر»



كتبه:
الشريف عصام ابن ناهض بن محسن الهجاري*

كثيرة هي المصائب، ومتكررة ولكنها تتفاوت في حجم وقوعها وأثرها.

ولكن ماذا عسى المرء أن يفعل مع ما كتبه الحكيم عز وجل وقدره.

في السادس عشر من شهر جماد الثاني سنة إحدى وعشرين واربعمائة وألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فجعت الساحة الأدبية والعلمية، بمصاب جلل، وحدث خطب تمثل في فقد علامة الجزيرة وجغرافيها وأديبها الشيخ حمد الجاسر.

رحل أستاذ الجيل، وأحد رواد الفكر والأدب في بلاد العرب ولم يغادر هذا العلامة الكبير، إلا وهو مخلفاً وراءه تركة عظيمة مليئة بشتى أنواع العلوم والمعارف، ما بين تأليف وتحقيق وتعليق ونشر وإشراف ومشاركة وغيرها.

فالشيخ - رحمه الله - قد أثرى المكتبات العلمية بثروة نفيسة من ذخائر الكتب والمخطوطات ونوادرها وشتى أنواع البحوث والمقالات فماذا عسى المرء أن يقول في إنسان كان جبلاً في كل فن خاضه.

فاذا رأيته في اللغة وعلومها، خيل إليك أنه أستاذها ورائدها وإذا رأيته في المباحث الجغرافية والتاريخية ظننت أنه المرجع الأوحد فيها.

وإذا شاهدت ماله من أثار علمية ومن بحوث وتحقيقات وتعليقات ونشر تبادل إلى ذهنك أنها نتاج مجمع علمي أو مؤسسة ثقافية تجمع عدد من خيرة الباحثين والمحققين.

ولكن إذا رجعت إلى الحقيقة تجمعت لك كل تلك الخيالات والتصورات في شخص رجل واحد هو علامة الجزيرة.

فهو رائد إذا عد الأدباء والمفكرين. وأولي إذا عدت الدراسات والبحوث جمع الزيادات في كل فن خاضه. وتقدم في كل مجمع علمي حضره. فالشيخ هو ابن العلم وعاشق الجزيرة استشف هواها وحبها من أرضها وعلومها التي تولع بها.

فأنا لست بالأديب أو الشاعر حتى أطنب فيه ببلاغة الأدباء وسبك الكلام وحبكه.

ولكن أعجبتني كلمات جميلة من كثير ذكره معالي د.عبدالعزيز الخويطر في مقال له بعنوان: «..وترجل الفارس».

أقولها نعم يامعالي الدكتور صدقت. فقد ترجل الفارس وغادر البطل وهو في أوج نصره وأغر صولجانه.

وينثر الدكتور في ذاك المقال من جميل الكلام أحلاه فيقول: خدم أبو محمد العلوم التي كانت أقرب إلى قلبه، وأولى برعايته فلم يترك فيها زاوية إلا أطل في خباياها، ولا ميداناً إلا مسح جوانبه، ولا درجاً إلا ارتقاه، ولا غامضاً إلا جلاه، ولا خفياً إلا كشف عنه غطاءه وأبانه، ولا مبهماً إلا أنار ديجوره.

وكان - رحمه الله - لا يرضى بالوقوف عند القشر ولا يقنعه الظاهر، كان يغوص إلى اللب ويتعمق في المخبر.

كان يأخذ منه البحث والتنقيب عن أمر صغير أشهراً أو سنين وقد يحتاج لتحقيقه إلى رحلات مضنيات، إلى بلدان بعيدة، ولا يقف في وجهه عائق، ولايمنعه تعب، ولا تؤنسه صعوبة. يناور، ويحاور، ويحتال حتى يصل إلى الحقيقة، ولا يهدأ باله وتطمئن نفسه، حتى يكتمل ما بدأه، حينئذ، فقط، يلقي عصا التيار، ولكن لوهلة، ثم يبدأ بحثاً جديداً مضنياً، يعطيه كل قوته، كأنه البحث الفريد في حياته.

أصبحت خبرته لا حدود لها، عرف مظان العلم، ورجاله، وعرف الجاد منهم في البحث والتنقيب. فوصل سببه بسببه. أول اهتمامه كان بالجغرافيا والمواقع، فعرفه الجغرافيون ورجال الآثار وصار على رأسهم، وعرفه المؤرخون وصار أمامهم وإمامهم وعرفه محققو الأنساب، إذ جاء حامل العلم في سريتهم، وعرفه الأدباء لأنه تقدم سربهم في خوض بحر هذا العلم الواسع العميق، عرفه كُتاب التراجم إذ وجدوه قدوة في الميدان.. إلخ(١).

فهذه كلمات رثاء نثرها أحد تلامذة أستاذ الجيل الأوفياء وإلا فما قيل في الشيخ رحمه الله من كلام ومقال كان كثيراً.

وهذه المقالات شكلت تظاهرة أدبية أبرزت لنا جوانب عدة من حياة الشيخ المضيئة.

فمن أجمل عناوين ما كتب في رثاء الشيخ وأشدها أثراً في النفس.

- الجزيرة العربية تودع علامتها..(٢)
- وداعاً أيها العلامة.. (٣).
- رحيل عملاق الجزيرة العربية الذي أعطاها رحيق عمره..(٤).
- ورحل عاشق الأرض.. (٥).
- رحيل الكبار..(٦).
- انطفاء منارة.. (٧).
- انطفأت الشمعة.. ضياء الجاسر مستمر.. (٨).
- وترجل الفارس.. (٩).
- غياب قطب الثقافة والتاريخ في الجزيرة..(١٠)
- وتاريخ من الفكر سنفقده كثير.. (١١)
- الجاسر الذي لم يمت.. (١٢)
- كتب التاريخ وعشقه.. (١٣).
- رجل البدايات.. (١٤)
- عملاق ولد ضعيفاً وعاش باحثاً عن المعرفة إلى آخر لحظة..(١٥)

وغيرها كثير مما قيل في هذا الشيخ الذي لن نوفيه حقه مهما قلنا فيه.

وهذه المكانة العظيمة لهذا الفارس العملاق لم تأتي وليدة الساعة أو محض الصدفة. وإنما جاءت من مثابرة واجتهاد في التحصيل والبذل في التعليم والمعرفة والانتاج والإثراء الفكري والعلمي.

وحياة الشيخ العلمية وسيرته، حياة عطرة لا يسعها كتاب أو مجلد. لأن سيرته كلها مضيئة ومشعة بالعلم والفكر.

لكن لمناسبة المقام، أحببت أن أذكر نبذة ولمحة مختصرة عن حياة هذا الفارس.

*** المولد والنشأة :**

هناك في منطقة السر، من عالية نجد غربي النفود تقع قرية البرود.

هذه القرية كانت على موعد مع القدر بأن تنجب علامة الجزيرة وتحتضن حياته الأولى.

ففي سنة ١٣٢٨هـ ولد الشيخ حمد بتلك القرية وكان قومه الذين يرجع نسبه إليهم من قبيلة حرب من بطن بني علي(١٥).

وكانت بداية حياة الشيخ لا توحي بأنه سيكون لهذا الوليد شأن بين أقرانه وأمثاله فالأمراض انهكته في صغره يقول الشيخ عن نفسه:

«عشت أول حياتي عليلاً فلم أحسن المشي إلا في السنة الرابعة من عمري.. اخبرتني أختي أمتعها الله بالصحة والعافية بأنه حُفِرَ لي أربعة قبور، أي أن اليأس من حياتي أعترى أهلي أربع مرات بحيث كانوا يحفرون القبر لي، ولكن يُدْفَنُ فيه غيري»(١٦).

ويقول الشيخ أيضاً مترجماً لنفسه:

في عام ١٣٢٨هـ تقريباً ولد حمد بن محمد بن جاسر الجاسر في قرية (البرود) لأب فلاح، من أسرة قدر عليها رزقها، ونشأ عليل الجسم وتوفيت أمه وهو في السابعة، وفي مدرسة القرية (الكُتاب) تعلم مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم نظراً. وفي عام ١٣٤١هـ وكَّل أبوه أمره لقريب له طالب علم في الرياض فحفظ القرآن غيباً. وقرأ بعض المؤلفات المختصرة على المشايخ كعادة طلبة العلم في ذلك العهد، وبوفاة ذلك القريب عاد من الرياض ليجد أباه قد أنهكه المرض، وقد تفرق شمل الأسرة فكفله جده لأمه (مطوع) أهل القرية، وهو من أهل الصلاح والعبادة، فصار يقرأ عليه في بعض الكتب، ويقوم بالخطابة والوعظ في المسجد لكبر من جده وضعف بصره، وتولى تعليم أطفال القرية فترة، ولكن أخاه الكبير لم يرض حالته فذهب به إلى الرياض في عام ١٣٤٦هـ وسعى حتى ضم إلى (الاخوان) أي طلبة العلم، فعاش كأحدهم

وانتظم معهم في الدراسة على المشايخ في المساجد، ومن أشهرهم سعد بن حمد بن عتيق وصالح بن عبدالعزيز آل الشيخ – قاضيا الرياض – ومحمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ في التوحيد والفقه والحديث والنحو والفرائض، وفي عام ١٣٤٨هـ حج وألحق بـ (المعهد السعودي) وفيه تخرج عام ١٣٥٣هـ من قسم التخصص في القضاء الشرعي ففضل مهنة التدريس، وتقلب فيها في ينبع وجدة ومكة والأحساء والظهران والرياض وتخلل ذلك القضاء فترة وجيزة في (ظبا) ثم عاد للتدريس، وآخر عمله فيه، إدارة كليتي العلوم الشرعية واللغة العربية في الرياض في عام ١٣٧٦هـ وكان قد أنشأ أول صحيفة في الرياض (اليمامة) سنة ١٣٧٢هـ وأول مطبعة فاتجه للعمل في الصحافة، ثم انصرف للتأليف والتحقيق والنشر فأنشأ (دار اليمامة للبحث والترجمة والتأليف) ومنح مع إخوة له إجازة انشاء (مؤسسة اليمامة الصحفية) وعمل في الصحافة زمناً، وأصدر مجلة (العرب) التي قطعت نصف عامها السابع عشر هذا العام، ولايزال يعمل فيما اتجه إليه، وهو يأمل و(ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل) أن ينسأ الله له الأجل، ليرى ثمرة ذلك العمل، وما أعزها من أمنية:

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى
وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

الرياض ٢٣ شعبان ١٤٠٢هـ الموافق ١٥/٦/١٩٨٢ حمد الجاسر (١٧)

آثار الشيخ الجاسر العلمية:

للشيخ حمد آثار علمية زاخرة واسعة، شاهدة على عظيم جهده ما هو في مجال الصحافة والنشر، ومنها ما هو في مجال التأليف والتحقيق والنشر.

فأما ما هو في مجال الصحافة والنشر:

١ – اصدار صحيفة اليمامة سنة ١٣٧٢هـ

٢ – ترأس تحرير صحيفة الرياض عند تأسيسها.

٣ – انشأ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر وهي متعلقة بنشر تراث العرب وخاصة الجزيرة العربية.

٤ – مجلة العرب وهي المجلة الحافلة بتاريخ وتراث العرب وهي بحق أعظم ما قدمه الشيخ حمد للباحثين والساحة العلمية.

أما ما هو في مجال التأليف:

١ – بلاد ينبع. وفي هذا الكتاب ذكر أحد الوقائع التي مرت عليه وكان لها عظيم الأثر في اتجاهاته العلمية التحقيقية.

فيذكر الشيخ عندما كان في ينبع أنه أسند إليه تدريس مادة المحفوظات فكان أول درس قام به أمام طلاب السنة السادسة شرح أبيات من قصيدة أبي العلاء المعري المعروفة:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل؟
عفاف وردام وحزم ونائل

قال: وكنت قد راجعت شرح بعض مفرداتها ومنها البيت التالي:

يهم الليل بعض ما أنا مضمر
ويثقل رضوى دون ما أنا حامل

فكان مما قلت في أول درس ألقيته: رضوى جبل قريب من المدينة سهل ترقاه الإبل، ولعلي رجعت في ذلك إلى أحد شروح مقامات الحريري فما كان من الطلاب عندما سمعوا هذا الكلام مني إلا أن قالوا بصوت واحد:

لا يا أستاذ ها هو رضوى أمامك – وكانت النافذة مفتوحة – وليس قريباً من المدينة، ولا تستطيع الإبل أن ترقى أعلاه.

وسررت من هذا التصحيح، وشكرت، وبينت لهم أن أكثر الذين يحددون المواضع في بلاد العرب كانوا يعتمدون على النقل، وما كانوا يكتبون عن مشاهدة فجاءت كتاباتهم ناقصة أو خاطئة وحمدت لتلاميذي موقفهم.

٢ ـ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ.
٣ ـ بلدة البرود.
٤ ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقدمة المعجم) جزءان (قسم شمال المملكة العربية السعودية) ثلاثة أجزاء. (المعجم المختصر) ثلاثة أجزاء.
المدينة، ولا تستطيع الإبل أن ترقى أعلاه.

وسررت من هذا التصحيح، وشكرت، وبينت لهم أن أكثر الذين يحددون المواضع في بلاد العرب كانوا يعتمدون على النقل، وما كانوا يكتبون عن مشاهدة فجاءت كتاباتهم ناقصة أو خاطئة وحمدت لتلاميذي موقفهم.

٢ ـ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ.
٣ ـ بلدة البرود.
٤ ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقدمة المعجم) جزءان (قسم شمال المملكة العربية السعودية) ثلاثة أجزاء. (المعجم المختصر) ثلاثة أجزاء.
٥ ـ في شمال غرب الجزيرة.
٦ ـ رحالة غربيون في بلادنا.
٧ ـ رحلات حمد الجاسر.
٨ ـ فالوطن العربي.
٩ ـ إطلالة على العالم الفسيح.
١٠ ـ معجم قبائل المملكة العربية السعودية.
١١ ـ باهلة المدينة المفترى عليها.
١٢ ـ جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد،
١٣ ـ ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد.
١٤ ـ مع الشعراء تراجم لبعض شعراء مجهولين.
١٥ ـ نظرات في كتاب تاج العروس.
١٦ ـ أصول الخيل العربية الحديثة.
١٧ ـ معجم اسماء خيل العرب وفرسانها.
١٨ ـ ملاحظات على المعجم الكبير.
١٩ ـ أبو علي الهجري وأبحاثه.
٢٠ ـ سوق عكاظ.

أما ما هو في مجال التحقيق والنشر.
١ ـ الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة.
٢ ـ مقتطفات من رحلة العياشي «ماء ٣ ـ ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي.
٤ ـ بلاد العرب للحسن بن أحمد الأصفهاني.
٥ ـ الأماكن للحازمي.
٦ ـ الأمكنة والمياه والجبال لنصر الأسكندري.
٧ ـ المغانم المطابة في معالم طابة. للفيروزأبادي.
٨ ـ التعليقات والنوادر لأبو علي الهجري.
٩ ـ الجوهرتين للهمذاني.
١٠ ـ رسائل في تاريخ المدينة.
١١ ـ الأيناس في علم الأنساب للوزير المغربي.
١٢ ـ أدب الخواص للوزير المغربي.
١٣ ـ البرق اليماني في الفتح العثماني للنهراولي.
١٤ ـ المحمدون من الشعراء للقفطي.
١٥ ـ جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار.
١٦ ـ معجم الشيوخ لابن فهد المكي.
١٧ ـ المناسك وطرق الحاج.
١٨ ـ صفة جزيرة العرب.

وغيرها كثير مما ألفه وحققه ونشره استقلالا أو في مجلة العرب أو غيرها من الدوريات والمجلات والصحف.

مشاركاته ـ رحمه الله:

للشيخ ـ رحمه الله ـ الكثير من المشاركات والحضور المتميز في المجامع والمؤتمرات والندوات العلمية فمن ذلك:
١ ـ عضو عامل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
٢ ـ عضو في مجمع اللغة العربية

بدمشق.
٣ ـ عضو في مجمع اللغة العربية بالأردن.
٤ ـ عضو في المجمع الملكي للبحوث.
٥ ـ عضو بالمجمع العلمي الهندي.
الموائد».
بالإضافة إلى عضويته في كثير من المراكز والمؤسسات العلمية.
أما الجوائز التي حصل عليها:
١ ـ حاز على جائزة الدولة التقديرية للأدب عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).
٢ ـ منح وسام التكريم من قادة مجلس التعاون الخليجي عام ١٤١٠هـ
٣ ـ منح الدكتوراه الفخرية من جامعة الملك سعود سنة ١٤١٦هـ
٤ ـ نال جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي وموضوعها أدب الرحلات.
٥ ـ جائزة سلطان العويس في دولة الامارات عام ١٤١٦هـ
٦ ـ جائزة الكويت.
ثناء الأدباء والعلماء على الشيخ رحمه الله:
لقد كان الشيخ حمد في عيون أهل العلم كسوادها، وجد منهم كل ثناء وتقدير ومقالاتهم فيه كثيرة، وممادحهم فيه جميلة.
فيقول الشيخ محمد حسين زيدان عن أربعة أشخاص يدين لهم بالفضل الكثير، فالأول صالح بن عثيمين.. والثاني حمد الجاسر كان يتفقد كثيراً من خطئي فيهمس في أذني يعلمني الصواب وأسأله حيناً فآخذ عنه الإجابة(١٨).
ويقول د. بكري شيخ أمين:
وليس من المستغرب أن نقول أن دراساته صححت كثيراً من المعلومات السائدة المغلوطة عن الجزيرة العربية ودفعت أعضاء المجامع العلمية أن يرفعوا من شأنها(١٩).
وفي أحد جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته سنة ١٩٥٩م كان للشيخ ملاحظات على النموذج الذي قدمته لجنة (المعجم الكبير) حول بعض المواضيع.
فأثنى الأستاذ طه حسين على تلك الملاحظات وقال وملاحظات الأستاذ الزميل حمد الجاسر ملاحظات قيمة جداً ه ـ وللأستاذ الزميل تخصصه ومعرفته الكاملة بالأماكن في الجزيرة العربية فهو حجة في هذا الموضوع وأرجو أن يتفضل بكتابة ملاحظاته على المعجم ويزود اللجنة بها وليثق أن اللجنة ستقدره قدره فهو أعلم منا بجزيرة العرب(٢٠).
ويقول معالي د. محمد عبده يماني عنه:
أديباً وعالماً ومؤرخاً وواجهة حضارية من واجهات هذه الأمة فقد تتلمذنا على أدب هذا الرجل وعلمه وكان من أهم ما يميزه الدقة العلمية والبحث الجاد في طروحاته وقد كان عالماً ومؤرخاً وأديباً نعتز به وبثقافته وأعماله التي تركها تخلد اسمه وذكراه(٢١).
ويقول معالي د. راشد الراجح عضو مجلس الشورى ورئيس النادي الأدبي:
فقد كان علامة الجزيرة بحق فهو الأديب والناقد والمؤرخ والجغرافي، إنه موسوعة ومكتبة متحركة. له مؤلفات كثيرة في ميادين عديدة في مجال الدراسات الإسلامية والعربية والتاريخية والجغرافية، كما كان له دوراً كبيراً في تحقيق التراث ونشره وله مجلة العرب المجلة العلمية المشهورة.. كما كانت هناك عدة لقاءات مع الفقيد الغالي كان فيها المحاور البارع والبحاثة واسع الإطلاع غزير المعلومات دقيق الملاحظة لقد فقدت الساحة الأدبية بوفاته رجلاً فريد عصره ووحيد دهره في مجال الدراسات التاريخية والتراثية وسواهما(٢٢).
ويقول الأستاذ محمد رشيد هاشم رئيس النادي الأدبي بالمدينة المنورة:
كان أديباً وصحفياً وباحثاً ومحققاً استطاع أن يميط اللثام عن كثير من القضايا التاريخية التي كان كشفها عزيز المنال إلا

على أمثاله من الباحثين الذين انحازوا بالثقافة الواسعة والذاكرة الواعية والبصيرة النافذة وبالصبر وبالدأب والمثابرة(٢٣).

ويقول الأستاذ عبدالله بن ادريس رئيس النادي الأدبي بالرياض:

لقد خدم حمد الجاسر ثقافة الأمة العربية لغة وتاريخاً وجغرفة وضبطا واتقاناً لما قام به وما قدم من مؤلفات قيمة جداً ورصينة جداً وهي المرجع الأول والأخير للمؤرخين والجغرافيين المعاصرين(٢٤).

ويقول الأستاذ عبدالله الحميد رئيس النادي الأدبي بأبها:

ومثل حمد الجاسر يظل ذكره حياً.. وأثره مشهوداً في أسفاره ومقالاته وانجازاته ويكفي أنه أول من أسس المطابع والمجلة في الرياض وأنه كان فارساً في ميادين القضاء والكتابة والصحافة والبحث الموثق.

وصحيح أنه قد يتفق معه أناس ويختلف آخرون.. إلا أنه يبقى علامة الجزيرة.. ورمز الفكر المعاصر(٢٥).

ويقول د. ناصر الدين الأسد :

يحار المرء حين يريد أن يتحدث عن أستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر أو يكتب عنه، من أي جانب من جوانب علمه يتناوله.. فهو بقية طبقة من علماء تراثنا الموسوعيين، لا تكاد تسأله عن مسألة من هذا التراث إلا وجدت عنده الجواب، مع تواضع جم حتى ليكاد يوحي إليك بأنه لا يتحدث بشيء أنت لا تعرفه، أو أن حديثه إنما هو من بعض علمك(٢٦).

ويقول د. عاصم حمدان :

يعد الشيخ حمد الجاسر رائداً من رواد الفكر والثقافة في بلادنا فهو شارك في ريادة الصحافة وأصدر مجلة متخصصة في تاريخ الجزيرة العربية تعد مصدراً للباحثين الذين يودون معرفة ما يتصل بهذه الأرض المباركة في تاريخها العريق الطويل واشتغل بالكتابة في علوم شتى بدأ من علم الأنساب ومروراً بالتاريخ والجغرافيا وأدب الرحلات وكان أديباً في تجاوزت سمعته الدائرة المحلية إلى دائرة أوسع واشمل في العالمين العربي والإسلامي(٢٧).

لقد كان جواب أرض تقاذفته من وراء تراث الأمة العربية والإسلامية في مكتبات العالم وكان دأبه ودربته ودرايته سبباً من أسباب اكتشاف كنوز الحضارة الإسلامية المبثعرة في مكتبات العالم وكم من اكتشاف حققه غيَّر به المسلمات ووصل به الحلقات، ولأنه خبير بالتراث حظى به فقد كان له اسهاماته التي يثمنها أرباب صناعة الكتابة ما من عمل جليل في خدمة التراث إلا كانت له اليد الطولى.

ولعل آخر مشاريعه مجلته العلمية (العرب) حيث رصد من خلالها أعمالاً في غاية الأهمية واستمر يغالب الظروف الصحية والمشاغل والطموحات الواسعة حتى أدركه الموت وعلى الرغم من اعتلال صحته وضعف بصره وتقدم سنه فقد ظل حاضراً بمقالاته ومجلته وندوته التي يحضرها كبار العلماء والمسؤولين(٢٨).

هذا قليل من كثير قيل في الشيخ الجاسر، والذي هو بحق شخصية نادرة تستحق كل ثناء واهتمام، وإعداد الدراسات العلمية حولها.

هذا الشيخ بحق، جمع العلم والأدب والفضل وحسن الأخلاق وحب العمل وأهله وطلابه، فهو جبل في علمه، جبل في أدبه، جبل في دأبه وجهده، جبل في خلقه وتواضعه، جامع للمعالي والعز.

هذا الشيخ لي معه من الذكريات الشيء الكثير، وليس في يدي له إلا الدعاء والابتهال إلى الله بأن يرفع من ذكره، ويعلي من مكانته، ويجعل اسمه محفوراً في ذاكرة الزمان بكل طيب.

* رحيل الجاسر ووفاته:

إن رحيل الكبار، ليس كأي رحيل فهؤلاء إذا رحلوا تركوا فجوة ما أوسعها، وأفقدونا علوماً ما أعظمها. فكيف لا يكون رحيلهم رحيل كبار.

في السادس عشر من جمادى الأخيرة سنة ١٤٢١هـ كنا على موعد مع القدر برحيل علامة الجزيرة وإعلان نبأ فراقه.

فبعد معاناة مع الألم وتنقل بين المانيا وأمريكا طلباً للعلاج غادرنا الشيخ الجاسر إلى دار أحسن من دارنا ورب أكرم منا.

ولنترك لحبيبة الشيخ ومجلته، مجلة العرب تحدثنا عن هذا الرحيل:

كان الشيخ حمد - رحمه الله - يعاني منذ فترة طويلة ضيقاً في فقرات العنق من جراء جلوسه لفترة طويلة منكباً على قراءة المخطوطات والمؤلفات والكتابة مما تسبب في الضغط على الحبل الشوكي (مصدر الإحساس).

وفي شهر المحرم ١٤٢١هـ سقط على ظهره مما أدى إلى مضاعفة ما كان يعانيه من آلام، امتدت إلى ضعف في استخدام يديه وعدم القدرة على المشي.

ولقد أفاد الأطباء أن هذه الآلام ستزيد وهذا الضعف سيزداد وقد يصل الأمر التأثير على أعضاء أخرى في جسمه - طيب الله ثراه - وأن العلاج لذلك هو التدخل الجراحي لتخفيف الضغط على فقرات العنق.

وعندما عرض رأي الأطباء على الشيخ حمد، كانت بجواره في المستشفى (خارج البلاد) ابنته الدكتورة (مي) فطلب منها ورقة وقلماً وكتب عليها (فإذا عزمت فتوكل على الله، توكلت على الله) فكان هذا آخر ما سطرته يمين الشيخ - رحمه الله - وتبدو في كتابته آثار رعشة يديه(٢٩).

هكذا كانت آخر أيام الشيخ الجاسر، حتى جاءته المنية وهو على سريره في مستشفى ماساتشوستس العام في الولايات المتحدة الأمريكية.

ثم وصل جثمانه يوم الجمعة ١٧ جمادى الثاني ١٤٢١هـ إلى الرياض شمال وصلى عليه ظهر يوم السبت في مسجد الراجحي بحي الربوة ودفن بمقبرة النسيم بالرياض.

وهكذا وارى القبر الخامس ثراه، بعد أربعة قبور لم يكتب له الدفن فيها.

واراه ذلك القبر ووارى معه علوماً ومعارفاً سنفقدها كثيراً.

يقول الأستاذ صبري شماس من سوريا العزيزة في مرثية له:

بكى النعي فأحزن الأوتارا ... وتوشحت (نجد) أسى ومرارا

والخطب خيّم في المدائن والقرى ... ومضى يلف الشمس والأقمارا

و(برود)(٣٠) أضجعها المصاب وأجهشت ... مقل الضفاف تكابد الأوزارا

(حمد) توارى جسمه لكنه ... بالروح يثري العلم والأفكارا

ياشيخنا الغالي المسجي بالسما ... كحلت بالفكر الشذي الأبصارا

وغرست في رحم (الرياض) ثقافة ... تسمو وتزهو رفعة ونضارا

وتركت للأجيال ارثاً تالداً ... والنشء يقطف من سناك ثمارا

أأبا (محمد) لست أرثي عالماً ... سكن الشغاف وخلد الأثمارا

أرسى صروح الفكر من بصماته ... فتدفقت تلك المنى أنهارا

يا (نجد) شيخك شعلة وقادة ... سيظل للعشب الأبي منارا

ماذا أسطر فالقوافي تنحني ... وتصوغ ملحمة الندى وفخارا

فرحم الله علامة الجزيرة الإنسان، رحم الله الأديب الموسوعي. رحم الله أستاذ الجيل ورائد الأدباء، رحمه الله رحمة واسعة، ورزق أهله وولده وذويه الصبر على فقده.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كاتب وباحث سعودي

الحواش والهوامش:

(١) المجلة العربية العدد ٢٨٢ ـ السنة ٢٥ رجب ١٤٢١هـ أكتوبر ٢٠٠٠م، ص/١٠.

(٢) صحيفة المدينة ـ الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ١٥ سبتمبر ٢٠٠٠م ـ العدد ١٣٦٥٩ ص٤.

(٣) حمد القاضي ـ صحيفة المدينة العدد ١٣٦٥٩ ص٤.

(٤) صحيفة الرياض ـ الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ ـ ١٥ سبتمبر ٢٠٠٠م العدد ١١٧٧١٥ ص١٤.

(٥) حمد القاضي صحيفة الجزيرة ـ الجمعة ١٧ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ ـ ١٥ سبتمبر ٢٠٠٠م العدد ١٠٢١٤.

(٦) د. علي النجعي ـ صحيفة الرياض، الجمعة ١٧ جمادى الآخرة، العدد ١١٧٧١.

(٧) محمد الدميني، صحيفة اليوم، الجمعة ١٧ جمادى الآخرة العدد ٩٩٥٤، ص٢٠.

(٨) صحيفة البلاد ـ الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ ـ ١٥ سبتمبر ٢٠٠٠م العدد ١٦١١٩.

(٩) المجلة العربية ـ العدد ٢٨٢، رجب ١٤٢١هـ ص١٠.

(١٠) سليمان العيدي، صحيفة اليوم، الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ العدد ٩٩٥٤، ص٢١.

(١١) صحيفة اليوم، الجمعة ١٧ جمادى الآخرة، العدد ٩٩٥٤.

(١٢) د. خيرية السقاف ـ صحيفة الجزيرة ـ الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ العدد ١٠٢١٤، ص١٤.

(١٣) حمد القاضي، صحيفة اليوم ـ الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ـ العدد ١٠٢١٤، ص١٥.

(١٥) كتاب عن بلدة البرود ـ حمد الجاسر.

(١٦) (حمد الجاسر) دراسة مع ببلوجرافيا مختارة من أعماله المتعلقة بالجزيرة العربية.. د.يحيى محمود ساعاتي، ص١١.

(١٧) ببليوجرافيا خاصة عن الشيخ حمد الجاسر نشر وإعداد مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

(١٨) (حمد الجاسر) دراسة مع ببليوجرافيا من أعماله. د.يحيى محمود ساعاتي ص١١.

(١٩) المصدر السابق.

(٢٠) صحيفة المدينة، الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ العدد ١٣٦٥٩، ص٤.

(٢١) مجلة الحرس الوطني، رجب ١٤٢١هـ ـ اكتوبر ٢٠٠٠م ـ العدد ٥٢٢، ص٨٨.

(٢٢) صحيفة الجزيرة ـ الاثنين ٢/٦/٢٠٠٠م العدد ١٠٢١٧.

(٢٣) صحيفة الرياض الجمعة ١٧ جمادى الآخرة العدد ١١٧٧١.

(٢٤) المصدر السابق.

(٢٥) صحيفة المدينة، الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ العدد ١٣٦٥٩.

(٢٦) مجلة الحرس الوطني ـ رجب ١٤٢١هـ العدد ٥٢٢٠.

(٢٧) صحيفة المدينة، الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ العدد ١٣٦٥٩.

(٢٨) صحيفة الجزيرة، الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ العدد ١٠٢١٤.

(٢٩) مجلة العرب، ج٢١ س٣٦ رجب شعبان سنة ١٤٢١هـ ايلول تشرين ا سبتمبر اكتوبر ٢٠٠٠م.

(٣٠) برود ـ هي البلدة التي نشأ وولد فيها الشيخ حمد.

(٣١) مجلة الحرس الوطني رجب ١٤٢١هـ العدد ٥٢٢٠.

أحمد عبدالغفور عطار

وجهوده في الدفاع عن لغة القرآن



بقلم: أ. فاروق صالح باسلامة *

للأستاذ أحمد عبدالغفور عطار جهود عظيمة في الدفاع عن اللغة العربية.. لغة القرآن ولغة الإسلام والمسلمين.

فقد ألف في هذه اللغة أكثر من سبعة كتب بأسلوب مباشر وهدف نبيل وفكرة جلية. وكانت قوة هذا الأسلوب وعظمته هما الأسلوب الذي كتب به العطار سائر كتبه ومؤلفاته: إذ هو الأسلوب الأدبي الجميل الذي يحمل في طياته أفكاراً وآراءاً في الدين والأدب والثقافة وفن الفكر ومبتكرات العقل والنفس والروح، ومن كتبه اللغوية:

١ ـ الزحف على لغة القرآن الكريم.
٢ ـ الصحاح ومدارس المعجمات العربية.
٣ ـ آراء في اللغة.
٤ ـ قضايا ومشكلات لغوية.
٥ ـ الفصحى والعامية.
٦ ـ معجم الصحاح للجوهري (تحقيق).

٧ ـ ليس في كلام العرب لابن خالويه (تحقيق).
وغير هذه المؤلفات والمصنفات، كتب أخرى عظيمة الجوهر وراقية الأسلوب. وفي رواية أن اللغة هي الفكر، وهي الأداة التي نعبر بها عن كل ما نريد التعبير عنه سواء أكان في الآداب وبعض الفنون والعلوم والفلسفة: (قضايا ومشكلات لغوية ص ١٠).
ويقول في نفس الموضوع: إن من مهام اللغة أن تربي في صاحبها الذوق وتحي الملكة وكلما كثر غنى الإنسان في اللغة كثرت مزاياه.
وهي كلمات يقدم بها العطار جل آرائه اللغوية ومواقفه في اللغة العربية.. اللغة الفصحى والذب والدفاع عنها.. باعتبارها لغة القرآن الكريم والعرب والمسلمين.
وقبيل الشروع في حديثنا عن دفاعه المستميت عن هذه اللغة الكريمة وذكر مواقفه تلك، ولابد أن نذكر ما دعا إليه الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار بإنشاء مجمع لغوي سعودي، يقول رحمه الله:
«ومن هذا السبق أنني عندما كتبت مقدمة (تهذيب الصحاح) للزنجاني المطبوع سنة ١٣٧٢هـ طلبت ودعوت إلى إنشاء مجمع لغوي سعودي، فأصحاب اللغة الأصلاء الألى أخذت عنهم الفصحى هم من قبائل الحجاز ونجد كقريش وتميم، وعرب المملكة العربية السعودية اليوم هم أبناء أولئك العرب، فنحن أجدر أقطار العربية بوجود مجمع لغوي فيها»(١).
كما أن أحمد عطار كان أسبق من دعا إلى تأليف معجمين لغويين أحدهما كبير والآخر معجم مدرسي صغير وذلك في نطاق المجتمع العربي السعودي، وهو اقتراح رصين منه أسوة بمصر ولبنان(٢).
وهذا الاقتراح وتلك الفكرة هما من فكره اللغوي الرصين ومن خبرته الجليلة مع اللغة العربية والكتابة والتأليف والتصنيف في قضاياه الكبيرة وغناها الفكري والمعنوي وأدواتها المبتكرة وموادها الثرية، وألفاظها ومشتقاتها الجمة الكثيرة والكمية العديدة الغفيرة والغزيرة.
وعندما نتحدث عن العطار اللغوي، لابد من المعرفة الواقعية في أن جهوده في الدفاع عن اللغة العربية هي الأساس المكون لمعرفته بهذه اللغة العظيمة، وهي المنطلق الذي انطلق منه العطار إيماناً برسالته العظيمة الأدبية والفكرية لحماية لغة القرآن وفي ذلك قول - رحمه الله:
«الذين يحاربون (اللغة) الفصحى إنما يحاربونها لأنها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ولغة الإسلام، يحاربون الإسلام فحاربوا الفصحى وعملوا بكل ما يملكون هم ودولهم الصليبية - من قوة - لهدم لغة القرآن فجاءوا بدعوات مختلفة تلتقي جميعاً في هدم الفصحى(٣).
وفي ذات الوقت يرى العطار اللغوي إن الذين يحاربون اللغة العربية الفصحى، إنما يحاربونها بدعاوى وحجج واهية فهم يدعون نفي صلاح العربية للحياة ولهذا العصر، وفي مقدمة المدعين سلامة موسى (الفرعوني) التفكير. ولذلك فهم يدعون إلى اتخاذ (العامية) لغة للكتابة والعلم. كما يدعون إلى إنطاق أبطال القصص الأدبية كما ينطقون في واقعهم العامي. يقول:
«خصوم اللغة العربية الفصحى ابتكروا دعوات كثيرة إلى هدمها، وأخفقت كل دعاواتهم، وكلما ماتت دعوة بعثوها وجددوها، والدعوة إلى العامية تتجدد دائماً ولم ييئسوا وأصروا على أن تدخل العامية المسرح والسينما والقصص والروايات وزعموا أن من الحتم أن تتكلم الخادمة بالعامية وبأسلوب الخدم، وكذلك كل طبقة من طبقات الشعب.
وزعموا أنه لا يصح أن يتكلم العامة الكادحون بلغة الارستقراطيين الأعلياء، فلا يصح -

مثلاً – أن يتكلم سائق سيارة طه حسين وطباخه وخادمه وبستاني حديقته بأسلوبه الرفيع، فإذا ألف طه حسين رواية وجب عليه أن ينطق كل واحد من هؤلاء بالرواية التي تجمعهم بلهجاتهم وأساليبهم». ويستطرد اللغوي الكبير أحمد عطار قائلاً:

«ونحن لا نسمع هذه الدعوة في جميع الآداب العالمية، وإنما تنطلق الدعوة في اللغة العربية وفي الأدب العربي دون غيرهما من اللغات والآداب».

ويعلل ذلك بقوله: «لأنها لغة القرآن الكريم والإسلام، ومحمد عليه الصلاة والسلام».

وفي كتاب آخر يعرض العطار دعوة خصوم العربية إلى العالمية معللاً:

«وألبس دعاة الهدم دعوتهم ثوب الغيرة على الشعب فزعموا أنهم يريدون العامية حتى يفهم الشعب العلوم والآداب والفنون»(٥).

وفي هذا الصدد يتساءل الأستاذ العطار: «لماذا نستبدل العامية بالفصحى؟» ويقول: «يجيب الدعاة إلى العامية جواباً واحداً، وهو عدم صلاح الفصحى للحياة العامة، وها هو سلامة موسى يجيب في مقال له في مجلة (الهلال) سنة ١٩٢٧م قائلاً: والتأفف من اللغة الفصحى التي نكتب بها ليس حديثاً، إذ هو يرجع إلى ما قبل ثلاثين سنة حين نعى قاسم أمين على اللغة الفصحى صعوبتها وقال كلمته المشهورة: «إن الأوربي يقرأ لكي يفهم، أما نحن فنفهم لكي نقرأ».. وقد اقترح أن يغلي الإعراب فتسكن أواخر الكلمات كما يفعل الأتراك(٦).

وجرياً على الادعاءات الفارغة والدعوات الهدامة من قبل الهدامين ضد لغة القرآن الكريم (اللغة العربية) يستطرد الأستاذ العطار في حربه المستميت ضد أولئك وفضحه دعواتهم قائلاً: «ومن أخطر دعوات الهدم التي انبثقت عن عقولهم الشريرة استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي الذي وجهوا إليه قذائفهم. وزعموا أن الحرف العربي معقد وأنه سبب تأخر الأدب العربي وجموده. وقال أحد أئمة الدعاة إلى العامية وهو (ولهلم سبيتا) الألماني: كل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يعرف إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة. وطريقة الكتابة العقيمة – والكلام للألماني – أي بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع أكبر قسط من اللوم في كل هذا، وبالتزام الكتابة العربية الكلاسيكية القديمة لايمكن أن ينمو أدب حقيقي ويتطور(٧).

أما من يدعون إلى إلغاء الإعراب فقد واجههم العطار بصلابة ـ كما عهدناه دائماً – وها هو يرد قائلاً:

«من الدعوات الهدامة: إلغاء الإعراب، وسمة العربية الفصحى الإعراب، وهو الذي يحدد المعاني، ورُبّ حركة في الإعراب أو في بناء الكلمة تغير المعنى من النقيض إلى النقيض، فإذا ادعى عليك مدع بمال، وقلت: ماله عندي – بفتح لام ماله – قد نفيت دعواه، وإذا قلت: مالُه عنده – بضم اللام – فقد اعترفت له بمال، واختلف باختلاف حركة اللام الألفاظ مع المعاني»(٨).

ثم يتساءل هؤلاء الهدامين بتهكم قائلاً:

«إذا سألنا الدعاة إلى إلغاء الإعراب؟.. لماذا نلغي الإعراب؟ أجابوا: لأن عامة الشعب لا يحسن الإعراب ولا يعرفونه، ومن يحسنه أفراد قلائل هم من الارستقراطيين»(٩). ويمضي قائلاً:

«ويدعي الدعاة أن رغبتهم في التيسير والتسهيل وتجنب الخطأ هي التي تدفعهم إلى أن يطلقوا دعوتهم إلى إلغاء الإعراب»(١٠).

ثم يقرر أن دعوة هؤلاء إلى إلغاء الإعراب أبطولة من الأباطيل وكذلك كل زعمائهم(١١) وكل الذي سقناه من مواطن العطار في الدفاع عن لغة القرآن لهي مواقف شريفة وقفها رحمه الله في الصف الأول من حماة هذه اللغة العظيمة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

واللغة الشاعرة بأهلها الغير الميامين كما وصفها صديق الأستاذ العطار، عباس محمود العقاد رحمه الله.

وموقف آخر للغوي الكبير العطار - وهذا من أدبياته في اللغة الفصحى - إذا جاز لنا التعبير بذلك، في قوله:

«إن المستعمل من العربية في عصرنا الحاضر لايكاد يزيد عن عشرة آلاف مادة، مع أن الصحاح(١٢) يضم أربعين ألف مادة، والقاموس(١٣) ستين ألف مادة، والتكملة(١٤) ستين ألف مادة واللسان(١٥) ثمانين ألفا والتاج(١٦) عشرين ومائة ألف مادة، وإن العربية قد بلغت في الغنى والسعة في المفردات اللغوية الحد الذي لم تبلغه لغة على وجه الأرض حتى الآن(١٧).. فإنها لم تضق عن كل حاجات الإنسان وتجاربه وخواطره وعلومه وفنونه وآدابه، بل وسعت روافد الحضارة والعلوم غير المعروفة عند العرب، في أزهى العصور الإسلامية غير أن المتأخرين وقفوا عند الحدود التي وقفت عندها العرب، وجمدوا اللغة حتى اتهمت من المعاصرين بالضيق والعقم لأنها عجزت عن إيجاد كلمات لما ذخرت به الحضارة.. حضارة القرن العشرين من مصطلحات ومخترعات(١٨).

لكن اللغوي الكبير يدافع قائلاً:

«وهذا الاتهام ليس صحيحاً كله، فالعربية مرنة تتسع لكل حاجات الإنسان مهما كثرت هذه الحاجات، فخصائص هذه اللغة كالاشتقاق النحت والتعريب وغير ذلك تعين على أن تفتح صدرها لاستقبال الجديد وضمه إليها»(١٩). قلت: ونرجو من علماء اليوم في المجامع اللغوية أن يكون لهذا الجانب الحضاري للغتنا اهتمام فعلي منهم وهناك واجهة أخرى عن قواعد النحو في لغتنا يوردها العطار من جديد بأسلوبه العجيب، يقول رحمه الله:

«وعندنا - وعند أنصار الفصحى أجمعين - أن مسألة القواعد قد فرغ منها في عصرنا، فلا يجوز لنا أن نلغيها ولا أن نستحدث بديلاً يناقضها، وكل ما يجوز لنا أن نتوسع في تطبيقها وأن نقيس عليها ما يماثلها، وأن نحرص على بقاء نحوها وصرفها، لأن لغتنا - خاصة - لا تبقى بغير الإعراب.. فمسألة القواعد في عصرنا هذا مفروغ منها لا تحتمل التغيير إلا على نية واحدة: وهي نية القضاء على الفصحى والاستغناء عنها باللهجات العامية، ولا يقول بذلك أحد يفقه ما يقول.. فإن كتابة العلوم والمعارف باللهجة العامية أصعب جداً من كتابتها بلغة القواعد والإعراب(٢٠). وهذا دفاع عظيم يورده العطار بقلمه الرصين، ولا غرو في ذلك ولا عجب، فالأستاذ أحمد عبدالغفور عطار قد نذر قواه المعنوية والفكرية والأدبية والمادية للدفاع عن لغة القرآن الكريم. ومهما احتد واشتد في أسلوبه فأن طبيعة هذا الجهاد يقتضي ذلك، وهو تصرف فكري ولغوي وأدبي في ثوب من الإيمان الإسلامي يظهر به على أعداء لغتنا الجميلة.. أعداء لغة القرآن العظيم. اسمعه يقول:

«ولقد قيل كثيراً: إن اللغة العربية بقيت لأنها لغة القرآن الكريم، وهو قول صحيح لا ريب فيه، ولكن القرآن الكريم إنما أبقى اللغة لأن الإسلام دين الإنسانية قاطبة وليس بالدين المقصور على شعب أو قبيلة، وقد ماتت العبرية وهي لغة دينية أو لغة كتاب يدين به قومه ويحسبون أنهم وحدهم المخصوصون بالخطاب من عند الله، ولم تمت العبرية إلا لأنها فقدت المرونة التي تجعلها لغة إنسانية وتخرجها من حظيرة العصبية الضيقة بحيث وضعها أبناؤها منذ قرون»(٢١).

وفي هذا النص تدعيم لحرمة اللغة العربية لأنها لغة القرآن وتفخيماً لها لأنها لغة الإسلام إلى يوم الدين.

وإذا كان أحمد عبدالغفور عطار قد انتقل إلى جوار ربه، فإن عمله وكتبه لم تزل بخير يتدارسهما طلاب العلم وأهل المعرفة، ومن ذلك كتابه (قاموس الحج والعمرة) وهو معجم فقهي في أحكام الحج والعمرة ذكر فيه أحكامهما من حجة النبي صلى الله عليه وسلم

والعمره، ويبدو فيه الأسلوب الأدبي المتمكن الذي اتخذه في سرد المصطلحات الفقهية لأحكام الحج والعمرة مع إحكام تام للقدرة اللغوية والمعرفة الدينية والإلمام الفقهي المتين. ويعتبر هذا القاموس نموذجاً للتصور المعجمي عند أحمد عبدالغفور عطار الذي طالما دعا إليه في بلاده المملكة العربية السعودية، والأدباء واللغويين والعلماء للعناية باللغة الفصحى والفقه الإسلامي والعمل على تأليف معاجم وقواميس في هذين العلمين العظيمين. وقد بين ذلك في العديد من كتبه التي أربت في عددها على السبعين كتاباً بين تأليف وتصنيف وتحقيق. كما دل عليه رسائله التي رفعها للملك فيصل والشيخ حسن آل الشيخ رحمهما الله، في هذا الصدد أو كانت طموحاته بعيدة المدى للتأليف والتحقيق في كتب اللغة الأدبية وكتب الثقافة الإسلامية والمعاجم اللغوية، وفي هذا المجال نذكر تحقيقه لمعجم (الصحاح) للإمام الجوهري. وتحقيقه لمعجم (تهذيب الصحاح) للإمام الزنجاني بالاشتراك مع عاشق التراث الأستاذ عبدالسلام هارون. وتحقيقه لكتاب (ليس في كلام العرب) للإمام ابن خالوية. وله آمال رفيعة في خدمة التراث اللغوي والتراث الديني والإنتاج الأدبي الملتزم بالتصور الإسلامي في حياة الأدب والفكر واللغة. وهي عوالم ومعالم للثراء الفكري وإحياء لعلوم الدين وحركة الأدب والعلم والثقافة، واللغة العربية الفصحى التي كان الدفاع العطاري عنها منطلقه للدفاع الديني العام.

---

* كاتب سعودي..

الهوامش:

(١) كتابه: قضايا ومشكلات لغوية ـ طـ مكة المكرمة عام ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، ص١٨.

(٢) كتابه: آراء في اللغة. طـ المؤسسة العربية للطباعة ـ جدة سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م الطبعة الأولى ص١٢١-١٧٣.

(٣) قضايا ومشكلات لغوية ص٩٣.

(٤) المرجع السابق ص٥٧.

(٥) آراء في اللغة ص٩٣.

(٦) قضايا ومشكلات لغوية ص٥٤.

(٧) المرجع السابق ص٥١,٥٢.

(٨) المرجع السابق ص٩٣.

(٩) المرجع السابق ذكره ص٩٦.

(١٠) المرجع السابق.

(١١) المرجع السابق.

(١٢) معجم الإمام للجوهري.

(١٣) القاموس المحيط للفيروزابادي.

(١٤) يقصد به كتاب التكملة والذيل والصلة للإمام الصاغاني.

(١٥) لسان العرب للإمام ابن منظور المصري.

(١٦) تاج العروس شرح القاموس للإمام الزبيدي.

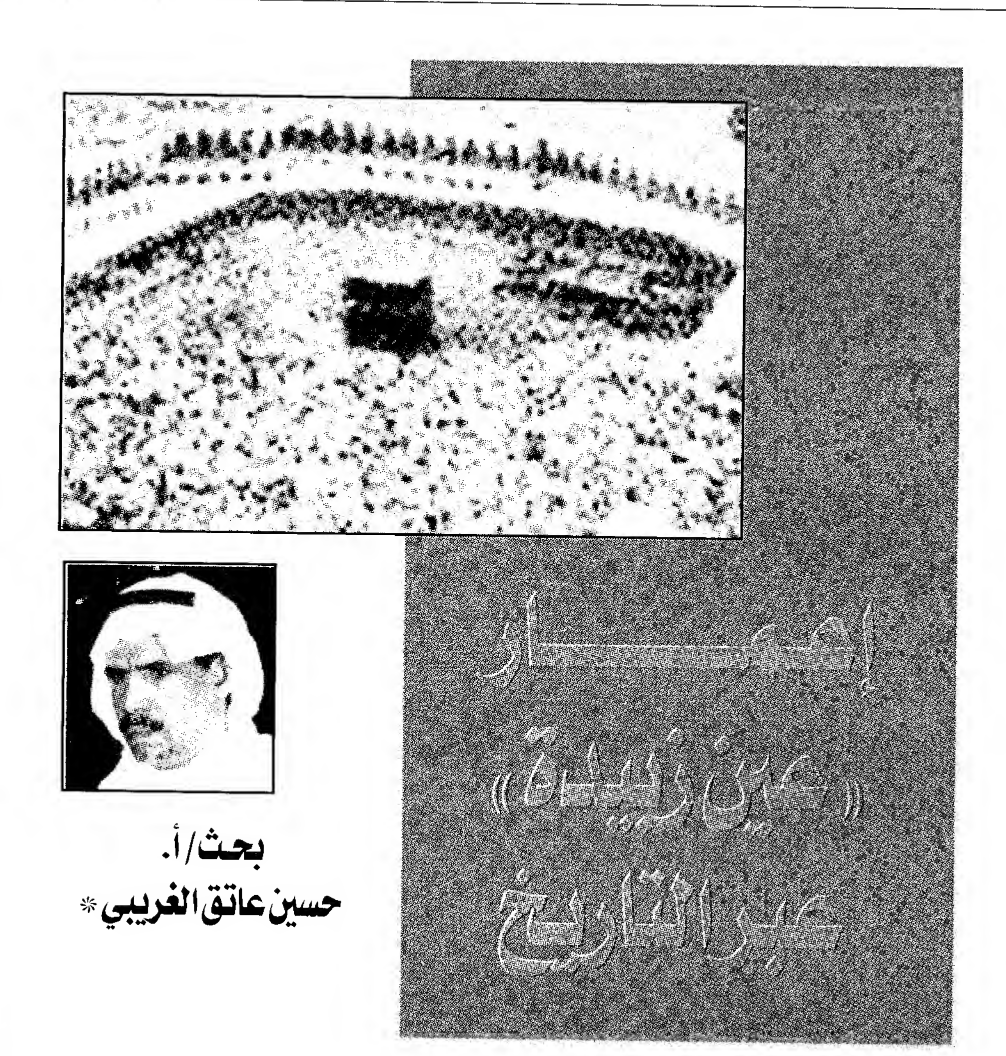
(١٧) الصحاح ومدارس المعجمات العربية لأحمد عبدالغفور عطار، ص٣٣ الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م، بيروت.

(١٨) المرجع السابق ص٣٤.

(١٩) المرجع السابق.

(٢٠) المرجع السابق ص٩.

(٢١) المرجع السابق ص١٠.



بحث/أ.
حسين عاتق الغريبي*

يقوم ـ حالياً ـ عدد من الباحثين الأكاديميين بجامعة الملك عبد العزيز بجدة بدراسة علمية ميدانية تستهدف إعادة إعمار (عين زبيدة) المشهورة في التاريخ الإسلامي. ويضم الفريق المشارك في هذه الدراسة القيمة كلاً من الدكاترة: (أنس أمين مدني مدير مركز أبحاث المياه، وعمر أبو رزيزة الباحث الرئيسي للمشروع، وعبد الله مصطفى مهرجي رئيس قسم الهندسة المدنية، وسهيل مكي المدني وطلال مختار وعبد الله الوقداني وأسعد أبو رزيزة وعبد الله الغامدي وسعود قطب).

وقد حظيت هذه الدراسة التاريخية الهامة باهتمام صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد، ونائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني.

«وكان سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة قد استمع من معالي مدير جامعة الملك عبد العزيز والفريق العلمي المكلف بالدراسة إلى شرح وافٍ عن مراحل مشروع دراسة إعادة إعمار عين زبيدة الذي سيتم انتهاء المرحلة الثانية منه

بنهاية حج هذا العام، وليكتمل مشروع الدراسة تماماً بنهاية عام ١٤٢٢هـ» إن شاء الله.

وهذه الخطوة المباركة التي تقوم بها نخبة خيرة من أبناء الوطن تعكس - بلا شك - مبلغ الاهتمام لديهم بأحداث التاريخ الماضية، وربطها بالحاضر، للمساهمة في التطوير وحل المشكلات الآنية.

- وفكرة هذا البحث الموجز - الذي أقدمه هنا في هذه المجلة العريقة - تنطلق من الرغبة في إيجاد جو إعلامي يواكب مسيرة الفريق العلمي المكلف، قد يكشف عن معلومات جديدة مختزنة لدى كبار السن ممن عاصروا المراحل الأخيرة للإعمار، أو أولئك الذين لهم ارتباط بأماكن هذا الحدث التاريخي الهام.

إضاءة تاريخية:

*روى الفاسي بسند الى الازقي: «كان معاوية (٤١-٦٠هـ) قد أجرى في الحرم عيوناً، واتخذ له أخيافاً، وكانت حوائط، وفيها النحل والزرع...».

وقد أفاض الفاكهي في ذكر ما أجري من العيون بمكة وحولها في الحرم، وعدّد بعض الحيطان التي اتخذها معاوية بن أبي سفيان ومنها: (حائط عوف، وحائط الصُّفي، وحائط مُقيصرة، وحائط مورش، وحائط خرمان، وحائط ابن طارق، وحائط فخّ، وحائط بلدح، وحائط الحمَّام).

- ومع مرور الزمن تعطلت قنوات العيون التي أنشأها معاوية نتيجة الترسبات الرملية التي لم تجد الاهتمام بازالتها بصفة مستمرة.

*وفي زمن الدولة العباسية «قام هارون الرشيد ببعض الإصلاحات، حيث جمع مجارى المياه في مجرى واحد» ولم يكن هذا العمل كافياً لتأمين الماء لسكان مكة بالقدر الذي يفي بالحاجة.

* وجاء دور السيدة زبيدة (زوج الخليفة هارون الرشيد) لتنهض بالمهمة التاريخية الجليلة التي خلدت اسمها في كتب التاريخ، وعلى ألسنة الناس عامة على مر السنين، وذلك عندما أمرت بإجراء الماء إلى مكة، ثم إلى عرفة ومنى.

- وكل من أرخ للبلد الأمين ذكر قصة «عين زبيدة» نقلاً عمن سبقه، أو من خلال الأحداث التي عايشها في حياته. ومن أشهر أولئك المؤرخين:

*أبو الوليد الأزرقي: في كتابه «أخبار مكة، وما جاء فيها من الآثار»

*تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي: في «شفاء الغرام، بأخبار البلد الحرام».

*محمد بن محمد بن فهد المكي: في «اتحاف الورى بأخبار أم القرى»

* محب الدين الطبري المكي: في «القرى لقاصد أم القرى»

* علي بن تاج الدين السنجاري: في «منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم».

* عبدالله الغازي: في «إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام»

* محمد طاهر الكردي المكي: في «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم».

-وفي اعتقادي أن الشيخ محمد طاهر الكردي - يرحمه الله - قد أوفى وأجاد في عرض وتحقيق الأحداث التاريخية لعين زبيدة - قديماً وحديثاً - حيث أوردها نقلاً عن الشيخ الغازي وعن من سبقه من المؤرخين، ثم حاول ربطها وما واكبها من تطورات بأسلوب واضح حددت من خلاله المعالم ومراحل إعمار عين زبيدة، كما رواه المؤرخون أو ما تبين له عبر المشاهدة الحسية الذاتية.

*وهناك أديب آخر هو الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجة (١٣٢٤-١٣٦٠هـ) - يرحمه الله -، تابع تاريخ بناء وإعمار عين زبيدة ضمن بحثه التاريخي عن «المياه بمكة في أدوارها التاريخية» نشره في جريدة «أم القرى» بين عامي

١٣٥٣هـ/ ١٣٥٤هـ.

*وللزميل الأستاذ فيصل محمد عراقي - يرحمه الله - جهود طيبة في هذا الشأن تمخضت عن بحث طويل مدعم بالوثائق والصور الفوتوغرافية عن «المياه في مكة المكرمة قديماً وحديثاً» ضمه في موسوعته القيمة عن مكة المكرمة - لم تطبع بعد -.

على الهامش:

- قبل الحديث عن «عين زبيدة» ومراحل إعمارها عبر التاريخ أود الإشارة الى ما يلي:

١ - يلاحظ على كتابة المؤرخين القدامى عن «عين زبيدة» التشابه في النقل، والتباين - أحياناً - في عرض الأحداث أو تحديد الأعوام، أو ذكر أسماء الأماكن والأعلام.

كما أن من المؤرخين المحدثين من اعتمد على نصوص لم تكن محققة، ومنهم من أطلق العنان لخياله ليرسم وقائع لا تطابق الحقيقة، ونجد مثل هذا بين سطور كتاب «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» للمستشرق ك: سنوك هورخرونيه. وقد كانت صياغة وتعليق الدكتورين الفاضلين «محمد محمود السرياني، ومعراج نواب مرزا» على الكتاب ذات أثر كبير في الحفاظ على القيمة التاريخية لهذا الكتاب.

٢ - ويلاحظ أيضاً أن أخبار «عين زبيدة» تطول وتقصر تبعاً للفترة الزمنية التي يتحدث عنها المؤرخ أو عايشها - فمثلاً نجد المؤرخ السنجاري (١٠٥٧ - ١١٢٥هـ) في «منائح الكرم» قد تابع إعمار العين منذ البداية الى الأيام التي عاشها، وفق تسلسل زمني لحوادث الأعوام، وإن كان ذلك جاء في صورة متفرقة إلا أنه - في اعتقادي - كان أوفى من سابقيه - وصفاً وتوثيقاً - والله أعلم.

٣ - في كتابة بعض المؤرخين نجد مسميات أخرى لعين زبيدة مثل «عين بازان» وعين «عرفة» والبعض منهم يغفل عن ذكر عين «حنين» الأصل والأساس.

٤ - عندما تذكر عبارة «إعمار عين زبيدة» فإنها تعني: إما إزالة الترسبات الرملية أو الانسدادات التي تحدثها السيول في مجاريها وأقنيتها (الدبول)، أو إحداث إصلاحات لتجديد بناء القنوات أو تغيير مجراها إلى جهة أخرى، أو قيام بعض الأعمال الإنشائية الأكثر تطوراً.

(عين حنين).. البداية والأصل:

استهلت زبيدة عملها الخيري بإجراء عين «حنين» باتجاه مكة عبر عقبات طبيعية شائكة. وجاء في (أخبار مكة) للفاكهي ج٣، ص١٥٢: (وكان الناس يقولون: إنه لا يدخل ماء الحلِ إلى الحرم، لأنه يمر على عقاب وظراب وجبال).

ويصف الشيخ الكردي عملية إيصال عين حنين إلى مكة ثم عين نعمان إلى عرفة - نقلاً عن العلامة القرطبي. أذكره هنا بايجاز:

(إن منبع هذه العين - أي حنين - في ذيل جبل شامخ يقال له: (طاد)، من جبال الثنية من طريق الطائف. وكان الماء يجري إلى أرض يقال لها: حنين، يسقى بها نخيل ومزارع مملوكة للناس، وكان يسمى حائط «حنين». فاشترت زبيدة هذا الحائط، وأبطلت تلك المزارع والنخيل، وشقت له القناة في الجبال، وجعلت لها الشحاحيذ (أي: البرك) في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند الأمطار، وجعلت فيه قناة متصلة إلى مجرى هذه العين في محاذاتها يحصل منه المدد لهذه العين، فصار كل شحاذ عيناً تساعد عين حنين منها: عين مشاش، وعين ميمون، وعين الزعفران، وعين البرود، وعين الطارقي، وعين ثقبة، والخريبات، وكل مياه هذه العيون تنصب في دبل عين «حنين»، ويبطل بعضها، ويزيد بعضها

بحسب الأمطار الواقعة على إحدى العيون أو جميعها إلى أن وصلت على هذه الصورة إلى مكة المشرفة..).

عين نعمان

أمرت باجرائها زبيدة - جزاها الله خيراً - لسقاية الحجاج يوم عرفة، وهذا وصفها: (تنبع العين من جبل «كرا» المعروف، وهو جبل شامخ جداً، أعلاه أرض الطائف – ويخترقه حالياً طريق حديث يمر بالهدا - ينصب الماء من الجبل إلى موضع يقال له (الأوجر) من وادي نعمان، وتجري المياه منه إلى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات، فيها مزارع، فعملت القنوات إلى أن جرى ماء عين نعمان إلى أرض عرفات، ثم أديرت القناة بجبل الرحمة، محل الموقف الشريف الأعظم في الحج، وجعلت منها الطرق إلى البرق التي في أرض عرفات لملئها بالماء الذي يشرب منه الحجاج في يوم عرفة. ثم استمر العمل في إجراء القناة إلى أن خرجت من أرض عرفة إلى خلف جبل من وراء المأزمين على يسار العائد من عرفات يقال له: (ضاب). وتسمى عند أهل مكة (المظلمة) - وكنت أسمع بعض القبائل تطلق عليه: (مظلم) - ثم تصل منها إلى المزدلفة، ثم تصل إلى جبل خلف (منى) في قبليها، ثم تنصب في بئر عظيمة، مطوية بأحجار كبار جداً تسمى «بئر زبيدة» وإليه ينتهي عمل هذه القناة).

وفي كتاب «مرآة الحرمين» لإبراهيم رفعت باشا، وصف يوضح شكل هذه القناة، ويحدد أبعادها وفتحاتها بالأمتار.

مراحل إعمار «عين زبيدة»

مع مرور السنين أصبح مجرى عين زبيدة «عرضه للكوارث الطبيعية المتكررة التي غالباً ما تنجم عن السيول المدمرة»، ويشير (سنوك هورخرونيه) إلى أن المجرى كان يتعرض للتخريب المتعمد بأيد بشرية، وذلك في الصراعات السياسية التي كانت تحدث في المنطقة، ونتيجة لكل هذه العوامل أو غيرها فإن ذلك مما يؤدي إلى نقص في إمداد الماء أو شحه، فيعاني أهل مكة وضيوف الرحمن أشد المعاناة لفترات قد تستمر عشرات السنين، ويعود السبب إلى (إهمال أعمال الصيانة المستمرة للأقنية).

- ولأن الحديث عن الفترات الزمنية التي تم خلالها إعمار مجاري العين أو إصلاحها يحتاج إلى كتاب يتناول وصف الأحداث ومجريات العمل، فإني أكتفي هنا بمتابعة (زمنية) أوجزتها من بعض المراجع الهامة التي أشرت إليها آنفاً:

* * ي زمن الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) غارت عيون مكة، فأرسل بمائة ألف دينار لإجراء عين عرفة، فشرعوا في تنظيفها إلى أن جرت - وهي عين زبيدة - وتم ذلك في عام ٢٤٤ هـ وعند ابن الأثير في الكامل سنة ٢٤٥ هـ

* * في سنة ٦٢٥ هـ، ٦٣٤ هـ عمرها المستنصر العباسي، وأجرى بعض الإصلاحات.

* * في سنة ٧٢٦ هـ عمر الأمير «جوبان» عين حنين، وأجراها إلى أن وصلت مكة، وتعرف بعين بازان، وقد بعث لعمارتها ثلاثمائة ألف درهم. (وفي أخبار الفاكهي: أن اسم متولي العمارة بازان) وقد وصل الماء إلى مكة في العشر الأخير من جمادى الأولى من هذه السنة، وعم نفعها جميع العباد.

* * في سنة ٨١١ هـ كانت عمارة الشريف حسن بن عجلان نائب السلطنة بمكة والأقطار الحجازية، «وكان دخول الماء مكة في آخر العشر الأوسط من جمادى الأولى منها، وجرت جرياً حسناً بحيث امتلأت منها بركة الماجن بأسفل مكة، وتعدى الماء إلى غيرها، وعمرت خلال هذه الفترة أكثر من مرة لحصول انسدادات بها».

* *في سنة ٨١٨هـ عمرت عين بازان بعد انقطاعها فوصلت إلى مكة (الفاسي - في شفاء الغرام..).

* *ي سنة ٨٢١هـ عمرت عين حنين بأمر صاحب مصر شيخو، وندب لذلك القائد علاء الدين» ووصل الماء إلى مكة في آخر صفر سنة ٨٢٢هـ.

* *وفي حوادث سنة ٨٣٥هـ ذكر ابن فهد: أن الخواجة سراج الدين عمر الدمشقي، أحد التجار عمّر عين حنين المعروفة بعين بازان، فجرت في شهر رمضان ودخلت مكة، ومرت على سوق الليل إلى الصفا، وانتهت إلى باب إبراهيم إلى الماجن، فعم النفع بها وكثر الخير.

* *وفي سنة ٨٤٥هـ أرسل نائب السلطنة بمصر مالاً أجرى به العين إلى بركة السلم بطريق منى.

* *في سنة ٨٧٥هـ أمر الملك الأشرف قايتباي - من ملوك الجراكسة - بتعمير عين مكة وعين عرفات وبدأت العمارة في عين عرفات من جبل الرحمة إلى وادي نعمان، حيث وجدوا الماء هناك بكثرة، فخلوا سبيله إلى عرفة فوصلها بعد أن انقطع عنها مائة وخمسين سنة، كان الحجاج يقاسون فيها يوم عرفة الظمأ الشديد.

* *في الأعوام ٨٩٣هـ، ٩١٢هـ، ٩١٦هـ جرت أعمال إصلاحية في عين حنين وعين عرفة لتوفير المياه الصالحة للشرب للأهالي، لنضوبه وغلاء سعره.

* *ي سنة ٩٣١هـ طرأ أسلوب جديد في أعمال الصيانة، وتروي أحداث هذه السنة (في منائح الكرم - للسنجاري): أن السلطان سليمان خان أمر بتعمير العينين (عين عرفة، وعين حنين) وعيّن للعمارة ناظراً يقال له: مصلح الدين، من المجاورين «هو مصلح الدين جلبي مصطفى سافر سنة ٩٣١هـ إلى استانبول ليعرض على الأبواب العالية ما رآه بالنسبة لعمارة العين» فاجتهد، وأصلح القنوات إلى أن جرت عين حنين، ودخلت مكة، وخرجت من أسفلها إلى بركة ماجن، وأصلح عين عرفات إلى أن صارت تملأ البرك بعرفات. ثم اشترى الناظر المذكور عبيداً من مال السلطنة، واشترى لهم جواري وزوجهم ليقوموا بتنظيف الدبول إذا إحتاج الأمر إلى ذلك، وجعل لهم نفقات وجرايات من ديوان السلطنة، واستمرت العين على ما عمرها إلى أن صارت عرفة مزارع ومفارس. وقد غرق مصلح الدين مصطفى في بحر القلزم «خليج السويس» أثناء عودته إلى جدة من استانبول سنة ٩٣٧هـ.

* *في سنة ٩٦٥هـ انقطعت عين عرفة لقلة الأمطار، وصدر أمر السلطان سليمان خان بفحصها، فخرج المهندسون وتتبعوا أمرها فوجدوا أن من نعمان إلى بئر زبيدة يمكن أن يعمر - وبئر زبيدة، كما جاء في مرآة الحرمين، بئر عظيمة طويت بأحجار كبيرة جداً بينها وبين المنبع ٣٣٠٠٠م، وبينها وبين منى مسيرة ساعة ركوباً - وتولت زوجة السلطان سليمان الصرف على ذلك من مالها الخاص بعد استئذان السلطان. فبعثت إبراهيم باشا تغري للقيام بالمهمة، فشرع أولاً في تنظيف الآبار بمكة وزاد في عمقها ليحصل بها النفع، ثم شرع في تنظيف دبول عرفة، وطافها بالأجر، وطلب الصناع والمهندسين من كل أرض فأتوه من الشام ومصر والصعيد وحلب واستانبول واليمن، طوائف بعد طوائف. وعمر إلى أن بلغ وضع «بئر زبيدة» محل ما وقفت وتركت عمارة العين عندها، فلم يجد بعد ذلك دبلاً ولا عملاً، فضاق ذرعه. «والعلة في ذلك إعتراض الصخر الصلب للمجرى، والأمر يحتاج بعد هذه البئر إلى دبل طوله ألفا ذراع في خمسة أذرع حتى يصل إلى مساحة (عين حنين)، ثم يحتاج إلى حفر

خمسين ذراعاً في عرض خمسة أذرع في حجر الصوان،وحفر خمسمائة ذراع حتى يصلوا إلى هذا الجبل الذي يريدون أن يقطعوا فيه خمسين ذراعاً». وينقل الشيخ الكردي عن الشيخ الغازي يرحمهما الله: «وذلك يحتاج إلى عمر نوح ومال قارون وصبر أيوب، فما رأى عن ذلك محيصاً فأقدم عليه إلى أن فرغ الحطب من جميع جبال مكة فصار يجلب من المسافات البعيدة، وغلا سعره وضاق الناس بذلك، وتعب الأمير إبراهيم لذلك وذهبت أمواله وخدامه وأولاده ومماليكه، وهو يتجلد على ذلك إلى أن قطع من المسافة ألف ذراع وخمسمائة ذراعاً بالعمل، وصار كلما فرغ المصروف أرسل وطلب مصروفاً آخر، إلى أن صرف أكثر من خمسمائة ألف دينار ذهباً من الخزائن العامرة»، وفي سنة ٩٧٤هـ توفي إبراهيم بيك ناظر العمارة، ثم أقيم بعده سنجق جده الأمير قاسم بك الذي لم يقم بكبير عمل لقصور فهمه وتشبثه برأيه» ثم أسند عمل مباشرة العمالة إلى القاضي حسين الحسني فتمت على يده. يقول القطبي: «فأقدم بهمته العالية أتم إقدام إلى إكمال هذا العمل الشريف بالاهتمام».

الفرحة بوصول الماء

في العدد ٥٢١ من جريدة أم القرى الصادر بتاريخ الجمعة ٣٠ شعبان سنة ١٣٥٣هـ أورد الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجة وصفاً لهذا الحدث السعيد. يقول: (وبتاريخ ٢٠/١١/٩٧٩هـ وصل الماء إلى الأبطح، وسكب في قناة عين حنين) في خرزة بداخل بستان «بنونة» أمام دكة «المنحنى» بجانب «الشبيكة».

ومن هناك انحدر مع ماء حنين في مجاري عين حنين داخل مكة، وقد كان ذلك اليوم عيداً عند الناس ذبحت فيه الذبائح، وأولمت فيه الولائم، وقسمت فيه الكساوي، وعمل احتفال مهيب بالأبطح. جاء في إفادة الأنام، أن ما صرف على هذه العمارة بلغ ٥٠٠٧٠٠ ديناراً غير أجور إحضار أرباب الصناعات من الحدادين والحجارين والقطاعين وغيرهم (أي نفقات سفرية).

واستغرق هذا المشروع عشر سنوات تكاد تكون تامة، إذ قد وصل إبراهيم بك إلى جدة يوم ٢٣/١١/٩٦٩هـ، ووصل الماء إلى مكة يوم ٢٠/١١/٩٧٩هـ).

- ويلاحظ القارىء أني أسهبت في ذكر هذه العمارة لأهميتها، حيث كان من نتائجها التاريخية الهامة ربط عين زبيدة بعين حنين مما يزيد في كمية المياه داخل مكة المكرمة.

*وفي سنة ٩٨٢هـ حصل تعمير في عيون مكة وآبارها، وبني فيها دار الشفاء والحمامات.

* في سنة ١٠٢٥هـ عمرت عين عرفة، ولما وصل الماء الى مكة فرح به الناس فرحاً شديداً، وقد أمر بالتعمير السلطان أحمد خان.

* في سنة ١٠٦٦هـ انقطعت عين عرفة، وتعب الناس في أمر الماء، فعين لعمارتها صاحب جدة محمد بيك، فشرع في عمارتها، ونظف الدبول إلى أن سارت ودخلت مكة.

* في ١٢/١١/١٠٨٩هـ جاء الخبر بأن سيلاً جاء في «الأوجر» وأخرب نحواً من عشر خرزات ودفنها، فبادر الوزير عثمان حميدان، وصرف على العمل من عنده للإصلاحات.

* في ١٣/٤/١١٠٤هـ كسر في قناة العين نحواً من ثلاثين ذراعاً، فتوجه العمال لإصلاح ذلك، حيث تم بناء ما هدم، وجرى الماء كالمعتاد.

* في سنة ١٢٤٢هـ انقطع الماء عن مكة بالكلية لخراب حدث بالدبول بأسباب السيول، ومكث الناس نحو شهر في ضيق

عظيم، فأمر والي مصر بتعميرها وصرف على ذلك مبلغاً وافراً.

* في أواخر عام ١٢٩٢هـ حصل خراب في العيون، فاجتمع علماء مكة وتباحثوا في الأمر فاستقر رأيهم على جمع الإعانات لإصلاح الخراب، وأنشئت لذلك جمعية خيرية سميت بـ«جمعية وحدانة» نسبة إلى الحاج عبدالواحد الميمني الشهير بوحدانة - يرحمه الله - ثم انشئت بعدها جمعيات خيرية اعتمدت على التبرعات وساهمت في القيام بإصلاحات عديدة في العين ومجاريها. وقد أشار الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود إلى أن جمعية الزواوي «بذلت جهوداً لا بأس بها، وأنشأت بعض المؤسسات للاستغلال ساعدتها بعض الشيء، وبنت الدار التي تعلو بازان المسعى وجعلتها مقراً لأعمالها الكتابية والإدارية، وجددت تعمير بستانها الكائن بمحلة جرول المعروف ببستان البلدية، وأنشأت في قسم منه داراً كبيرة».

* ي ٢٤/١٢/١٣٢٨هـ وكذلك في ١٢/١/١٣٣٠هـ جاء سيل من وادي رهجان وهجم على وادي نعمان بقوة، ودخل في دبل عين زبيدة، وهدم عدداً من الخرزات القديمة. فقامت هيئة عين زبيدة بما كان يرى كالمعتاد من تنظيف الدبول، كما اتجهت إلى إصلاح مجاري عين حنين «عين مكة الأصلية» التي توقف العمل فيها مدة طويلة.

في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود

نقل الشيخ محمد طاهر الكردي عن الغازي - في تاريخه - قوله: (وفي السادس عشر من ربيع الأول سنة ١٣٤٤هـ دهم السيل في وادي نعمان قناة عين زبيدة ودخل فيها وخرب منها ثلاث خرزات، وانقطع الماء عن الوصول إلى مكة المكرمة زهاء ثلاثة شهور، فأصدر جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - يرحمه الله - بتعمير ما خرب من جيبه الخاص وحض أعضاء هيئة عين زبيدة على التشمير عن ساعد الجد، وبذل الهمة في إجراء العمل، فشرعوا في العمارة بجد واجتهاد وهمة ونشاط إلى أن سهل الباري بتعمير ما خرب ووصلت المياه إلى البلدة الطاهرة، وسقت العموم وذلك في شهر جمادى الثانية سنة أربع واربعين وثلاثمائة وألف. ومجموع ما صرف في هذا التعمير ألفين وثلاثة عشرين جنيها انكليزيا، وهذا عدا ما صرف على جند الإخوان الذين قاموا بالمساعدة الفعلية في وادي نعمان طوال مدة التعمير من الأرزاق والعطية لكل واحد منهم ريالاً مجيدياً في كل يوم..)

استعمال الأنابيب

ويشير الشيخ الكردي إلى نقلة حضارية في اسلوب التمديدات الأرضية للماء حدثت في العهد السعودي الزاهر. يقول في ذلك: (ولقد كان ابتداء استعمال مواسير المياه بمكة المشرفة في سنة ١٣٧٥هـ ألف وثلاثمائة وخمس وسبعين تقريباً، فتمتد هذه المواسير من مجاري عين زبيدة إلى المنازل في مختلف الحارات والشوارع وتصل هذه المواسير الممتدة تحت الأرض إلى أعلى طبقات الدور والمنازل، كما أنها تمتد من باطن الأرض إلى أعلى جبال مكة، ليأخذ سكان هذه الجبال الماء من هذه المواسير، ولقد ارتاحت الناس بهذه الحالة أشد الارتياح فجزى الله العاملين والمخلصين خير الجزاء).

- ولا أجدني بحاجة إلى استمرار المتابعة، حيث انتقلت أعمال التعمير والإشراف على (عين زبيدة) الى مرحلة تطويرية تولتها حكومتنا الرشيدة، فأصبحت لها إدارة مستقلة سميت إدارة عين زبيدة والعزيزية إلى أن أنشئت مصلحة المياه والصرف الصحي وتوسعت أعمالها براً وبحراً بعد دخول

أسلوب تحلية مياه البحر.

مرئيات:

المشروع الجديد لإعادة إعمار عين زبيدة يمثل - بلا شك - نظرة حضارية تستهدف إحياء التراث، والاستفادة من معطيات الخبرة من خلال تشغيل مدده الوفير لتأمين حاجة المجتمع من المياه التي أصبحنا ننادي بضرورة الحفاظ على كل قطرة منها، لعدم قدرة مصادرها العديدة على سدِّ الاحتياج العام.

وفعاليات المشروع الجديد تختلف - بطبيعة الحال - عن الأساليب القديمة المستخدمة لإيصال الماء، لأنها تقوم على دراسات حديثة مبنية على أسس فنية، وتستخدم تقنيات متقدمة، وآليات متطورة في متابعة الأثر أو تنفيذ خطواته.

- وبدوري أعرض على اللجنة المشكلة القائمة على هذا المشروع الوطني العام ما لدى من ملاحظات ومرئيات علها تفيدهم، وهي على النحو التالي:

أولاً: من خلال متابعتي لما نشر في الصحف المحلية عن الدراسة الهندسية لإعادة إعمار عين زبيدة لم أجد إشارة إلى «عين حنين» وهي الأصلية والتي بدأ منها عمل السيدة زبيدة - يرحمها الله - وهذا الرافد الهام سيتيح مع «عين نعمان» - إن شاء الله - توفير كميات هائلة من المياه تستفيد منها الأحياء الحديثة مثل: الشرائع. وغيرها.

ثانياً: نلاحظ اندفاع بعض الأهالي بوادي نعمان إلى بناء الآبار الإرتوازية لبيع الماء دون استثماره في مشاريع زراعية كبيرة، ولا ندري، ما هي الخطة التي رسمتها اللجنة لاستثمار المياه الجوفية في هذا الوادي وغيره؟!

ثالثاً: لعل من البديهي أن اللجنة الموقرة وضعت في الحسبان عملية الاستفادة من الوثائق التاريخية لعين زبيدة والتي لاشك أنها محفوظة لدى الجهة الرسمية التي كانت تشرف على العين، كما أن في نيتها الاتصال بكل من له علاقة بهذا الأثر التاريخي الهام سواء بالمساهمة المباشرة في أعمال التنظيف التي تمت في العهود الأخيرة، أو المعرفة عن قرب بمواقع الروافد والقنوات الرئيسية، والخرزات، والأميات، والبازانات التي كانت موزعة في أحياء مكة المكرمة.

هذا وأرجو الله تعالى أن يوفق القائمين على هذا المشروع الخيري العظيم، ويكتب لهم النجاح في كل خطواتهم، وأن يجزي حكومتنا الرشيدة خير الجزاء على كل ما تبذله في سبيل إسعاد المواطنين، وتهيئة سبل الراحة للوافدين من ضيوف الرحمن حجاجاً ومعتمرين وزائرين، والحمد لله رب العالمين.

* كاتب وباحث سعودي

المراجع:

١ - أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، الإمام أبي عبدالله محمد بن اسحاق الفاكهي، دراسة وتحقيق د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط٢، ١٤١٤هـ.

٢ - التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، محمد طاهر الكردي المكي، ط١ ١٤٢٠هـ.

٣ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، للعلامة أبي الطيب تقي الدين الفاسي، ط٢ ١٩٩٩م، مكتبة النهضة الحديثة، عبدالشكور فدا.

٤ - منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، لعلي بن تاج الدين السنجاري، جامعة أم القرى، ومركز إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٥ - المجموعة الكاملة لأعمال الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه، إعداد/ حسين عاتق الغريبي. معد للطبع.



مكانة المرأة في الإسلام



بقلم أ . نجيب عصام يماني*

طلب مني رئيس التحرير أن أشارك في العدد القادم لمجلة الحج المميزة والتي بدأت تأخذ منهجاً يتناسب ومكانة هذه المجلة والموجهة لمسلمي الدول الإسلامية في شتى أنحاء العالم مع مجموعة من الكتاب الأفاضل وذلك عن موضوع المرأة في الإسلام ومكانتها.. وأضاف مبتسماً مقارنة بين وضع المرأة في العصر الجاهلي وصدر الدولة الإسلامية فقط:

(.. إنها من سقط المتاع تباع وتشترى في الأسواق).

(.. أنها مثل الدواب والأنعام تورث لمن يستحق الميراث).

(.. إنها ناقضة لنواميس الله مشوهة لصورة الرجل).

(،، أنها رجس من عمل الشيطان).

(.. أنها خطر على الأسرة ومصيبة كبرى).

(.. إنها شر لابد منه).

(.. أنها قاصرة طيلة حياتها ليس لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها بل يجب أن تموت يوم موته وتحرق معه وهي حية على موقد واحد).

(.. البنت عار لأبيها يجب أن يتوارى خجلاً منه فلا يغشى مجلساً ولا يحضر نادياً إلا إذا تخلص من عاره وتطهر من رجسه فدفن البنات من المكرمات).

مجموعة من نعوت وصفات أطلقت على المرأة ووصفت بها في مختلف الحارات القديمة.

ولم يكن عرب الجاهلية قبل بزوغ فجر الإسلام أحسن حالاً من هؤلاء، فقد كانوا يكرهون البنات ويتشائمون من الأنثى ويسارعون إلى وأدها ودفنها حية وكان الفرس والناقة أكرم وأجل من المرأة ولعل أوصف وصف لهذه الحالة ما قاله الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن وضع المرأة في الجاهلية (والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد النساء إلا متاعاً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم) كانت النظرة للمرأة نظرة دونية فيها المهانة والذل، تعتبر من سقط المتاع تولد لتوأد خشية العار، وتكبر ليمارس عليها كل أنواع الظلم والعذاب مسلوبة الإرادة عديمة الحقوق، لا قانون يحميها ويحفظ عليها كرامتها ويصون آدميتها تشترى وتباع وتورث مثلها مثل البهيمة والدابة، كانت أمة للرجل كماً مهملاً موضع للتشاؤم وسوء العاقبة ولادتها نذير

شؤم مجلبة للفقر والإملاق.. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب﴾، جاهلية مدقعة غارقة في ظلام الذل والعبودية والتطرف فالمرأة قبل الإسلام كانت تابعة للرجل في كل أدوار حياتها تعاني من وطأة القيود الثقيلة التي تفرضها عليها العادات والتقاليد الهمجية، فإذا مات زوجها ورثها ابنه فإن شاء تزوجها وإن شاء زوجها غيره واستولى على مهرها، وهذا دليل على أن المرأة لم تكن شيئاً مذكوراً فليس لها الحق في أن ترث ولم تكن قرابة الأم ذات اعتبار، وكانت منزلتها الخدمة والاستمتاع فقد اشتهر لديهم أن المرأة لا تدفع عاراً، ولا تقاتل عدوا ولا تجلب مغنماً وهي كلٌ على أهلها وعشيرتها حتى قيل أن نصرها بكاء وبرها سرقة، وكثيراً ما تجلب العار على أهلها وتلوث شرف عشيرتها واسمهم حتى أن بعض الجاهليين ممن اشتط في كره النساء اعتقدوا أن الأنثى رجس من عمل الشيطان، أو من خلق إله غير آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فيجب التخلص منها.. لا تملك ولا ترث ولا تبيع ولا تشتري ليس لها حق في شراكة أو في شأن اقتصادي أو اجتماعي لا تتساوى مع الابن في نطاق الأسرة آدميتها معدومة الملامح، ليس لها أي اعتبار ولم يكن لها جهد معلوم أو دور في المجتمع وهي ليست أهلاً للتدين والتخلق بالفضيلة اعتقدوا.. بأن مهمات الحياة لا تقتضيها دوراً أساسياً تسهم به في المحيط العام.. حتى أشرقت شمس الرسالة بتعاليمها التي حملها نبي الهدى والرحمة محمد صلى الله عليه وسلم وكانت البداية تحرير الإنسانية كلها من العبودية والظلم والمفاهيم الجاهلية، وإخراجهم من الظلمات إلى النور فيصدح قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ وكان للمرأة نصيبٌ موفورٌ من هذا التكريم الإلهي على يد محرر الإنسانية ومنقذها رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فأعطى الإسلام للمرأة حقوقها المسلوبة ورفع شأنها إلى مكانة لم تعرفها شعوب العالم المتحضر إلا مؤخراً، وجاء القرآن الكريم بنصوص وآيات تؤكد أن النساء شقائق الرجال فارضاً بذلك حقيقة لم تعرفها الإنسانية من قبل وهي المساواة بين الجنسين ومساواة كاملة تراعي الفوارق الطبيعية بين الأنوثة والرجولة والأحكام المالية التي تلقى على الرجل أعباء لم يثقل بها كاهل المرأة، كما جعل لها مشاركة له في المسؤولية الإنسانية ﴿إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ وجعل الله لها كرامة وقيمة ووضع لها نصوصاً وأحكاماً في القرآن والسنة تحفظ كرامتها وآدميتها وجعل من زواجها عقد رضائي لا إكراه فيه وأنزل فيها آيات محكمات تقرأ إلى أن تقوم الساعة، وأفرد لها سورة باسمها في القرآن.

وسنّ لها سنناً وحدّ لها حدودا تضمن لها حقوقها وواجباتها بعيداً عن تعسف الجاهلية وأحكامها.

ويقرر القرآن الكريم على لسان رسول الله بأن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقد اتضح دور المرأة منذ البداية في تكريم النبي صلى الله عليه وسلم لزوجته خديجة والأخذ برأيها والاستئناس به.

روى أبو هريرة رضي الله عنه في صحيح البخاري ومسلم أنه قال: حين أنزل الله ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ قام رسول الله منادياً (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم.. لا أغني عنكم من الله شيئاً يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد سليني ماشئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً)وفي هذا دلالة أكيدة على استقلال شخصية المرأة منذ اليوم الأول للدعوة، وقد ظهر دور المرأة بشكل أكبر وأشمل في مجتمع المدينة بعدما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إليها واستتب له الأمر هناك، فكانت المرأة تمارس نشاطها العلمي والتجاري والسياسي والوظيفي والاجتماعي جنباً إلى جنب الرجل المسلم، فكانت تحضر مجالس العلم في المسجد النبوي وتصلي مع الجماعة وتشهد الجمع والجماعات والأعياد وتستمع إلى أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وترويها.

وكانت المرأة تشارك برأيها ففي معاهدة الحديبية التي عارضها الصحابة احتار النبي صلى

الله عليه وسلم فيما يجب عمله فأشارت عليه أم سلمة أن يحلق رأسه ويكمل التضحية، فرضخ الصحابة لرأيها وقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم (حبذا أنت يا أم سلمة لقد انجى الله المسلمين بك من عذاب أليم).

وها هو خليفة رسول الله سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يستمع إلى رأي ابنته ومشورتها ويصدر أمره بأن لا يغيب المحارب عن أهله أكثر من أربعة أشهر.. وتلك المرأة التي يشق صوتها الصفوف وتقول للخليفة أخطأت فيتراجع عمر ويقول أخطأ عمر وأصابت امرأة في قضية المهور، ولعل من الإنصاف أن نذكر أن المرأة في الإسلام قد أعطيت حقوقها كاملة فها هي أم مبشر الأنصارية تعمل في نخل لها ويؤيدها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (لايغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولا دابة إلا كانت له صدقة) ويبارك رسول الله صلى الله عليه وسلم إنفاق إمرأة ابن مسعود على زوجها وأولادها ويقول (إن لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم) مؤكداً عليه الصلاة والسلام أهلية المرأة للعمل.

وينتقل الإسلام بالمرأة من سقط المتاع إلى حقها في أن تتولى جميع المناصب التي يتولاها الرجل وأن اختلفوا على وظيفة واحدة وهي رئاسة الدولة. يقول الطبري: (يجوز أن تكون المرأة حاكماً على الإطلاق في كل شيء فمن ردّ قضاء المرأة شبهة بقاء الإمامة الكبرى ومن أجاز حكمها في الأموال فتشبيهها بجواز شهادتها في الأموال، ومن رأى حكمها نافذاً في كل شيء قال: إن الأصل هو أن كل من يتأتى الفصل بين الناس فحكمه جائز إلا ما خصصه الإجماع من الإمامة الكبرى) وقال ابن حزم (وجائز أن تلبي المرأة الحكم وهو قول أبي حنيفة) وقد قال صلى الله عليه وسلم (والمرأة راعية في مال زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها ويجوز أن تكون قاضية في غير الحدود لأن شهادتها في غير الحدود جائزة، وقد أجاز المالكية أن تكون وصية ووكيلة كما أعطاها الإسلام الحق في أن تجهر بالمطالبة في حقها وترفض الغبن والإكراه أن يمارس عليها كما ثبت في قصة أم عبدالله بن عمرو بن العاص التي أتت النبي تشتكي زوجها أنه لا يؤدي حق أهله وقصة أم هانيء التي لم تخجل من طلب الرسول صلى الله عليه وسلم لخطبتها، واعتذرت منه باسلوب مهذب أدهش الرسول صلى الله عليه وسلم فامتدحها الرسول صلى الله عليه وسلم لجرأتها.

وقد سمح الرسول صلى الله عليه وسلم للمرأة بالمشاركة في قتال المشركين فشهدت أحداً والحديبية وخيبراً وحنيناً وعمرة القضاء ويوم اليمامة وركبت البحر وشاركت في إعداد الجيوش وداوت الجرحى ودافعن عن رسول الله حتى قلد رسول الله أمية بنت قيس الفقارية قلادة مثل الأوسمة الحربية التي تعلق على صدور القادة والأبطال في وقتنا الحاضر.

وكان للمرأة في عهد رسول الله الاستقلال الكامل حتى أنه ليحق لها أن تجير كافراً في بيتها وهو ما يسمى في عصرنا الحاضر «بحق اللجوء السياسي» وقد روى الشيخان واجارة أم هانيء بنت أبي طالب لرجلين مشركين من بني مخزوم وقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم (لقد أجرنا من أجرت يا أم هانيء) وتتجلى عظمة الإسلام في تقدير المرأة وأعطاها حقها كاملاً بأن جعل المرأة إن كانت بكراً ودخلت سن البلوغ واجتمع لها رأي وفهم أو ثيباً مأمونة على نفسها فليس لأحد من أوليائها أن يجبرها على الإقامة عنده والأمثلة كثيرة وكتب الصحاح والتاريخ والسيرة مليئة بالأحداث والنماذج التي تظهر إلى أي مدى كرم الإسلام على لسان نبيه العظيم المرأة وجعل منها إنساناً وعضواً فعالاً بين أفراد مجتمعه.

فعن معاوية بن جاهمة أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يارسول الله أردت أن أغزو وقد جئت استشيرك.. فقال هل لك من أم؟ قال نعم.. قال فألزمها، فإن الجنة عند رجلها» رواه النسائي وابن ماجة، كما روى أحمد في صحيحه قول رسول الله «من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة» وبذلك يضع الإسلام الحنيف المرأة في كل أحوالها على بساط التكريم والاحترام والمودة وحفظ الحقوق والواجبات ويضمن لها منزلتها وكرامتها ويحقق لها حياة تتفق مع طبيعتها ورسالتها.. وصلى الله على سيدنا محمد القائل «استوصوا بالنساء خيرا» وهذا أكرم تكريم للمرأة.

---

* كاتب سعودي

تكريم الإسلام للمرأة

بقلم: أ. ليلى محمد محمد

لقد كانت المرأة قديما عند أغلب الشعوب وقبل بزوغ فجر الإسلام العظيم رهينة العمل في منزل أسيادها الرجال، تعمل وتعني به دون أن تبدي رأيا، أو تشارك في أمر، فالكلمة الأولى والأخيرة لمن يرعاها.. واستمرت بها هذه الحال بين مد وجزر حتى أواخر القرن السادس الميلادي حين انبثق فجر الإسلام نورا يشع على كل شيء يميز الخبيث من الطيب، ويحل الفاسد ويبطله، ويمد النافع ويحييه، ليؤتي بالتالي أكله وثماره الطيبة. ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ (١) صدق الله العظيم.

وكان مما عنى به الإسلام وأصلح فاسده، وقوى محاسنه قضية المرأة، تلك القضية التي أعلنت صوت الحق والسماء على لسان سيد المرسلين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان ذلك الصوت الرباني مدوياً من جزيرة العرب الجرداء بسهولها البلقاء وجبالها الحمراء، من مكة المكرمة والمدينة المنورة إلى سائر أنحاء الدنيا من أقصاها إلى أقصاها.. وانطلق بذلك الصوت، صوت العدالة الإلهية، وصوت المساواة والحق، ليضع الميزان القسط لكرامة المرأة، فرد بذلك اعتبارها كإنسان له حقوقه كاملة غير منقوصة، وعليه واجبات ترفع من قدره وتبرهن على وجوده ومكانته من الوجود الكوني، كما ترفع عن كاهلها وزر الإهانات التي لحقت بها عبر الدهور، والتي صنعتها أهواء الجاهلية وغطرسة المتكبرين الذين أغوتهم الدنيا وأعماهم الجشع.

فأول ما أعلن الإسلام على لسان رسولنا الأعظم صلوات الله عليه أن المرأة كالرجل في الإنسانية سواء بسواء لقوله تعالى: ﴿**يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً**﴾(٢) وأيد ذلك الحديث الشريف بقوله: «إنما النساء شقائق الرجال».

ثم دفع الإسلام عن المرأة اللعنة التي كان يلصقها بها الوثنيون، فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئاً منها وحدها بل منهما معاً.

فقال تعالى: ﴿**فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه..**﴾(٣) وقال عن توبتهما: ﴿.. **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾(٤).

حتى أن القرآن الكريم في بعض آياته الكريمة نسب الذنب لآدم وحده فقال: ﴿.. **وعصى آدم ربه فغوى**﴾(٥) كما نفض عنها مسؤولية أمها حواء، وعفا عن ذنبها وزوجها آدم ﴿.. **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه**﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿**تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون**﴾(٧).

ولقد ساوى الإسلام المرأة مع الرجل في اعتبارها أهلاً للتدين والعبادة ودخول الجنة إن أحسنت ومعاقبتها إن أساءت، قال عز من قائل: ﴿**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن**

فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾(٨) وقال تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾(٩).

وهكذا نرى في كثير من الآيات الكريمة تأييداً وتأكيداً على مبدأ المساواة في المعاملة بين الرجل والمرأة. فيقول سبحانه: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾(١٠).

وقد حارب الإسلام التشاؤم بالمرأة والحزن حين ولادتها كما كان الأمر في جاهلية العرب. فقال جل وعلا منكراً هذه العادة السيئة: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾(١١).

ومازال الإسلام والقرآن يرفع من شأن المرأة ويدخل في عقول وقلوب المسلمين فكرة مساواتها حتى حقق تحريم وأدها، وشنع على ذلك أعظم التشنيع قال سبحانه: ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت؟﴾(١٢).

وقال تعالى: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾(١٣).

ومن مظاهر تكريم المرأة أيضاً أن جعل سبحانه وتعالى خلق المرأة وإبداعها من نفس الرجل، فكانت سكناً له، وكانت فيئاً يفيء إليه عند الشدة، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(١٤).

وقال عليه السلام: «خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة، إن نظرت إليها سرتك، وإن غبت عنها حفظتك..»

وقال لأحدهم حين سأله عن الجهاد في سبيل الله.. هل أمك حية؟ قال نعم. قال: إلزم رجلها فثم الجنة».

ولم يقتصر الإسلام في إعطاء المرأة حق الإرث أماً كانت أو زوجة أو بنتاً أو أختاً، كبيرة كانت أو صغيرة، حتى ولو كانت جنيناً.. كما أعطاها حق التصرف بهذا المال، أي جعلها سيدة نفسها تتصرف بحياتها وأموالها كما شاءت.

ولم ينس الإسلام أن يصون حق المرأة في الحياة الكريمة فنظم علاقاتها مع زوجها وجعلها علاقة مودة وحب وعلاقة بذل وعطاء من كلا الجانبين.

فقال تعالى: ﴿.. هن لباس لكم وأنتم لباس لهن..﴾(١٥) وقال جل شأنه: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(١٦).

ويمتد تكريم الإسلام للمرأة حتى يشمل حياتها كلها إيجابية كانت أو سلبية حين ينظم قضية الطلاق مما يمنع تعسف بعض الرجال فيه واستبدادهم بمصير الزوجة والأولاد.

وكانت المرأة العربية المسلمة في العصور الإسلامية الأولى أهلاً لبناء شخصية المرأة المسلمة في ظل الأخذ بالعدالة والمساواة.. لذا علينا الاقتداء بها أحسن الاقتداء، فنكون أهلا لبناء مجتمعنا العربي المسلم الحديث، بناء يقوم على دعائم من القوة والإيمان، والعفة والكرامة والثقة بالنفس.. ولنجعل من أنفسنا صخرة صلدة تتكسر على جنباتها أنياب ومخالب أعداء العروبة والإسلام.

حين كان وكما نعلم موقف المرأة العربية المسلمة موقفاً أخلاقياً وبطولتها بطولة تتحدى بها العقول القاصرة في أقصى بلاد العالم وأدناه.. فهي التي ضربت الأمثلة الرائعة في الشمم والإباء والاعتداد بالنفس والكرامة وهي التي لم يؤثر عنها قط استخذاء أو ابتذال أو خضوع بل إيمان وبطولة وعفة وعزة وكرامة ودفاع عن الحق في مواجهة الباطل.. فها هي زينب في كرمها!! والخنساء في بطولاتها!! وأسماء في تضحياتها!! وسمية أم عمار في قوة إيمانها وصبرها!! والزباء في حنكتها وقوتها!! وها هي كل فتاة عربية آمنت بالإسلام ديناً، وبالمرأة شرفاً وعزة وأخلاقاً.

ومن الجدير ذكره أن المرأة العربية المسلمة قد بدأت تقطع شوطاً بعيداً في ميدان التربية في تاريخ الأمة العربية الحديث، فبعض النساء العربيات المؤمنات العاملات اللواتي شمرن عن سواعدهن فأحسن غراس الأمة، ثم أجدن السقاية والعناية فأنبتن النبات الحسن.. فساهمن مساهمة فعالة في ميدان التربية المنتجة مسفرة بذلك عن أصالة جوهرها وجودة معدنها العربي الإسلامي، الذي يشع نوراً وعطراً على مجتمعها، وفعالية فياضة على أمتها ومجتمعها.. وأخيراً:

فهذا غيض من فيض مما ورد في أبواب الشريعة الإسلامية الغراء من تكريم الإسلام للمرأة سواء في كتاب الله تعالى أو في السنة الشريفة من قول أو فعل أو تأييد، أو ما أجمع عليه المسلمون، وتعارف عليه المؤمنون وتوارثوه خلفاً عن سلف.

* كاتبة من سورية

الهوامش:

(١) سورة الكهف الآية ٤٩.
(٢) سورة النساء الآية ١.
(٣) سورة البقرة الآية ٣٦.
(٤) سورة الأعراف الآية ٢٣.
(٥) سورة طه الآية ١٢١.
(٦) سورة البقرة الآية ٣٧.
(٧) سورة البقرة الآية ١٣٤.
(٨) سورة النمل الآية ٩٧.
(٩) سورة آل عمران الاية ١٩٥.
(١٠) سورة الأحزاب الآية ٣٥.
(١١) سورة النحل الآيتين ٥٨-٥٩.
(١٢) سورة التكوير الآيتين ٨ - ٩.
(١٣) سورة الأنعام الآية ١٤٠.
(١٤) سورة الروم الآية ٢١.
(١٥) سورة البقرة الآية ١٨٧.
(١٦) سورة الروم الآية ٢١.

بعض المصادر:

الإسلام والمرأة ـ سعيد الأفغاني ـ دار الفكر. بيروت طـ٣ سنة ١٩٩٠م.
ـ مكانة المرأة في الإسلام ـ محمد عطية الإبراشي ـ دار الشعب القاهرة سنة ١٩٧٠م.
ـ المرأة في القرآن والسنة ـ محمد عزت دروزة المكتبة العصرية صيدا بيروت ـ سنة ١٩٦٧م.



الزهازمة قديماً

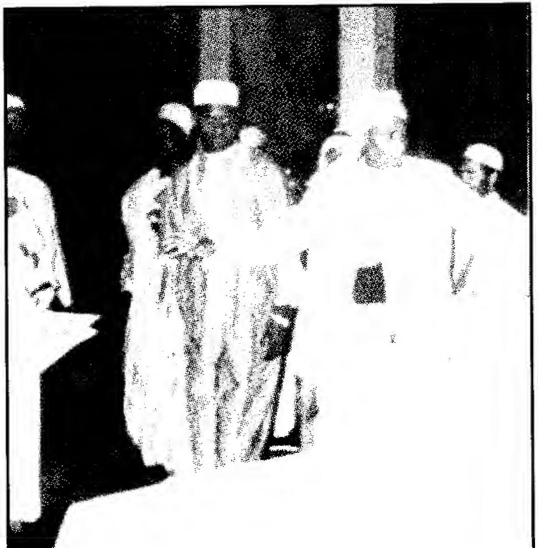


بقلم/ م.

عبد الله عبد الستار دويرى*

كان شيخ الزمازمة بعد انتخابه يقوم باختيار نقيب ثم يتم تعيين عشرة أعضاء لهيئة الزمازمة بالانتخاب وذلك لمساعدة شيخ الزمازمة في عمله، ثم يقوم شيخ الزمازمة بعد ذلك بتعيين شيخٍ لسقاة بئر زمزم يقوم بالإشراف على أعمال السقاية حيث أنه عصب العمل للزمازمة.

هذا وقد كان الزمازمة قديماً أسرة واحدة وشيخهم يعتبر كبيراً لهذه الأسرة فكانت لهم اجتماعات دورية يطمئنون فيها على أحوالهم الشخصية ويتعاونون مع بعضهم البعض في حال حدوث أي ظرف لفرد منهم، ويتشاركون في المناسبات الاجتماعية كالزواج والأعياد.. وخلافه، كما كان شيخ الطائفة يقوم بحل أي خلاف يحدث بينهم سواء كان في العمل أو غيره.



موسم الحج والزمازمة

في البداية نحب أن نوضح أن الحجاج في الماضي كانوا ينقسمون إلى حجاج تقارير وحجاج سؤال فالحجاج التقارير لا يسألون عن الزمزمي التابعين له بل يسألوا عن بلدتهم، والحجاج السؤال هم الذين يسألون عن الزمزمي التابعين له، وإذا لم ينطق الحجاج السؤال باسم زمزمي يسجل الحاج فلتاً ويعين لهؤلاء الحجاج فقراء الزمازمة.

وعندما يبدأ موسم الحج يقوم النقيب بفرش حنبل أمام بئر زمزم ويستعد لسؤال الحجاج عند خروجهم من الطواف ويسألهم عن الزمزمي التابعين له، فإذا كان موجوداً يقوم بقول الدعاء المأثور لشرب ماء زمزم ويجعل الحجاج يرددونه وراءه وكان يجلس مع النقيب شيخ الزمازمة وإثنين من الأعضاء فإذا لم يتواجد الزمزمي يقوم النقيب بسقياهم بعد الدعاء، ثم بعد ذلك يقوم النقيب بإبلاغ الزمزمي الذي ورد له حجاج ليقوم بإيصال الزمزم إلى مساكنهم.

الزمازمة والسقيا

لقد كان لكل زمزمي خلوة داخل الحرم الشريف يضع فيها أوانيه

المكونة من الأزيار الكبار يطلق عليها أزيار مغربي (وهي عبارة عن خزانات من الفخار) والدوارق والشراب وأيضاً مصنوعة من الفخار والحنابل والمفارش والطيس المنقوش عليها آيات قرآنية والمصنوعة من النحاس.

وكان ماء زمزم المبارك يجلب بواسطة السقاة الذين كانوا متخصصين في نقل ماء زمزم من البئر مباشرة إلى خلاوي الزمازمة المنتشرة في أروقة الحرم الشريف من بعد صلاة الصبح بواسطة القرب المصنوعة من الجلد، وكان السقاة يجلبون ماء زمزم من البئر بواسطة الدلو وهناك دلوين يسمى الأول الدلو اليماني ويسمى الثاني بالدلو الشرقي.

وكان هناك فرشات في حصاوي المسجد الحرام لكل زمزمي فرشة أو فرشات حسب أعداد حجاجه موزعة في أنحاء الحرم الشريف ويقوم الزمزمي وأبناؤه والصبيان التابعين له بوضع الدوارق والشراب بعد أن يضع عليها (النيشان) الخاص به وهو عبارة عن علامة تميزه عن الزمزمي الآخر وبعد ذلك يقوم الزمزمي والتابعين له بإجراء عملية البخور أي تبخير الأزيار (بالمستكا) ويبخر الطيس بعد ذلك تتم عملية تعبئة الدوارق والشراب من ماء زمزم المبخر وهناك مرافع كبيرة وصغيرة داخل كل خلوة من خلاوي الزمازمة مصنوعة من الحديد والخشب توزع هذه المرافع على الحصاوي وعليها الدوارق والشراب ويشرب منها الحاج والمعتمر والزائر وأهالي مكة وتوضع الدوارق الصغيرة الحج على الفرشات التابعة لكل زمزمي وتغطى بالشاش، كما كانت تتم عملية توزيع ماء زمزم على مساكن الحجاج بواقع دورق واحد لكل حاجين ويستمر هذا التوزيع يومياً حتى مغادرة الحجاج إلى بلادهم.

رمضان والزمازمة

كان الزمازمة في شهر رمضان المبارك يبدأ عملهم من بعد صلاة الظهر مباشرة حيث يجهز كل زمزمي الدوارق لتوزيعها على الأقارب والأصدقاء والمطوفين التابعين له ويجهز الفرش المخصوص له بالمسجد الحرام.

الزمازمة وغسل الكعبة المشرفة

كان الزمازمة يشاركون في غسل الكعبة المشرفة مع ملك البلاد أو من ينوبه مع سدنة بيت الله الحرام (آل الشيبي) وأغوات المسجد الحرام وأهالي مكة المكرمة في ١٥ من شهر شعبان والسابع من شهر ذي الحجة من كل عام.

---

* رئيس مجلس إدارة مكتب الزمازمة الموحد بمكة المكرمة



استطلاع عن مبرة خادم الحرمين الشريفين

على مدى سبعة عشر عاماً كانت ولازالت مبرة خادم الحرمين الشريفين للمياه المبردة بمكة المكرمة تقدم عطاءاتها لحجاج بيت الله الحرام.

وتعد هذه المبرة واحدة من المكارم العديدة التي خص بها المليك المفدى قاصدي البيت الحرام من معتمرين وحجاج رافدا من روافد الخير في بلد الخير والعطاء.

والمتتبع لمسيرة العمل والإنتاج داخل مصنع المبرة يدرك مدى الرعاية والاهتمام التي يبذلها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ لتوفير المياه النقية المبردة لضيوف الرحمن بمكة المكرمة والمشاعر المقدسة المشهورة بإرتفاع درجة حرارتها نتيجة لمناخها الحار.



المهندس/ خالد البدري

ورغبة من (مجلة الحج) في إلقاء الضوء على هذه المبرة الملكية كانت لها جولة استطلاعية داخل (مصنع مبرة خادم الحرمين الشريفين للمياه المبردة) بمقره الواقع بوادي رهجان أحد روافد وادي نعمان بطريق مكة المكرمة ـ الطائف شرق مشعر عرفات حيث التقينا بسعادة مدير عام مصلحة المياه والصرف الصحي بمنطقة مكة المكرمة المكلف المهندس خالد بن عبدالقادر البدري وبسؤاله عن فكرة إنشاء المصنع أوضح أن فكرة إنشاء المصنع ولدت برغبة وحرص شديدين من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ لتقديم أفضل الخدمات وأيسرها للمعتمرين والحجاج حيث رأى ـ يحفظه الله ـ أن الحجاج أثناء أدائهم لفريضتهم يستهلكون كميات كبيرة من المياه المبردة ليطفئوا ظمأهم نتيجة لإرتفاع درجة الحرارة فترتوي أوردتهم بالمياه المبردة لتمنح الجسم طاقة وحيوية خاصة وأن نسبة كبيرة من القادمين لأداء فريضة الحج يأتون من مناطق ذات طبيعة باردة.

وسعياً للأجر والمثوبة من رب العباد وامتداداً لأعماله الخيرة أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ أمره الكريم بإنشاء هذا المصنع على نفقته الخاصة ليقوم بإنتاج وتعبئة المياه العذبة النقية ووضعها داخل عبوات بلاستيكية سعة الواحدة منها نصف لتر توزع مبردة على المعتمرين والحجاج منذ لحظة وصولهم الأراضي المقدسة وحتى مغادرتهم لها.

وبين المهندس خالد البدري أنه في مطلع عام ١٤٠٤هـ صدر الأمر الملكي الكريم بالبدء في إنشاء هذا المصنع واختيار الموقع المناسب له بالقرب من منطقة المشاعر المقدسة ومكة المكرمة.

وتشرفت مصلحة المياه والصرف الصحي بمنطقة مكة المكرمة بالإشراف على تنفيذ المصنع الذي يعد الأول من نوعه في الشرق الأوسط وبدء العمل بإجراء دراسة فنية جيولوجية لمعرفة الأودية ذات المياه العذبة الغزيرة.

وعقب الانتهاء من الدراسات المتكاملة للأودية المحيطة بالمشاعر المقدسة وقع الاختيار على وادي رهجان أحد روافد وادي نعمان ليكون مقراً لهذا المصنع بعد أن ثبت لدى فريق خبراء المياه الجوفية أن هذا الواد يمتاز بالمياه الغزيرة والعذبة.

وبعد ترسية مشروع إنشاء المصنع تم البدء في حفر العديد من الآبار الجوفية لتغذية



المصنع بالمياه العذبة النقية.

وأشار إلى أنه تم استيراد مكائن الإنتاج من سويسرا على نفقة خادم الحرمين الشريفين -يحفظه الله- لتكون بداية الإنتاج بماكينتين لتعبئة العبوات آلياً وماكينة للتحلية وأخرى للتعقيم تعقيماً دقيقاً بالأشعة فوق البنفسجية.

وعن بدء المصنع لإنتاجه ومراحل العمل فيه يقول مدير عام مصلحة المياه والصرف بمنطقة مكة المكرمة المكلف المهندس خالد بن عبدالقادر البدري: بدأ المصنع إنتاجه في السنة الأولى من تأسيسه وتحديداً في شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٤هـ بإنتاج مليون ونصف المليون عبوة.

أما مراحل العمل في المصنع فتنقسم إلى ثلاث مراحل رئيسية هي:

١ - مرحلة الإنتاج: ويتم فيها ضخ مياه الآبار بواسطة مضخات غاطسة قوة (٤٥) حصان وتصرف (٥٠) متراً مربعاً في الساعة من المياه يتم تمريرها داخل أنابيب إلى الفلتر الرملي ثم إلى جهاز الأشعة فوق البنفسجية والذي يعمل على قتل البكتريا التي قد تتواجد بالمياه.

ومن ثم يتم تمرير المياه إلى جهاز التناطح العكسي الذي يعمل على تقليل نسبة الأملاح الذائبة في المياه ثم يتم نقل المياه إلى مكائن الإنتاج والتعبئة بواسطة الأنابيب.

وتقوم مكائن الإنتاج بتعبئة هذه المياه في أكياس بلاستيكية سعة الكيس الواحد نصف لتر، وهي أكياس محكمة الإغلاق.

وتتم عملية التعبئة والقص واللحام أتوماتيكياً داخل المكينات ووفق أحدث الأساليب التقنية بشكل يضمن جودة المياه وبقاء نقاوتها.

٢ - مرحلة التخزين: وتتم بعد الانتهاء من إنتاج العبوات إذ يتم وضع العبوات داخل سلال بلاستيكية معدة لهذا الغرض.

وأشار المهندس البدري إلى أنه نظراً لأن العمل في المصنع يتطلب إنتاج كميات كبيرة من هذه العبوات لتوزيعها على المعتمرين والحجاج خلال فترتي شهر رمضان المبارك وموسم الحج فقد قامت المصلحة بإنشاء مستودع كبير حول المصنع لتخزين العبوات

المنتجة بها مع مراعاة الطرق الصحية للتخزين.

وتم العمل على زيادة مساحة المستودع مع تزايد إنتاج المصنع عاماً بعد آخر حيث كان في السابق لدى المصنع مستودعين فقط بمساحة إجمالية تقدر بـ ٤٠٠٠ متر مربع.

ونظراً للزيادة المطردة في الإنتاج فقد صدر الأمر السامي الكريم بإنشاء مستودعين آخرين في عام ١٤٠٥هـ تبلغ مساحتها (٢٠٠٠) متر مربع وبذلك يصبح إجمالي المسطحات المخزنة عليها العبوات ٦٠٠٠م٢.

وشهد عام ١٤٠٩هـ إنشاء مستودع كبير يتكون من طابقين مساحتهما الإجمالية (٧٧٠٠) متر مربع ليرتفع إجمالي مسطحات التخزين إلى (١٥٧٠٠)م٢.

كما تم إنشاء (١٥٤) مستودعاً ثابتاً بمنطقة المشاعر المقدسة (عرفات - مزدلفة - منى).

٣ - مرحلة التوزيع: وتعتبر هذه المرحلة هي الأخيرة في أعمال المصنع إذ تأتي بعد الانتهاء من مرحلة التخزين للعبوات المنتجة.

ويتم التوزيع خلال فترتي شهر رمضان المبارك وموسم الحج بمطار الملك عبدالعزيز الدولي بجدة وميناء جدة الإسلامي ومسجد السيدة عائشة بالعمرة ومنطقة حول الحرم المكي الشريف إضافة إلى مراكز توجيه الحجاج بمداخل مكة المكرمة ومنطقة المشاعر المقدسة خلال موسم الحج ومراكز تفويج الحجاج بمخارج مكة المكرمة.

كما يتم التوزيع بواسطة (١٦٤) مركزا بتوزيع ثابت ومتحرك أي مراكز ثابتة وأسطول من الشاحنات المبردة التي تجوب مناطق التوزيع التي أشرت إليها سابقاً.

الخطة المستقبلية:

وعما تحمله الخطة المستقبلية من تطوير لأعمال المصنع أوضح مدير عام مصلحة المياه والصرف الصحي بمنطقة مكة المكرمة المكلف المهندس خالد بن عبدالقادر البدري أن عجلة التطوير لأعمال المصنع لا تتوقف عند تنفيذ مشروع بعينه فالمتتبع للمصنع منذ نشأته عام ١٤٠٤ - وحتى الآن يلمس مدى التطور الذي وصل إليه ولدينا الآن خطة لتطوير ماكينات الإنتاج.

وإن ما شهده المصنع من تطوير لأعماله وخدماته يأتي نتيجة طبيعية خلال موسم حج العام الماضي بلغت عشرة ملايين عبوة موضحاً حرص المصلحة على دقة الإنتاج وسلامة المعدات من خلال تكليف إحدى المؤسسات الوطنية بأعمال الصيانة والتشغيل للمصنع إذ تم توقيع عقد بمبلغ سبعة ملايين وخمسمائة ألف ريال مع إحدى المؤسسات الوطنية تتولى من خلاله تشغيل وصيانة المصنع لمدة ثلاث سنوات.

كتاب الشهر

مكة المكرمة وعلاقاتها الخارجية
- ٣٠١ - ٤٨٧

للدكتور أحمد عمر الزيلعي



عرض وتلخيص/أ.
محمد نور قاري (*)

مكة المكرمة دوحة الإسلام وأرض السلام، بقعة مقدسة بارك الله فيها وشرفها وآثرها على غيرها من بقاع الأرض قدسية وطهراً.

فمن هذه البقعة تألق ضياء اليقين، وجلجل دوي الحق، وامتد سمت الهدى يبدد أسجان الشرك ويمزق سحب الضلال ليملأ الأرض نوراً وعدلاً.

من هذه الديار التي أفاء الله عليها هالة من الجلال والوقار مهبط الوحي ومبعث النور وينبوع الرسالة السمحة والشريعة الغراء انطلقت قوافل الفتح ومواكب الإيمان تدك عروش الوثنية وتفتح الدنيا بهدي القرآن الكريم وتفك أسار العرب نهوضاً إلى العلياء.

من هذا الوادي المبارك الذي يحتضن المسجد الحرام وقبلة المسلمين بزغ نجم أحمد الذي أرسله الله قدوة للأحياء ونوراً للحياة ومن هذه الرقعة الطاهرة ـ أرض التضحية والفداء حمل دعاة الإسلام مشاعل العلم والحضارة ومصابيح الإنسانية والعدالة لتخرج الناس من ظلمات الضلالة العمياء إلى نور الهداية الإلهية، تلكم هي مكة المكرمة مهوى أفئدة المسلمين وملاذهم الأمين.

مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١ –٤٨٧ رسالة قدمها الدكتور أحمد عمر الزيلعي للحصول على درجة ماجستير الآداب في التاريخ من جامعة الرياض ومنح درجتها من قبل مجلس الجامعة في ٢٧/٦/١٣٩٨هـ وقد بذل المؤلف جهداً كبيراً لإخراج هذا العمل بما يليق به وتكبد مشاقاً كثيرة ومضنية، فذكر في مقدمته أنه لم يخطر بباله عند اختيار هذا الموضوع أنها مغامرة أقدم عليها لأنه سوف يبحث في فترة شهدت سلسلة من الصراعات العباسية والفاطمية في مكة المكرمة استغرقت مائة وسبعة وثمانين سنة.

وكان موضوع الدراسة يهتم بالجانب الداخلي لمكة المكرمة وكذلك الجانب الخارجي وذكر بأن اختياره للجانب الخارجي بسبب العلاقة الوثيقة بين الجانبين والخارجي لأي نظام من الأنظمة السياسية والدينية والاقتصادية، لأنه من الضروري أن نلم بالشئون الداخلية لهذا البلد المقدس.

وذلك بعد أن حزم أمره وطفق يتلمس المعلومات المتناثرة في بطون الكتب، ولم يقتصر في قراءته على كتب التاريخ بل أخذ يتصفح ما تقع عليه يده من كتب الجغرافيا العربية والرحلات والتراجم وكتب الحديث والفقه ودواوين الشعر والأدب ومؤلفات علماء الدعوة، إضافة إلى ما اتاحته له جامعة الرياض من القيام بزيارة بعض المكتبات في عدد من الدول العربية والأجنبية فانتهل مما حوته تلك المكتبات من موارد العلم المختلفة.

فاعتمد في دراسته على المصادر المتعددة التي منها مصادر تعتمد على النقوش الأثرية والوثائق الرسمية وما تركه الإنسان من أبنية ونقود وغيرها ومصادر كتابية مثل كتب التاريخ والكتب الموسوعية وكتب التراجم وكتب البلدان وكتب الرحلات وكتب الدعاة.

كل هذه المصادر جعلت الباحث يقدم صورة واضحة عن الأوضاع الداخلية لمكة المكرمة وعن علاقاتها، فجاءت الدراسة موثقة أثرت المكتبة العربية تولد عنها كتاب ضخم يحمل بين دفاته تاريخاً موثقاً لأقدس بقعة على وجه الأرض مكة المكرمة.

جاءت هذه الدراسة في مائتين وأربعة وعشرين صفحة من الحجم الكبير مختوماً لفهرس للأعلام والقبائل والأمم والأسر وكذلك للأماكن ونحوها ومدعماً بالصور والخرائط.

قسم الباحث دراسته إلى ثلاثة أبواب وكل باب يحتوي على عدد من الفصول بحسب الموضوعات التي تشملها.

الباب الأول :

يختص بدراسة العلاقات السياسية، ويضم فصولاً أربعة:

الفصل الأول: دراسة تمهيدية تشتمل على عدد من النقاط تتناول بصورة مختصرة قيام الدولة العباسية وعلاقاتها بالعلويين المطالبين بحقهم الشرعي في الخلافة ثم مناداتهم للعباسيين، ثم انتقل بعد ذلك إلى نقطة هامة وهي تدهور الخلافة العباسية نتيجة تدخل الأتراك في شئونها الداخلية.

الفصل الثاني: إلقاء الضوء على أوضاع مكة السياسية في النصف الأول من القرن الرابع الهجري حيث علاقة القرامطة بالفاطميين وأنهم جميعاً ينتمون إلى الدعوة الإسماعيلية التي أدى تقاربها إلى التنسيق بين القوتين لإنهاك الدولة العباسية.

الفصل الثالث: تحدث عن قيام الأسرة الموسوية ومسارعة زعيمهم جعفر بن محمد بالخطبة للمعز الفاطمي الذي مدّ سيطرته على مصر سنة ٣٥٧هـ مع الإشارة إلى الأسباب التي دعته إلى هذا الاتجاه وردود الفعل المختلفة في بغداد.

الفصل الرابع: يلقي الضوء فيه على الظروف والملابسات التي أعقبت وفاة شكر بن أبي الفتوح سنة ٤٥٣هـ والتي مهدت للنفوذ اليمني في مكة على يدي علي بن محمد الصليحي وبالتالي وصول طبقة الهواشم إلى الحكم.

الباب الثاني :

العلاقات الدينية (الحج)

وهو الباب الثاني في الكتاب ويضم فصولاً أربعة يختص الفصل الأول بدراسة إمرة الحج منذ نشأتها وحتى بداية هذه الفترة، فيتحدث عن ماهية الأمرة وشروطها وأهم أعمالها.

والحج هو ركن الإسلام الخامس من أقدم العبادات السماوية التي عرفتها البشرية بعد أن دعا إليه أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - وأسس لتلك الغاية أول بيت مبارك وضع للناس بمكة المكرمة وكان العرب في مختلف عصورهم يقومون بتأدية تلك العبادة الدينية الممعنة في القدم على صورة تناسب فطرتهم وتتمشى مع جاهليتهم.

وعندما جاء الإسلام وفرض عبادة الحج على معتنقيه دخلت الشعيرة الدينية التاريخ من أوسع أبوابه بل وأصبحت عنصراً عظيم الأهمية من عناصر التاريخ الإسلامي، وكان المسلمون قبل عهدهم بوسائل المواصلات الحديثة يتجشمون جميع أنواع المصاعب في السفر من أقاصي الدنيا إلى بيت الله الحرام في كل عام تحت ظلال الشراع في البحر وعلى ظهور الإبل في البر ومنهم من كان يختار المشي على الأقدام تقرباً بتعبه إلى الله وليزداد عنده مثوبة وأجر، وسفر فيه من الصعوبات والمشاق ما فيه، يستدعي أن تصحبه زعامة سياسية ودينية تشرف على تنظيمه وتعمل على حل مشكلاته حتى يصبح ذلك السفر الشاق سهلاً وميسوراً على حجاج بيت الله الحرام ومن هنا نشأ في التاريخ الإسلامي ما يعرف بإمرة الحج.

ولعل تلك الإمرة تعود إلى ما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم» وقوله «لا يحل لثلاثة يكونوا بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم» فقد قام النبي - صلى الله عليه وسلم - بنفسه وتلاه في ذلك الخلفاء الراشدون ومن تبعهم من خلفاء المسلمين وملوكهم إما بأنفسهم أو بولاة قاموا بها من قبلهم، فإمارة الحج إذن من أجل المناصب الإسلامية وأعظم الوظائف الدينية وهذه الإمرة تكون على تيسير الحجيج وإقامة الحج.

فتيسير الحج ولاية سياسية وزعامة ومن يتولى هذا المنصب أن يكون مطاعاً ذا رأي وشجاعة وهيبة وهداية، وإقامة الحج

بمنزلة الإمام في إقامة الصلوات وأن يكون عالماً بمناسك الحج وأحكامه عارفاً بمواقيته وأيامه.

وكانت بداية هذه الإمارة أول ما بدأت بمكة المكرمة في السنة الثامنة من الهجرة حين فتحها رسول الله ـ صلى الله عليه سلم ـ وأسند ولايتها عتاب بن أسيد وجعله على الصلاة والحج، فلما أزف الحجيج من المدينة المنورة وهي العاصمة الإسلامية آنذاك إلى مكة المكرمة وعمل بهذا الهدي النبوي الكريم في كل العصور التي تلت العصر الإسلامي وتطورت في أيامنا هذه بمسمى البعثات «بعثات الحج التي تشرف على الحجاج» ومما كان معمولاً به الهدايا التي تصحب قوافل الحج إلى مكة المكرمة فقد جرت العادة أن تصحب قافلة الحج هدايا في بعض السنوات لتعلق بالكعبة المعظمة وتاريخ الإهداء للكعبة في الإسلام قديم وإن هدية الشمسة كانت من أعظم الهدايا التي تصل إلى مكة مع ركب الحجيج في كل سنة وكانت خلال هذه الفترة بوضع اهتمام الخلفاء العباسيين والفاطميين على حد سواء ويرجع تاريخ الشمسة إلى عهدالخليفة العباسي المتوكل على الله الذي بعث «بشمسة عملها من ذهب مكللة بالدر الناضر والياقوت الرفيع والزبرجد بسلسلة من ذهب تعلق في وجه الكعبة» وهي تختلف عن كسوة الكعبة.

وفي الفصل الثاني تطرق إلى طرق الحج إلى مكة المكرمة وأن معظم الحجاج يفدون إلى مكة المكرمة عبر طرق برية باستثناء أولئك الذين يأتون بحراً إلى موانىء الحجاز من الحجاج المصريين والمغاربة واليمنيين والخرسانيين والعراقيين عن طريق البحر.

فكانت أشهر القوافل هي: قافلة الحج المصري والركب العراقي.

وقد اختلف المؤرخون في المدة التي يقطعها الركب المصري إلى مكة فناصر خسرو يحددها بخمسة وعشرين يوماً والقلقلشندي يجعلها ثلاثين يوماً ويرجح المؤلف ما قاله ناصر خسرو لمعاصرته للفترة التي يدرسها وكانت الطرق محفوفة بالمخاطر إذ كانوا يتعرضون للسلب والنهب وخاصة من القرامطة وغيرهم من القبائل (قطاع الطرق) الذين كانوا يتربصون بقوافل الحجيج بنهبهم وقتلهم والاستيلاء على زادهم ومتاعهم علاوة على العوامل الطبيعية المختلفة التي تؤدي بحياة الآلاف من الحجاج من جراء هبوب الرياح العاتية ولاسيما في أشهر الصيف والتي كان يتعرض فيها للعطش الشديد الذي يؤدي إلى موته، لنقرأ هذه العبارة «مات في طريق الحج» ولقد أورد المؤلف نماذج كثيرة موثقة لهذه الأحداث الجسيمة لايسع المجال لذكرها.

إصلاحات طرق الحج :

لقد كانت للمكانة الكبيرة التي يحتلها الحج في قلوب المسلمين وأثره في جلبهم إلى مكة المكرمة من شتى بقاع المعمورة وكذلك حرص الخلفاء ولاسيما في تلك الفترة على الاستفادة منه لأغراض الدعاية السياسية فقد أخذ هؤلاء الخلفاء على عاتقهم الاهتمام بكل ما يتعلق بالأماكن المقدسة في الحجاز وتوفير الراحة للوافدين إليها من الحجاج الذين يقصدونها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي فقد اهتم الخلفاء بالطرق التي يسلكها هؤلاء الحجاج وعنوا بها من حيث إزالة العقبات ووضع العلامات وحفر الآبار وإقامة مصانع المياه وصرف نفقات باهظة للقبائل المتربصة بالحجيج على طول الطريق إلى مكة المكرمة.

والخلاصة أن الحج إلى مكة المكرمة في تلك الفترة وما تعتريه من صعوبات وأخطار كان مجازفة خطيرة رغم الاستعدادات الكبيرة التي تهيئها العواصم الإسلامية حينذاك والتي تتمثل في إصلاح الطرق وتوفير مياه الشرب ودفع الإتاوات لقبائل البدو المتكلفة بخفارة الحجاج.

وفي الفصل الثالث :

إصلاحات الخلفاء والعظماء في مكة المكرمة

عمارة المسجد الحرام: كان إصلاح المسجد الحرام وعمارته وتوسعته من أكثر الميادين التي شملتها عناية الخلفاء إذ أن المسجد الحرام كان ولايزال أعظم مسجد عرفته الدنيا ويقع في بقعة هي أشرف بقاع المعمورة وأطهرها، وهو أكثر المساجد تعظيماً وتكريماً لدى المسلمين فلا غرابة أن يتسابق ولاة أمور المسلمين في إصلاحه وتوفير وسائل الراحة والأمن والطمأنينة للحاجين إليه. ويرجع تاريخ أول إصلاح للمسجد الحرام إلى سنة ١٧ للهجرة عندما تمت التوسعة الأولى على يد الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد اشترى بعض الدور الملاصقة للحرم وعمل على هدمها وأدخلها في المسجد الحرام وأحاط عليها جداراً قصيراً ثم أخذت عمارته تتجدد وتتوسع عبر العصور.

عمارة الكعبة المعظمة:

الكعبة بناء مسقف في وسط المسجد الحرام ولها أربعة أركان شمالي وجنوبي وشرقي وغربي، وباب الكعبة يقع إلى الشرق منها بحيث يكون الركن العراقي على يمين الداخل وركن الحجر الأسود على يساره وتاريخ بناء الكعبة قديم قدم الكعبة نفسه وقد تعرضت لكثير من وسائل التعمير طوال تاريخها.

كسوة الكعبة

وتغطي الكعبة جميعها سترة تسمى الكسوة وكسوة الكعبة معروفة في الجاهلية والإسلام وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول من كساها في الإسلام وقال في خطبة له: «هذا يوم.. تستر فيه الكعبة وترفع فيه الأعمال» ثم توالت الكساوي على الكعبة في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين حتى استقرت في الخلفاء العباسيين بعد انتقال الخلافة إليهم

واستمرت كسوة الكعبة في كل عام يوم عرف حتى يومنا هذا.

إصلاحات عامة :

إلى جانب الإصلاحات التي قام بها الخلفاء وبعض الأمراء المعاصرين لهم في المسجد الحرام والكعبة المعظمة هناك إصلاحات أخرى شملت جوانب متعددة من مكة المكرمة ولعل في مقدمتها توفير مياه الشرب لأهالي تلك المدينة وللحجاج القادمين إليها من مشارق الأرض ومغاربها.

الفصل الرابع :

المجاورة بمكة المكرمة

كان للمكانة الروحية التي تتمتع بها مكة أهمية خاصة لدى جماهير المسلمين في جميع أنحاء المعمورة فاستقطبت هذه الأهمية عدداً كبيراً من المسلمين الذين تواردوا على مكة حجاجاً وطلاب علم ثم لم يلبثوا أن فضلوا قضاء فترة صفاء روحي في جوار بيت الله العظيم وعلى أرض مكة الطاهرة ومن هنا نشأ ما عرف في التاريخ الإسلامي باسم (المجاورة) ويرجع تاريخ المجاورة إلى ما جاء في الأثر عن فضل مكة والإقامة بها فقد أثر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله «أما والله أني لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب البلاد إلى الله وأكرمها.. ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت» وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت «لولا الهجرة لسكنت مكة إني لم أر السماء بمكان قط أقرب إلى الأرض منها بمكة ولم يطمئن قلبي ببلد قط ما اطمأن بمكة ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة».

والمجاورة بمكة مستحبة عند أكثر العلماء وقد جاور بها عدد كبير من صحابة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد مماته، وكان على رأس هؤلاء الصحابة عبدالله بن عمر بن الخطاب وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما فترة والذي أثر عنه قوله: «أقم بمكة

وإن أكلت بها العظاة (يعني السمر) ولقد جاور بمكة من كل بقاع الدنيا لأن الغاية من المجاورة كانت الانقطاع للعبادة والتبتل وطلب العلم بجوار بيت الله العظيم وقد حفظت المصادر أسماء عدد كبير من هؤلاء الرجال لا يسع المجال لذكرهم وترك أولئك المجاورون آثارا ثقافية واضحة في المجتمع المكي لأنهم من العباد ورجال العلم وهم كثر ولم تكن لهم آثار سياسية أما الآثار الاجتماعية فقد كانت واضحة لأن الزهد والورع يغلب على حياة معظم المجاورين بمكة المكرمة وكان الانصراف عن الكسب والعمل إلى العبادة والانقطاع لها جعل الفقر ينتشر بين غالبية هؤلاء المجاورين فأصبحوا لذلك عالة مجتمع مكة الضيق ولم يكن لهم أثر في انعاشه من الوجهة الاقتصادية وكان يعيش معظمهم على الصدقات التي تأتيهم من ذوي اليسار ولاسيما في مواسم الحج فقد كان عبدالملك الطبري الزاهد (عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري) من فقراء المجاورين ومن المشهورين بالزهد والورع وكان يلبس الخشن من الثياب ويعيش في فقر مدقع حتى قيل بأنه كان يقتات على العشب وأمثاله كثير، وأمد عن أرزاق المجاورين في مكة فقد كانت تعتمد على الصدقات والاعطيات التي تصل إليهم من أهل اليسار والحكومات القائمة الذين كانوا يحملون معهم مبالغ كبيرة ينفقونها على المجاورين الذين كان يسكن معظمهم في الأربطة التي أقامها أهل الخير ليسكن فيها أولئك الذين لا يجدون مأوى في مكة سواء من المجاورين أو في غيرهم وكان للتزاوج بين هؤلاء المجاورين والمكيين أثر كبير ترك بصماته على المجتمع المكي ولايزال تأثير تلك السلالات التي وفدت إلى مكة من أقطار شتى واختلاطهم بسكانها الأصليين واضح حتى اليوم وصفوة القول أن حياة المجاورين في مكة المكرمة والاستيطان بها قد خلقت على مرِّ السنين أسراً كبيرة لم تلبث أن أصبحت جزءاً من المجتمع المكي واكتسبت شهرة عظيمة في مجال القضاء والاشتغال بالعلم.

الباب الثالث :

التجارة الداخلية والموارد المحلية:

ذكر المؤلف العوامل التي ساعدت على ازدهار مكة من الناحية التجارية منها:

١ ـ الموقع الجغرافي: فقد حظيت مكة بموقع جغرافي فريد جعلها ملتقى طرق القوافل البرية التي تجوب الجزيرة العربية شمالا وجنوبا وشرقا.

٢ ـ وقوع مكة قريباً من منطقة أسواق قديمة كسوق عكاظ ومجنة وذو مجاز وحباشة وهذه الأسواق تتوسط الحجاز وقريبا من نجد واليمن.

٣ ـ إحاطة مكة بمنطقة زراعية خصبة مما وفر لها كثيرا من الحاصلات الزراعية من حبوب وفواكه وخضار ومن أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار تجارة مكة وجود الكعبة المشرفة وغيرها من الأماكن المقدسة كمنى وعرفات وكذلك قربها من البحر الأحمر وامتلاكها بعض الموانىء التجارية كجدة والسرين.

أما الحديث عن مكة من الناحية الزراعية فيوحي بضآلة مواردها فهي تقع بواد غير ذي زرع تحف به جبال صلدة جرداء وهي قليلة المياه اللازمة للزراعة وبالتالي فهي فقيرة في كثير من المحاصيل والأشجار المثمرة إلا أن أعمال مكة (الطائف، جدة، رعيلاء، وما جاورها) من المدن والقرى غنية بالآبار ولذا فهي تشتهر بالزراعة وخاصة الطائف التي تعرف بجودة الرمان والعنب وغيرها من الفواكه.

أما المعاملات التجارية فقد كانت مكة ولاية تابعة للخلافة الأموية في دمشق أو العباسية في بغداد وكان المكيون يتعاملون في كيلهم ووزنهم وقياسهم بالوحدات التي كانت سائدة في العالم الإسلامي آنذاك

وكان سوق مكة في أيام الموسم بمثابة البورصة النقدية التي تتضارب فيها العملات وكان النقد المتداول الدرهم والدينار، ووحدة الوزن كانت المن المعروف في جميع أنحاء العالم الإسلامي غير أن المكيين يسمونه رطلا ووحدة الكيل كانت الصاع والمد وأما الأقمشة فكانت تباع بالذراع.

سوق مكة في مواسم الحج والعمرة :

استجاب الله دعاء سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ كما ورد في القرآن الكريم ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ وظهر ذلك أن أفئدة الناس تهوي إليها من الأصقاع النائية والأقطار الشاحطة فالطريق إليها ملتقى الصادر والوارد والثمرات تجيء إليها من كل مكان، فهي أكثر البلاد نعماً وفواكه ومرافق ومتاجر ويزداد سوق مكة ازدهاراً في مواسم الحج والعمرة.

التجارة الخارجية :

وتشمل التجارة البحرية تجاه مكة في البحر الأحمر وتتمثل في ميناء جدة وهي مدينة قديمة يذكر بعض المؤرخين أن أول من شيدها هم الفرس، وقد اتخذها ملوكهم مركزاً تجارياً ويذكر آخرون أن أهل سلمان الفارسي لما سمعوا خبر إسلامه قصدوه وأسلموا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكنوا جدة ثم جعلوا حولها سورا وخندقاً وأنها تخربت بعد أن تركوها ولتوسط جدة من موانيء الحجاز وقربها من عدن والهند وقربها من مكة حيث تقوم سوق نشطة في مواسم الحج والاعتمار أكبر الأثر في أن تقوم على تجارة عريضة مع الموانيء العالمية في حوض البحر المتوسط وعدن وأما تجارة مكة في وثائق الجنيزا فكان معظمها خطابات أرسلت من عدن وجدة وغيرها من موانيء شبه الجزيرة العربية وهي رسائل متبادلة بين موانيء البحر الأحمر.

ميناء السرين ويمثل الواجهة البحرية الثانية لمكة المكرمة وكانت بها سوق نشط تقوم على تجارة واسعة محلية وخارجية والتعامل فيها شأنه شأن مكة في بعض الأحوال وكانت لها تجارة واسعة مع الحبشة.

تجارة مكة البرية:

كانت مكة قد ارتبطت طوال تاريخها الإسلامي بكثير من المراكز الإسلامية بطرق برية معروفة ترتادها القوافل محملة بالبضائع التي كانت تلقى رواجاً كبيراً في موسم الحج وبالتالي فقد كانت هذه القوافل تبيع ما تحمله من صنوف التجارة في سوق مكة وتشتري أصنافاً أخرى تلقى رواجاً في جهاتها التي جاءت منها، والتي تفتقر إلى هذه الأصناف أو تلك البضائع المجلوبة إلى مكة ــ ذلك أن مكة بحكم موقعها الديني والتجاري كانت تتوفر فيها جميع السلع العالمية وقد ذكر ابن جبير وهو شاهد عيان لما يصف (فما على الأرض سلعة ولا ذخيرة من الذخائر إلا وهي موجودة فيها مدة الموسم) وتوحي هذه الحركة الاقتصادية بأنها شهدت تكاملاً بين منتجاتها في هذه الفترة والتجارة الدولية وجدت رواجاً كبيراً في أسواقها ولاسيما في مواسم الحج والعمرة.

أخيراً أرجو أن يعذرني القارىء لهذا الاختصار لجهد اعتمد فيه مؤلفه على ثلاث وأربعين مخطوطة ومائتين وأربع مطبوعة وتسعة عشر دورية وعشرة رسائل جامعية وأبحاث علمية واثنين وعشرين مرجعاً غير عربي وخرائط وصور.

وبالله التوفيق..

(*) مشرف نشاط تربوي بتعليم العاصمة المقدسة

المدينة المنورة.. سبحان مبدعها!!!



للشاعر / أ. محمد كامل الخجا *

ما غاض شوقي وما ألوى بوجداني
بعد المسافات في ذا الكون يغشاني
ما زلت ذاك الفتى «المدني» يأسره
صفاء أهلي من بدو وحضران
ما زال قلبي مفتوحاً لمن نقشوا
حب «المدينة» في روح ووجدان!!...

أهواك «طيبة» أهوى جنة عبقت
بباسق الدوح من زهر وأفنان
جنان «طيبة» حسبي منك وارفة
فيها النديان من روح وريحان
يغفو بها الفجر في أحضان مورقة
مديدة الظل سكرى الآس والبان
مدي ظلالك ينعم في خمائلها
أهل «البقيع» أحبائي وأخداني
قد صوّر الله ألوان النعيم على
مثال ما فيك من حسن وألوان
وزاد فيها خلوداً ما عنَيتَ به
أنقى اللبانات في حكم النهى الفاني
كتائب الله من فهر وإخوته
فعطّر المجد في البيداء ميداني!!...

من أطفأ الجذوة الكبرى بأنفسنا؟
أدهرنا حال في أكذوب إدهان؟..

دعـــــوا الجـــــراح لـوهـجِ الـنـار ســـــافــــرة
فـــــالجُـــــرح يُقـــــتـل في إظـهـــــار إكنـان
أفـــــدى شـــــمــــائـل ديني ثـورة بهـــــدى
وعـــــاصـفٍ يـرحـم الـدنـيـــــا بـإيمـانـي
فـــــالـكـون يرنـو لأمـــــر قـــــد مُـنـنتُ بـه
ذا وعـــــد ربـي بـنـصـــــر مـنـه أولانـي!!!..
لا يُـعـــــذب الـوصل إلا أن يـخـــــامـــــره
خـــــوفُ المحـــــبين من نـأي وهـجـــــران
ولا هـنـاءَ بنُـعـــــمى لا تـخـــــافُ لهـــــا
فـــــقـــــداً ولا تُبـــــتلى منهـــــا بحـــــرمـــــان
وربمـا الـقـــــفت من أمـــــرنـا عـــــجـــــبـــــاً
قـبـل الهـداة عـــــصـا «مـــــوسى بن عـــــمـــــران»!!!...

^ ^ ^

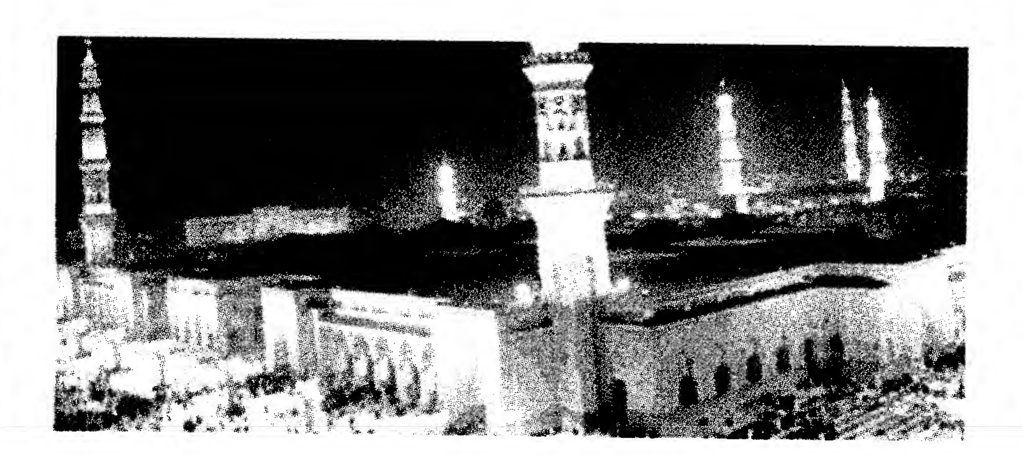
وهادَ «طـيـــــبـــــة» حـــــســـــبي منك مظـهـــــرةً
نـور الـرســـــالـَـة في أحـنـاء أكـــــوان
وهادَ «طـيـــــبـــــة» حـــــســـــبي منك زاهـيـــــةَ
فـــــيـك الـنـبـي رســـــول الحـق ربـانـي
وواضـع الإصـــــر والأغـــــلال عـــــاتقـنـا
من الخـــــبـــــائـث نعـم الخـــــاتم الـبـــــانـي
شـــــريعـــــة الـلـه لـلأكـــــوان يـســـــعـــــدها
«مـــــحـــــمـــــد» المصطفى للإنـس والجـــــان
تـســـــمـــــو إلـى الأفـق القـــــدسي طاهـرة
طـهـــــرَ الـدمـــــوع بتـــــرتيـل لـقـــــرآن!!

^ ^ ^

طـوَّفـتُ في هـذه الدنـيـــــا عـلى مـــــهـل
طـوافَ أشـــــعث مـــــاضي الـعـــــزم يـقظـان
تـظلُّـني «مـــــصـــــر» أحـــــيـــــاناً وآونـة
أعـــــايـش الـنـاس في جـنـات «لـبـنـان»
وقـــــد صـــــحـــــبتُ شـعـــــوبَ الأرض من عـــــرب
ومن أعـــــاجـم رومـــــان وكـلـدان
مـــــفـــــتـــــشـــــاً عن عـــــزاء النـفس لا لَـعـــــبي
أدى إلـيـــــه ولا حُـلمي وَعـــــرفـــــانـي
مـــــســـــائـلاً عنه حـــــتى قـــــد عـــــيـــــيت بـه

مسائلاً عنه حتى قد عييت به
إرث الفلاسف من «هند» و«يونان»
فما رأيت له عيناً ولا أثراً
ولا أفاد طوافي غير خِذلاني
حتى إذا اليأس لم تترك مرارتهُ
إلا بقية صب غير خزيان
لاحت ديارك بالصحراء مونقة
أبهى وأزين من عرش وإيوان
فكبّر الركب مرتاحاً إلى أمل
عذبِ المجاجة حلي الوشي ريان
ملامح «القبة الخضراء» قد كسيت
نثير ضوء النبي الأسوة الحاني
فما فتحت جفوني وهي حاسرة
من الضياء أعان الله أجفاني
حتى لمحتك يا سبحان مبدعها
فقرَّت النفس لا شكوى ولا تعب
ولا لجاجة تشكيك وكفران
وأبصرت بعد طول البحث غايتها
فأذعنت لهواها أي إذعان
سر السعادة في الدنيا وإن خفيت
يجلوه منك على الأكوان إيماني!!!...

* شاعر سعودي ـ المدينة المنورة







مع الأستاذ

عمر عبد ربه

لقاء / خالد عبدالله آل زيد

أجرت مجلة الحج لقاءً موسعاً مع سعادة الأستاذ/ عمر عبد ربه فيما يلي حصيلة اللقاء

** بصفتكم شخصية لها صلة بمهنة الوكلاء. نود أن تسردوا لنا تاريخ المهنة منذ بدايتها وما وصلت إليه. مع ذكر التطورات التي دخلت على هذه المهنة بشكل أوسع؟

**كان لكل مطوف وكيل بجدة لمقابلة الحجاج الذين يردون باسمه في البواخر التي تصل أيام الحج لميناء جدة الذي ترابط فيه البواخر لاعادتهم بعد انتهاء نسكهم ـ ثم يستلمهم حين يسألون عنه ويسلمهم للمقدم الذي هو رئيس للعمال الذين

يعملون لدى الوكيل وهكذا بالنسبة لكل مطوف ووكيل، ولقد كانت أعمال وكلاء المطوفين قبل عام ١٣١٠هـ وتوجد وثيقة قديمة تثبت هذا التاريخ مرفقة بهذا صورة منها.



بالنسبة للحجاج القادمين عن طريق منفذ جدة البحري (ميناء جدة الإسلامي حالياً) كانوا يركبونهم في السنابيك الشراعية واللنشات التي تدار بالماطور من وقت وصول الباخرة ورسوها وحين تصل اللنشات والسنابيك الناقلة للحجاج وأمتعتهم من الباخرة ووصولهم للرصيف المعد لاستقبالهم الذي كان يطلق عليه (الاسكله) يجتمع الوكلاء ويجلسون على صفين متقابلين لبعض ويحضر نقيب المطوفين ويسأل كل حاج عن مطوفه ويستلم الوكيل حجاج موكليه وبعد خروج الحجاج من الاسكله لمنطقة الجمارك مع خدم الوكلاء يجري تفتيش الأمتعة من الجمارك وحملها على عربات الكارو حيث كل وكيل له عمال مخصصون وعربات كارو تشد بالبغال والحمير لنقل أمتعتهم ويمشي الحجاج خلف أمتعتهم المنقولة على العربات إلى دور الوكيل ويقوم بعدها كل وكيل بابلاغ النقابة بعدد الحجاج القاصدين مكة المكرمة والحجاج القاصدين المدينة المنورة ويجري حصر جميع الحجاج حيث توزع السيارات بعد يومين أو ثلاثة أيام على الوكلاء حسب عددهم، وكان الحجاج في ذلك الوقت يلاقون مشقة كبيرة حتى يصلوا لمكة أو المدينة ولو

نظرنا لما يلاقيه الحاج من مصاعب ومشقة وما هو حاصل الآن من تسهيلات حيث أصبح الحاج الذي يصل بالطائرة وحتى مغادرته لمكة أو المدينة في ساعات محدودة وكذلك عند وصوله لميناء جدة الإسلامي عن طريق البواخر وحتى وصوله وأمتعته إلى مدينة حجاج البحر ساعات قليلة ويصل الحاج بسلامة الله لمكة بكل يسر وسهولة والحمد لله أن تغير الوضع إجمالياً من ناحية الخدمات وتوفرت شركات السيارات بأعداد كبيرة جداً بفضل رعاية الحكومة الرشيدة وأصبح نقل الحجاج من جدة إلى مكة أو المدينة أو المشاعر المقدسة بكل يسر وأصبح عددهم يزيد عن المليون.

*** * عملتم في نقابة الوكلاء سابقا - ثم شغلتم مناصب عديدة آخرها عملكم في التجارة والأعمال الحرة. ما هي ذكرياتكم الإدارية عن تلك المراحل؟**

** هذا السؤال يحتاج إلى إجابة مطولة بعض الشيء لأنه يحتوي على عدة فقرات أو بنود صيغت في سؤال واحد.

ولنبدأ بالشق الأول من السؤال الخاصة بنقابة الوكلاء:

أ ـ نقابة الوكلاء سابقاً التي عملت فيها كانت تسمى بنقابة مشيخة الجاوى، وكان يرأسها في ذلك الوقت المرحوم محمد نور جخدار والمذكور كانت له مكانة مرموقة ومحترمة من الجميع وأعني بذلك طائفة الوكلاء ومن له علاقة بالعمل. لخبرته واطلاعه الواسع على عمل شؤون الحج والحجاج. وقد كنت أعمل في مكتبه ويعمل معنا المرحوم الأستاذ أحمد صالح قنديل ومدير المكتب الذي كنا نعمل فيه سوية هو المرحوم إبراهيم بخش، والذي أذكره عن هذا الرجل أناقة الملبس وظرف الشخصية ومعرفته التامة لشؤون المهنة وللدلالة على ظرفه وعفويته أود أن أذكر هنا موقفاً يدل على ظرفه وعفويته فقد حصل أ حد الأيام أن رن جرس تليفون المكتب عن طريق سنترال الرئاسة وكان المتحدث على التليفون هو سعادة المرحوم علي طه، مساعد قائمقام جدة في ذلك الوقت فلما قيل له بأن المتحدث هو الشيخ علي طه، قذف بالسيجارة التي كانت بين أصابعه وهي سيجارة

من النوع الذي يلف باليد ويستخدم فيها الدخان المفروط بالمعروف بدخان أبوجمل وورق الشام وحكاية لف هذا النوع من الدخان معروفة لا داعي لسردها أو التعريف بها – ثم هب واقفاً واضعاً يده اليمنى على رأسه كنوع من الاحترام والتقدير لأن المكتب كان مرتبطاً بسعادته وكان يرحمه الله حلقة اتصال بين المشيخة وبين سفارة اندونيسيا ومسك سماعة التليفون باليد اليسرى وأخذ يردد ويكرر مرحبا عمي أمركم يا عمي وهو واقف على قدميه حتى انتهت المكالمة. وكان منظراً مضحكاً ضحكنا له كثيراً. وقد اتاح هذا المنظر الظريف مجالاً للمرحوم أحمد قنديل لكي يداعبه مداعبة خفيفة بريئة فيها شيء من المرح والترويح عن النفس.



ب ـ أما بالنسبة للمناصب التي عملت فيها فهي متعددة ومتنوعة فقد عملت في بداية حياتي أستاذاً في مدرسة الفلاح وذلك بعد تخرجي منها باعتباري أحد الخريجين الأوائل الذين تخرجوا منها وحصلوا على مرتبة الشرف واسمي مسجل في لوحة الشرف في المدرسة في نهاية عام ١٣٤٨هـ.

ثم تقلبت في عدة وظائف حكومية معظمها في وزارة المالية والاقتصاد الوطني أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: بعد أن أنهيت خدماتي في الضيافات الملكية والقصور تعينت مديراً للفرع المالي بجدة. ثم مديراً لمالية جدة. ثم مندوبا لوزارة المالية والاقتصاد الوطني بالمنطقة الغربية. ثم ممثلا لوزارة المالية والاقتصاد من

الوطني بجدة.

وأخيراً وبعد احالتي على التقاعد، مستشاراً لوزارة المالية والاقتصاد الوطني بجدة لمدة خمس سنوات (بطريق التعاقد) بناء على رغبة سمو الأمير مساعد بن عبدالرحمن يرحمه الله ثم بعد ذلك رغبة معالي وزير المالية والاقتصاد الوطني الأستاذ محمد أبا الخيل (يحفظه الله) أما أعمالي التجارية التي ذكرتموها فلا توصف بالتجارة. بل كانت أعمالاً بسيطة أشغل بها نفسي وأقضي بها فراغي كمشرف على أعمال يقوم بها أحد ابنائي الذي فضل العمل الحر على الوظيفة فاختار الاشتغال في صنع الستائر المعدنية بمن اختارهم من العمال وسماها (مؤسسة عبدربه للستائر المعدنية) واشتهرت بشكل فتح له مجالا للتوسع فيها بما يتبعها من شبابيك وأبواب معدنية، ثم تقلصت أعمالها بعد ذلك بعد أن كثر شاغلوا هذه المهنة ونزلوا أصحابها بالأقيام إلى حد جعلنا غير قادرين على مجاراتهم وتعريض أنفسنا للخسارة وقد أدى ذلك إلى سحب معظم الزبائن ممن فضلوا الأسعار الرخيصة على الجودة والاتقان.

** ما هي أبرز الشخصيات التي خدمت مهنة الوكلاء؟

**هناك شخصيات كثيرة قاموا بخدمة الحجاج لا يتسع المجال لحصرهم جميعاً، إنما أكتفي بمن هم في الذاكرة الآن وهم: محمد نور جوخدار ـ خالد بسيوني ـ عبدالله حسن طرابلسي ـ عبدالله موسى بخاري ـ حسين محمد أبوزيد ـ عبدالله أحمد بحيري ـ محمد سعيد عتيبي ـ درويش رقام ـ عباس مختار ـ عبدالله غراب ـ عبدالله بنقش (وهو نقيب طائفة العرب) مع اعتذاري من الآخرين الذين لم يرد ذكر اسمائهم فمكانتهم محفوظة.

** بصفتكم من أوائل المديرين العاملين في مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، بعد انتقال الصحافة من عهد الأفراد الى نظام المؤسسات. فكيف تصورون العلاقة بين المدير ورئيس التحرير في عهدكم؟ وكيف كانت صحافة الأفراد مقارنة بصحافة المؤسسات؟

** تعلمون ولاشك أن التعاون والإخلاص والتفاهم مطلب أساسي ومهم لأي مشروع أو عمل من الأعمال فما بالكم بالعمل الصحفي الذي يعتبر مرآة المجتمع أو صاحبة الجلالة كما يسمونها ـ فإذا حسنت النية والنتيجة سوف تكون ايجابية ومطمئنة، وإذا كان المدير العام يقدر العمل الصحفي ومسئولياته ومعرفة متطلباته ـ فلايمكن للتحرير أن يختلف معه لأنه لن يطلب المستحيل. فحين كنت في عكاظ مديراً عاماً اعتمدت مبدأ التعاون والتفاهم وتذليل كل الصعاب والمعوقات بجهد مشترك مع من كانوا يعملون معنا فتوحد نشاطنا وأهدافنا وغاياتنا وعلى هذا الأساس وبعد أن اخترت مديراً عاماً للمؤسسة بعد المرحوم السيد معتوق حسنين واختير الأخ عبدالله خياط رئيساً للتحرير تم التنسيق مع رئاسة التحرير بأن يتولى المدير العام الادارة العامة وتبعاتها المالية والإدارية وأن يتولى الأخ الأستاذ عبدالله خياط رئاسة التحرير ومسؤولياته. وعلى ضوء هذا المنهج سرنا على بركة الله يحدونا الأمل والرجاء في أن يكلل عملنا بالنجاح والتوفيق، فجاءت النتائج إيجابية ومرضية والحمد لله. ونجحت فكرة الإدارة المشتركة واستطاعت عكاظ أن تكون الأولى بين المؤسسات الصحفية التي انفردت بهذه الطريقة والنهج السليم. وفي مؤسسة أخرى حصل مثل هذا التعاون بين مدير عام مؤسسة الجزيرة للصحافة والنشر الشيخ صالح العجروش وبين رئيس التحرير الأستاذ خالد المالك وتبعاً لهذا التعاون استطاعت الجزيرة (بالإدارة المشتركة) أن تحقق النجاح المناسب.

أما كيف كانت صحافة الأفراد مقارنة بصحافة المؤسسات، فالفرق في المقارنة كبير ولاشك وإن كانت الكفاءات والخبرة لها الموجودة في كلا الحالتين.

*** * هل حدثتمونا عن ذكرياتكم عن المنتديات والمجالس الثقافية في جدة؟**

** المنتديات والمجالس الثقافية في جدة كانت ولازالت موجودة بالفعل. وهي على شكل مجموعات منها مجموعة العواد ومجموعة حمزة شحاتة ومجموعة قنديل والعتيبي ثم تحولت إلى صوالين أدبية على مستوى له مكانته الأدبية



والثقافية كصالون الأستاذ عبدالمقصود خوجة الذي له مكانة مرموقة والذي أطلق عليه كلمة الاثنينية، وثالوثية الأستاذ محمد سعيد طيب الذي يجتمع فيها نخبة من الأدباء المرموقين. وخميسية الأستاذ محمد عمر العمودي الذي يجمع بين المثقفين وبين رجال الأعمال.

إلى جانب النوادي الأدبية التي أنشأتها الدولة في جميع مناطق ومحافظات المملكة بما فيها محافظة جدة - ووفرت لها الإمكانيات الكبيرة التي تغطي حاجتها بشكل مرموق وأبرزها النادي الثقافي الأدبي الذي يديره حالياً ورئيسه الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين الذي له دور كبير في إبرازه وجعل منه مدرسة تعني بالفكر.

وكل هذه المنتديات والنوادي تعنى بالثقافة والعلوم والفنون والشعر بكل بحوره.

**** كيف كانت بداية كتابتكم للشعر الشعبي تحت مسمى (بلديات) و(عمريات) ومن أين تستمدون مادة هذا الشعر؟ وما هو الباعث الداخلي له؟ وما هي المراحل التي مر بها هذا الفن من الشعر؟**

**كل الشعوب على مقدار ثقافتها لها دور في نظم الشعر الشعبي محتفظة باللغة العربية، وأضرب مثلاً على ذلك بما كان يقدمه الأستاذ أحمد رامي وبيرم التونسي والأستاذ مصطفى حمام الأستاذ أحمد قنديل والشيخ محمد سعيد عتيبي والأستاذ ضياء الدين رجب يرحمهم الله جميعاً. ومحمد مصطفى درويش – والمساجلات التي كانت تدور بين د.حسن نصيف ومحمد بادكوك وأسعد جمجوم بطريقة كان الكثيرون من القراء ينتظرونها بشغف وتلهف لما تحمله من عبارات وكلمات تفضح ما لدى الآخر من مكنونات مستورة مما يسمى في العرف (مقالب) أما ما ينشر الآن في بعض الصحف والمجلات من قبل الإخوان والناشئة، فلا يقاس بما كان يقدمه هؤلاء الرجال من القوة والمتانة والمعنى والهدف فيما ينظمون من أشعار أما أنا فلست ممن يطلق عليه كلمة شاعر ولا يعني هذا أن ما أنظمه ليس شعراً فهو شعر موزون ومقفى ويهدف معنى معيناً ولكني لم أدرس علم العروض رغم أنني أحفظ أبواب الشعر، وأنا ممن اتذوق الشعر كقارىء له وناظم لشعر موزون ومقفى ولا أميل إلى الشعر الحر والشعر الشعبي الغير مقفى والشعر النبطي له حلاوته ومذاقه لذلك رغبت في نظم الشعر مستهدفاً فيه معالجة بعض التصرفات والسلبيات التي تحدث في مجتمعنا بكلمات مقروءة ومفهومة وقد شجعني الأستاذ المرحوم أحمد قنديل على ذلك وكان له دور كبير في تعديل ما يحتاج إلى تعديل بل نظماً ومعنى فجزاه الله خيراً، وقد أصبح ولله الحمد لبلدياتي قراء كثيرون ينتظرون صدورها في اليوم المحدد لها وأن لم تنشر أسأل عنها . أدخل أحياناً بعض الكلمات والمفردات الغير الفصحى في بلدياتي ولكنها مفردات بالعامية وبالكلمات المتداولة والمعروفة لدى الأفراد والجماعات ومن يتكلم باللغة الفصحى مع الحفاظ على القافية والوزن وأحب أن أذكر هنا أن الأستاذ أحمد قنديل هو الذي اختار كلمة (بلديات) وأنا الذي اخترت له كلمة (قناديل) فيما كان ينشره في جريدة عكاظ تحت عنوان «قناديل».

** هل يرى سعادتكم خطرا على اللغة العربية من الشعر الشعبي وخصوصا لجهة ارتباط هذا الأخير عند البعض بابدال العامية مكان الفصيحة؟

** أنا لا أعتقد أن الشعر الشعبي باللغة العامية فهو بكلمات لها معانيها ومضامينها ولا يؤثر على ما يقدم باللغة العربية الفصحى، فكل لون له قراءه ومحبيه وعشاقه المهم ألا يتناول الشعر من لا يجيده أو يتذوقه.

** من رواد الشعر الشعبي الأساتذة حمزة شحاتة وأحمد قنديل والعتيبي، كيف تنظرون لتقييم تجربة هؤلاء الرواد في تاريخنا الأدبي؟

**هؤلاء كانوا قمم وأروا الساحة الأدبية بشعرهم الهادف والمتقن، وسيسجل لهم التاريخ الأدبي هذه الأعمال المشرفة والناضجة وليس هناك وجه مقارنة بما قدمه هؤلاء، وبما ينشر الآن من محاولات شعرية تحتاج إلى غربلة.

** لكم قصائد تنشر في عكاظ تحت اسم (بلديات) وأخرى في جريدة البلاد بمسمى (عمريات) ما سبب التسمية المختلفة؟ وما هو مدلول كل مسمى؟

** ما ينشر في عكاظ تحت مسمى (بلديات) وما ينشر في البلاد تحت اسم (عمريات) ليس فيهما أي اختلاف في المضمون أو الهدف - فكلاهما يؤديان هدف واحد، ويعالجان السلبيات التي دخلت على مجتمعنا - بصرف النظر على اختلاف المسمى.

** من الأهداف المرسومة لخطط العناية بحجاج بيت الله ما يمكن تسميته بمنظومة التعاون بين جميع الجهات التي تقوم على خدمة حجاج بيت الله الحرام. كيف يرى سعادتكم تعميق هذا المعنى وتحقيق أهدافه السامية؟

** إن توجيهات صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية ورئيس اللجنة العليا للحج واهتمامه بكل ما يتعلق بخدمة الحجاج وما صرح به كثيراً في مناسبات عديدة كفيلة في تحقيق التعاون المطلوب بين الجهات ذات العلاقة بما يحقق ويوافق التوجيهات السامية الكريمة لخدمة ضيوف الرحمن من حجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسوله صلى الله عليه وسلم.

موسم الحج



خالد محمود علوي

في مثل هذه الأيام من كل عام تكون كافة الجهات الحكومية في المملكة العربية السعودية في قمة استعداداتها لاستقبال حجاج بيت الله الحرام سواء في مكة المكرمة أو المدينة المنورة أو مطار الملك عبدالعزيز بجدة في مدينة الحجاج أو في المشاعر المقدسة وذلك من خلال منظومة متكاملة من الجهود والخدمات والإمكانات التي تمثل كافة مزايا خطة الحج وتترجم أهدافها تنفيذاً للتوجيهات من خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني - حفظهم الله - من خلال إشرافهم المباشر على كل مراحل الاستقبال والتصعيد والتفويج ومتابعة مستمرة واهتمام من صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية ورئيس اللجنة العليا للحج وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة ورئيس لجنة الحج المركزية فخدمة الحجيج شرف لهذا البلد الطيب المعطاء يعتز به كل فرد من أفراده وشرف للإنسان أن يكون واحداً من العاملين في خدمة ضيوف الرحمن.. والدولة وهي تؤدي هذه الخدمات المشرقة والمميزة للوافدين لبيت الله الحرام وزائري مسجد رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم من الزوار والمعتمرين والحجاج بحاجة إلى تعاونهم بالتزام النظام والعناية بالطرق والمرافق والمشاعر والنظافة تقديراً للجهود التي تبذلها الدولة - رعاها الله - من أجل راحتهم وأداء شعائر حجهم في يسر وسهولة واطمئنان وراحة بال.

فإننا في وزارة الحج نأمل أن يأتي الحجيج وقد أخذوا من التوعية الصحيحة والسليمة في بلدانهم ما يعينهم على أداء نسكهم بيسر وسهولة والالتزام بآداب وأخلاقيات هذه الشعيرة العظيمة.. التي تهدف أولاً وأخيراً إلى سلامة ضيوف الرحمن وراحتهم وأن حكومتنا الرشيدة توفر كل الإمكانيات لهذا الهدف الكبير في موسم الحج الذي يشهد أكبر تجمع إسلامي إيماني يضم أكثر من مليوني حاج يأتون من كل فج عميق في زمان ومكان واحد.

لذا فإن توعية الحجاج من قبل بلدانهم لهو أمر في غاية الأهمية إذ يساهم بشكل كبير في إنجاح مواسم الحج.

نسأل الله العلي القدير أن يجعل حجهم مبروراً، وسعيهم مشكوراً وجزاءه إن شاء الله تعالى الجنة.

داخل العدد

ملف العدد

خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع

«أيها الناس .. اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف
أيها الناس إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.
ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوع، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل.
وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا عمي العباس بن عبدالمطلب .. فإنه موضوع كله، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه لا ربا.. واتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح. ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف.
وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله وسنة نبيه، وإنكم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.
فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس: «اللهم اشهد. اللهم اشهد، اللهم اشهد».
ثم قال - صلى الله عليه وسلم - لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها!
أما بعد.. أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن لم يطع فيما سوى ذلك فقد رضي بما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم!
أيها الناس: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله﴾ فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السماوات والأرض، ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم﴾ ثلاثة متواليات، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.
أيها الناس.. اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن المسلم أخو المسلم، وأن المسلمين أخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت؟».

قالوا: اللهم نعم، وقال صلى الله عليه وسلم: أيها الناس، إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه، وأنه لا تجوز وصية لوارث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر. ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».